الخداع

في حرب الخليج

تأليف مصطفى الدباغ

١٩٩٣م

مدخل

*أقيل الجنرال الأمريكي دوغان من منصبه كقائد للقوات الجوية في حرب الخليج عقب تصريحاته التي فضح فيها خطة تدمير العراق بالضربات الجوية في ١٩٩٠/٩/١٥ مزايداً على تصريحات الجنرالات الأمريكيين التي كانت تظهر على فترات متقطعة اثناء الأزمة ومفادها انّه يجب(لخراج العراق من القرن العشرين) ذاهباً دوغان إلى ابعد من ذلك بكثير عندما قال انّه يجب(اعادة العراق إلى العصر الحجري)!!

أما العرب فيجب بالمنظور الغربي الأخير أن تخرج دولهم من دائرة العالم الثالث حيث تتربع على قمة الدول أمريكا بعد تفكيك الإتحاد السوفياتي وحيدة تمثل العالم الأول، ثم هنالك دول لعالم الثاني وهي أوروبا واليابان، وبقية دول العالم في الدائرة الثالثة، ويتراجع العرب ليشكلوا العالم الرابع. فليس العراق وحده الذي خطط لا خراجه من القرن العشرين وانما كل الدول العربية، وهذا ما لا تقوله وسائل الإعلام مباشرة ولكن الخطط والسيناريوهات تفصح عن ذلك كما افصحت دائما نظرات وممارسات الغرب تجاه هذه الأمة العظيمة ذات الموقع والثروات وذات التاريخ والحضارة والعقيدة مما يؤهلها كل ذلك فيما لو تُركت تعالج أمورها بنفسها وتبني لسس تطورها لان تتبوأ الموقع الأسمى وتزاحم على المركز الأول: اليست هي من قال ا فيها(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون با .) آل عمران/١٠٠.

- كتابنا هذا يتحدث عن معركة الإعلام في حرب الخليج، والتي هي في الواقع حرب الإعلام، والتي تسبق وتسير مع ثم تستمر بعد المعارك الميدانية. وهي ترتبط تماماً مع الحرب السياسية التي لا تشكل المعارك سوى الحلقة الساخنة منها، لأن الحرب كما هو معروف هي وسيلة لتحقيق هدف سياسي، وهي المنازلة بين جيوش الدول التي تكون قد عجزت عن حل خلافاتها حول مشكلة ما بالطارق السلمية.
- والهدف من الحرب عموماً ومن الحرب الإعلامية أو الحرب النفسية خصوصاً هو الإرادة. فالحرب تعمل إما على تقوية وتعزيز ارادة القتال والروح المعنوية وروح الصمود والتضحة وإما أن تعمل بالمقابل على تحطيمها لدى الخصم. وفي القاموس الإسلامي فإن المصطلح الجامع لهذه العناصر هو"الجهاد)). وارادة القتال لدى الأمة والتي تعني وتساوي إرادة الحياة الحرة الكريمة العزيزة. وفي حرب الخليج بالذات يمكننا اقتباس ما قاله الرئيس الإيراني الأسبق(بني صدر) في معرض حديثنا عن اردادة الأمة التي هي هدف الحرب والحرب الإعلامية اولاً واخيراً حيث قال في حديث صحفي نشرته مجلة الأسبوع العربي بتاريخ١٩٩١/٧/٨

((لقد حشد بوش قوة من ٢٩ دولة وانفق ١٥٠ مليار دولاراً والقى ٥٠٠ألف طن من القنابل على بلد نام تعـداد سكانه١٧ مليون نسمة ورغم ذلك لم يعد بوش يخيف حتّى ذبابة)) أي انّه لم يدمر ارادة القتـال وروح الجهـاد والإستشهاد لدى العراق قيادة وشعباً لأنه في المفهوم الإعلامي النفسي وفي مفهوم الوجود والحضارة والحياة يمكن تدمير البنايات والحجارة لأنه يمكن اعادة بنائها ولكن إذا دُمرت الإرادة فإن الأمـة تكـون قـد ماتـت وإنتهت.

*أمرٌ آخر في معركة الإعلام في حرب الخليج هو حجم الحملة. حيث أن الدارس والمحلل للحرب الإعلاميـة النفسية في حرب الخليج سوف يجد نفسه منذ البداية أمام حقيقة مخيفـة تُنبـي عـن ضـخامة حجـم الحملـة العسكرية ومن ثم ضخامة الحملة الإعلامية التي سبقت وواكبت ثم استمرت بعد الحملـة العـسكرية. وربمـا يعزى السبب في هذه الضخامة إلى ضخامة حجم الأهداف التي كانت الولايات المتحدة وتحالف الغرب يـصر على تحقيقها من وراء حملته هذه وهي:

١. السيطرة على منابع النفط والتحكم بإمداداته وأسعاره.
٢. حماية اسرائيل وضمان سلامتها وقوتها وذلك حمايـة للمـشروع الـصهيوني الغربـي الإسـتعماري التوسعي بما يضمن استمرار تخلف وتشرذم العرب تحقيقاً الأول.
٣. ضرب أية قوة مادية(تسليح، تصنيع حربي،تقدم تكنولوجي) أو معنوية(اتجاه نحو الوحدة، الديمقراطيـة، نحو تطبيق التشريعة) تظهر في أي دولة أو مجموعة دول في المنطقة مما يساعد في إبقاء العـرب فـي حالة الضعف والتفكك والتبعية تحقيقاً للهدفين الأول والثاني.

وهذه الأهداف الحيوية هي التي دفعت أمريكا لأن تحضر بنفسها وتحشد نصف مليون من جنودها لتمـسك بمحابس(صنابير) النفط بايديها وتحمي اسرائيل عن قرب وتدمر العراق بالكامل لتجاوزه كل الخطوط الحمـراء المرسومة للدول العربية، فقد اقترف العراق جناية التصنيع العسكري وجناية التطـور التكنولـوجي وجنايـة المطالبة بتحرير فلسطين وبالوحدة العربية ولخيراً جناية التحكم بإمدادات النفط العربـي وأسـعاره والتوزيـع العادل للثروات العربية.

*مسألة أخرى في موضوع حرب الخليج والحرب الأعلامية النفسية، وهي أن هذه الحرب الإعلامية هي فـي المعيا ر الموضوعي الحقيقي حرب إعلامية غربية صهيونية متمازجة تماما وذلك لأنها تلتقي فـي الأهـداف النهائية الإسترتيجية التقاء كلياً، فالأهداف الصهيونية ـ الإسرائيلية ـ اليهودية من جهة، والأهـداف الغربيـة ـ الأمريكية ـ الأوروبية في الشرق الأوسط من جهة أخرى، أهداف إن لم تكن متطابقة فهي متقاربـة جـدا لتصل إلى مستوى التطابق، وإن وقع الخلاف بينهما فسيكون الخلاف على اقتسام المسروقات وحصص نهـب الثروات والغنائم وليس على عملية السرقة نفسها أو عملة النهب نفسه.

*بالنسبة لعنوان وموضوع الكتاب(معركة الإعلام في حرب الخليج) فإن
حرب الخليج كانت مجموعة من المعارك المتداخلة:

معركة الحصار، والمقاطعة والتجويع/ المعركة الإقتصادية

معركة التضليل والتموية/ المعركة السياسية

معركة الخديعة والوقيعة/ المعركة الدبلوماسية

معركة التدمير والإبادة/المعركة العسكرية

معركة العملاء والجاسوسية/ المعركة الإستخبارية

معركة الدهماء والغوغاء/المعركة الجماهيرية

وأخيراً معركة الكذب والخداع والتعتيم، احتكار وسائل الإعلام والديكتاتوريـة الإعلاميـة وهـي المعركـة الإعلامية.

وعليه فإن معركة الإعلام في حرب الخليج سوف تصف تلك الجهود التي اسـتخدمت ومـا زالـت لتحقيـق الأهداف الأخيرة لأرباب الحملة الإستعمارية الجديدة لمنطقتنا العربية

*وأخيرا عند الحديث عن الحرب النفسية أو الحملات الإعلامية في حرب الخليج وفي محاولة التعـرف علـى أبعادها لا بد من التعرف أولا على أبرز ملامح الحملة الإعلامية التي سبقت أزمة الخليج ولتي امتـدت لمـدة عامين قبل نشوب الأزمة في آب ١٩٩٠، ثم لابد من التعرف ثانياً على أبرز الأهـداف الإسـتراتيجية للحملـة العسكرية عامة وعلى اهدافها تجاه العراق بشلك خاص، ثم لابد من التعرف ثالثـاً علـى الأهـداف النفـسية الإستراتيجية الكبرى للحملات الإعلامية في حرب الخليج لنتمكن رابعاً من الوقوف بشكل مفصل على أبـرز ملامح وأبعاد الحرب الإعلامية في حرب الخليج. والإنتهاء اخيراً بالتعرف على الإعلام الإسرائيلي ولإعـلام العربي في حرب الخليج ومن ثم إستخلاص الدروس والنتائج والعبر من هذه الحرب.

الفصل الأول

أبرز ملامح الحملة الإعلامية الغربية الصهيونية
ضد العراق قبل أزمة الخليج

بدأت الحملة الإعلامية ضد العراق لتهيئة الأجواء بقصد تدميره بعد توقف الحرب العراقية الإيرانية وخـروج العراق قوياً متماسكاً لا بل اشد قوة مما كان عليه في بداية الحرب، وعليه فقد تم تدبير حملة متماسـكة كـان لإسرائيل فيها يداً طولى وإسهاما واضحاً كما للغرب حملة. وكما جاء في الكتاب الأبيض الذي صـدر عـن الحكومة الأردنية في ايلول١٩٩١: ((إن حشد قوى التحالف في حرب الخليج١٩٩٠/١٩٩١إنمـا كـان يـشكل خطوة كبيرة نحو تنفيذ مخطط يهدف إلى تدمير لقدرات العراقية العسكرية والصناعية. وبدأت تتضح المعـالم من خلال ما تبين انّه حملة منسقة في الإعلام الغربي إمتدت عبر مالا يقل عن سـنتين قبـل نـشوب الأزمـة لخلق الإنطباع بأن حكومة العراق تخطط لتصبح القوة المهيمنة في الشرق الأوسط استعداداً لمهاجمة إسـرائيل

بشكل خاص.))[1] وعليه يتضح لنا أن الحملة استمرت لمدة عامين تقريبـاً والهـدف بـين وواضـح لكـل ذي بصيرة.

- الملامح والأبعاد. ظهرت أبعاد الحملة الغربية الصهيونية ضد العراق منذ توقـف الحـرب العراقيـة ـ الإيرانية وحتى١٩٩٠/٨/٢ على شكل محاور كبرى اندرج تحتها مجموعـة مـن العناصـر أو العنـاوين الإعلامية الفرعية وهي بإيجاز كما يلي[2]:

١ ـ المحور الأول(اسرائيل الكبرى) وتحت هذا المحور كان التركيز على عدة أبعاد هي:

أ ـ تهجير يهود الإتحاد السوفياتي إلى فلسطين. وفي هذا السياق الإعلامي كان قد أعلن اسحق شـامير رئـيس الوزراء الصهيوني عن نوايا التهجير في آذار عام١٩٩٠ عندما قال: (إن الهجرة اليهودية الكثيفة بحاجـة إلـى إسرائيل الكبرى ، وإن اسرائيل بحاجة إلى الإحتفاظ بجميع الأراضي المحتلة لتوطين اليهود الـسوفيات فيهـا) كما كان قد صرح قبل ذلك في كانون الثاني١٩٩٠(بأن الهجرة الهودية إلى فلسطين ستكون مـن أجـل إقامـة إسرائيل الكبرى).

ب ـ تهجير الفلسطينيين(الترانسفير)والقضاء على الإنتفاضة. يورد الباحث اليهودي إسـرائيل شـاحاك فـي كتاب((الترانسفير ـ الإبعاد الجماعي في العقيدة الصهيونية)) ـ وهو رئـس الرابطـة الإسـرائيلية لحقـوق الإنسان ـ يورد نتجية إستفتاء عام للإسرائيليين حول سياسة الطرد حيث كانـت نـسبة الموافقـة عليهـا فـي عام١٩٨٨ تساوي ١٤% وارتفعت عام١٩٨٩ إلى ٥٢% كما يورد أن الباحثين الإسرائيليين متفقـون علـى أن مسألة الطرد(الترانسفير) بُحثت كخطة عمل لأول مرة في المؤتمر اليهودي الذي عقد عام١٩٣٧ في زيـورخ واقتُرح دفع مبالغ معينة إلى الدول العربية المجاوزة تراوحت بين عشرة ومائة مليون جينـة اسـترليني لنقـل اعداد من العرب الفلسطينيين. وتأتي عملية طرد الفلسطينيين لإحلال المهاجرين اليهود مكانهم بقـصد إقامـة اسرائيل الكبرى وفقاً للخطة الرسمية المعروفة بإسم خطة (إسرائيل كويننغ **Israel koening**) لعام ١٩٧٦.

ج ـ الوطن البديل كما في خطة شارون. ما عرف بالوطن البديل أو الخيـار الأردنـي والتـصريحات التـي تصاعدت حول الموضوع انما ينسجم مع الأيديولوجية الصهيونية منذ نشاتها في التطلع إلى اسرائيل الكبـرى. ومخطط الوطن البديل كان قد لوح به بشارون وسمى في حينها بخطة شارون كما لوح به ومـا زال شـامير. قال شارون وزيرالدفاع في العام١٩٨٢: (إن إسرائيل تُضيع الفرصة مرة ثانية. وإن الأردن يجـب أن يتحـول إلى وطن فلسطيني) وهو عام اجتياح لبنان.

د ـ الحدود الآمنة. يُصرح الصهاينة منذ إنشاء الكيان في فلسطين ويتبجحـون بـضرورة أن يكـون للدولـة حدوداً آمنة. وكانت هذه المقولة تُطرح باستمرار كتبرير لكل عملية جديدة وكان التركيز فـي إجتيـاح لبنـان

---

[1] الكتاب الأبيض: الأردن وأزمة الخليج. عمان، ١٩٩١.

[2] يمكن الرجوع إلى كتاب المؤلف(الهجمة الإعلامية الصهيونية) وفيه تفصيل هذه الحملة الإعلامية النفسية. صدر عن مكتبة الرسالة ـ عمان في١٩٩٠.

عام١٩٨٢ في ما عُرف بعملية((سلام الجليل)) على أن الهدف هو فرض حدود آمنة، ولكن كانت هذه الحـدود على أرض الواقع متحركة باستمرار وفقاً لأطماع العدو وخططه التوسعية. فكما قال مناحم بيجن عندما سُـئل عن حدود دولة إسرائيل: (إن أي ارض يطأها الجندي الإسرائيلي هي حدود إسرائيل).

هـ ـ إستمرار سياسة فرض الأمر الواقع أي سياسة القضم والهضم. بما فيـه الإسـتيطان وضـم الـضفة والقطاع والقدس الشريف يقول أرونسون مؤلف كتاب((سياسة الأمر الواقع في الضفة الغربيـة/ أو إسـرائيل والفلسطينيون من حرب٦٧ إلى الإنتفاضة)): (ان خلق الوقائع سيضمن لإسرائيل بقاء قبـضتها الحاليـة علـى الأراضي المحتلة) ويتحدث عن حرب٦٧ وآثار سياسة فرض الأمر الواقع في كـسب المزيـد مـن الأرض بسياسيات مختلفة كالضم والإستيطان بالطرد والتهجير، فيقول بان حرب٦٧ قد غيرت خريطة الشرق الأوسـط تغييراً دراماتيكيا فقد كان مجموع الأراضي التي احتلت ستة أضعاف مساحة الدولة الإسرائيلية التـي كانـت قائمة منذ٤٧ وحتى٦٧، وكان بقاء إسرائيل يتوقف عند مؤسسي الدولة علـى فكـرة مبـسطة(حيـازة الأرض وطرد العرب هو الأساس الذي تبنى عليه نهضة القومية اليهودية).

٢ـ المحورالثاني(وأد القوة العربية المتنامية). وتحت هذا المحور كان التركيز على عدة أبعاد هي: ـ

أ ـ العمل على إيجاد الدول الفسيفسائية العربية. كما أن الإستراتيجية الصهيونية تسعى إلى تمزيـق الأردن ـ كما يحدث في لبنان ـ تمهيداً لجعله الوطن البديل حسب خطة شارون فـإن الخطـة الإسـتراتيجية تقتـضي بتمزيق الدول العربية جمعيها وشرذمتها إلى دويلات فسيفسائية تُمكنها من السيطرة عليها وقد عبـر الإعـلام الصهيوني عن هذا الغرض مرارا وما زال.

نُشر في مطلع الثمانينات تفاصيل خطة إسرائيلية كتبها((أودد ينون)) تقوم أساساً على التفكير الإستراتيجي فـي تفتيت الوطن العربي الى دويلات طائفية. وإن أفضل شاهدا لى ما تذهب إليه إسـرائيل لـوأد القـوة العربيـة المتنامية من خلال شرذمة العرب وتمزيقهم وإيجاد الدويلات الطائفية هو مـا يحـدث فـي لبنـان باعتبـاره الترجمة العملية لمشروع الدول الفسيفسائية العربية. وكان تكريس المشروع مـن خـلال عمليـة الإجتيـاح الإسرائيلي وحصار بيروت عام١٩٨٢ وما آلت إليه أمور لبنان حتى اليوم.

ب ـ شق الصف العربي وإجهاض التوجه العربي نحو التوحد والتكامل.

قال مناحم بيجن أمام أنور السادات في كلمة ألقاها بالكنيست في زيارة الأخير لإسرائيل إبان العمـل لإتفاقيـة كامب ديفيد: (ان إسرائيل لا تنوي غرز إسفين بين الدول العربية، ولاترغب في الـسيطرة، ولا تحتـاج إلـى التفريق) وكان لسان حاله يقول بوضوح أن إسرائيل تنوي غرز إسفين بين الدول لعربيـة وتفريقهـا للـسيطرة عليها. فالحملة الصهيونية في سياق هذا البعد الإعلامي ليست سوى تصعيد لاستراتيجية مستمرة تعتبر بمثابـة أحد الثوابت الصهيونية الرئيسة.

ج ـ محاربة الديمقراطية السياسة الصاعدة في الوطن العربي.

إسرائيل باختصار لا تريد أي نوع من الديمقراطية في أي بلد عربي لأن الأوضاع الإستثنائية تساعدها أكثر على التوسع. ولذلك نرى الساسة الصهاينة يشككون في التجربة الأردنية وينفون عنه دخول مرحلة ديمقراطية حقيقية تأخذ أبعادها الصحيحة والمتنامية فيقول اسحق شامير(إن الشرق الأوسط لم يتأثر بعد بموجة من الديمقراطية تجتاح أجزاء أخرى من العالم ونحن لا نرى أي تحرك في الشرق الأوسط باتجاه مزيد من الديمقراطية ومزيد من السلام وإن إسرائيل تراقب التطورات عن كثب وأنها لا يمكن أن تكون غير مهتمة بما يجري في الأردن). ومن جهة أخرى تريد إسرائيل الإستمرار في الإدعاء بأنها هي واجهة للديمقراطية الغربية في المنطقة، وصعود الديمقراطية العربية السياسية يبطل الإدعاء ويسقط التبرير. ولذلك فهي تسعى في التركيز على سطحية التجربة الديمقراطية العربية لان الديمقراطية الحقة في النهاية هي أيضاً سياج يحمي الوطن ويقويه ويدفعه إلى التكتل والإقتدار.

د ـ التلويح بالتعاون العسكري العربي كتهديد لأمن إسرائيل. والتعاون العسكري هو غير تنامي القوة العسكرية التي سنتعرض اليها في الفقرة التالية. ولكننا هنا سنتناول التعاون العسكري العربي وذلك تحت ثلاث نقاط فرعية هي السرب العراقي ـ الأردني كمؤشر على التعاون، والمناورات العربية المشتركة، ثم إحياء الجبهة الشرقية. إن التوجه العربي نحو استراتيجية عسكرية وتسليحية واحدة يأتي ضمن سياق التوجه العربي، وهذا التوجه يُجابه بحملة دعائية غربية صهيونية شرسة متصاعدة بلغت المدى والذروة بعد إطلاق العراق صاروخه العابد في كانون الأول من١٩٨٩ وركزت الحملة على العراق.

وتحت هذا البعد يمكن التركيز على بعض العناوين الإعلامية الهامة ومنها:

(١) السرب العراقي ـ الأردني.

تناقلت الصحافة الأنباء التي تقول أن العراق والأردن شكلا سرباً وطنياً مشتركاً لتدريب طياري البلدين وأن السرب يضم طائرات ميراج٢٠٠٠ وقالت الأخبار ـ في حينه ـ أن الأردن تعتبر من الضروري اعادة تنظيم التعاون العسكري لمواجهة خطر هجرة اليهود السوفيات.

وقالت الصحف الإسرائيلية في هذا السياق أن العراق سيرسل في المرحلة الأولى للأردن عشر طائرات طراز(ميراج ف ـ ١) وأنه سيكمل تشكيل السرب خلال ثلاثة أشهر. وحذر اسحق رابين(من مغبة التعاون العسكري بين الأردن والعراق ومن جهود البلدين لتشكيل سرب مشترك من الطائرات يرابط داخل الأراضي العراقية بالقرب من الحدود الأردنية.

(٢) المناورات العربية المشتركة.

أعلن اسحق رابين وزير الدفاع الإسرائيلي في سياق وتيرة الهجوم والتهديدات للعرب وخاصة الأردن والعراق(أن إسرائيل لن تسمح ابداً بقيام اتحاد عسكري بين الأردن والعراق ولن تقبل بتواجد عسكري عراقي على الحدود) وقال(أن التوجه الجديد يشكل خطراً على أمتنا).

كما تناقلت وكالات الأنباء انّه قد (إتفق قادة مجلس التعاون العربي على إمكان دخول قوات عسكرية مـصرية إلى الأردن للقيام بمهام دفاعية فقط نظراً لارتباط مصر وإسرائيل بمعاهدة كامب ديفيد، غير أن المداولات لم تقتصر على جانب القوات المصرية بل تعدته إلى دور منتظر للقوات العراقية يتمثل في اعـداد ثـلاث فـرق عسكرية عراقية مدرعة على الحدود تكون متأهبة بشكل دائم لنجـدة الأردن عنـد ظهـور بـادرة عدوانيـة إسرائيلية).

(٣) إحياء الجبهة الشرقية.

حذرت صحيفة هاتسوفيه الإسرائيلية في١٩٩٠/٢/٢٣ من احتمال قيام مصالحة بين الدول العربية التـي كانـت تشكل الجبهة الشرقية وهي: سوريا والعراق والأردن. وقالت(إن تشكيل هذه الجبهة سـيخلق مـصدر تهديـد حقيقي لإسرائيل بالنظر لأن العراق وسوريا تمتلكان قوة عسكرية كبيرة يزيد حجمهـا علـى مليـون جنـدي بالإضافة لأنواع متطورة من الأسلحة الإستراتيجية المتمثلة بالصواريخ الباليـستية أرض أرض والمقـاتلات المتطورة من طراز ميج٢٩ وسوخوي٢٤).

هـ - التلويح بتنامي القوة العسكرية العربية كتهديد لأمن إسرائيل. إن بروز العديد مـن الأقطـار العربيـة كقوى تتمتع بقدرات عسكرية متقدمة وعصرية، مع تحقيق انجازات بارزة في مجالات التـصنيع العـسكري والتكنولوجي وخاصة في العراق بما تجتمع لديه من قدرة مادية وبشرية وتكنولوجية، هذا التطور في القـدرات العسكرية العربية بالإضافة للمؤشرات السابقة رفع مستوى القلق الصهيوني الذي أنجّـز معـه وآزره القلـق العالمي على الفور. فعندما أظهرت الأدلة أن العراق بات يُطوي قدراته التصنيعية بما فيهـا انتـاج الأسـلحة الهجومية والصواريخ الباليستية القادرة على حمل رؤوس نووية وكيماوية وذلـك باتجـاه الإكتفـاء وإمـتلاك القدرة على الردع والضرب، بدأ العدو بالمقابل حملته الكبرى الأخيرة ليجمع حوله وما يتاح لـه مـن دعـم امريكي وبريطاني ضد العراق تمهيداً لضربه وتدمير قوته.

وتحت هذا البعد يمكن استعراض بعض العناوين البارزة ومنها:

(١) العراق والتسليح المتصاعد بما فيه التصنيع العسكري وخاصة ما يتعلق بالصواريخ ذاتية الدفع.

وكان رد الفعل الإسرائيلي منذ انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية ومع تطور الصناعة العسكرية العراقية بمـا فيها الصواريخ متوسط المدى اللجوء إلى إطلاق وتصعيد حملة إعلامية صـاخبة وجـر الولايـات المتحـدة وبريطانيا معها حيث تم استخدام قضية الجاسوس الإيراني الأصل والبريطاني الجنسية بازوفت الـذي اعدمـه العراق في آخر آذار، ثم قضية المكثفات(الصواعق) حيث رحّلت بريطانيا إثنين من أعضاء السفارة العراقيـة بادعاء انهم ضبطوا في مطار هيثرو بلندن وهم ينقلون صواعق تفجير نووية أمريكية للعراق. وهـذه الحملـة الثلاثية المشتركة هي لا شك لمحاصرة العراق وتخويفه والإساءة لسمعته كخطوة أولى لتنفيذ عمـل عـدواني ضده كما تشير كافة المؤشرات في حينه.

فكما أصر رئيس اركان الجيش الإسرائيلي السابق٧٨ـ١٩٨٣ رفائيل ايتان الـذي قـاد العـدوان الإسـرائيلي عام١٩٨١ على المفاعل النووي العراقي تموز(إن إسرائيل قد تشهد هجوما جديداً لمنع العـراق مـن تزويـد نفسه بأسلحة ذرية ومن غير المقبول أن يضعنا العراقيون أما أمر واقع. وقال كذلك(إن إسرائيل اصـغر مـن أن تتحمل ضربة أولى نووية ثم تنتقم).

(٢) ليبيا ومعمل الرابطة الكيماوي.

باتت التهديدات الأمريكية - الإسرائيلية للدول العربية تشكل إجراءات دورية حيث يتم ترتيب قـضية لتبريـر الإعتداء على الدول العربية من فترة لأخرى وذلك لأهداف منها إستمرار الحرب ضد أي جهد تنموي عربـي وتأليب الدول الغربية ضد العرب وتبرير مضاعفة المساعدات العسكرية لإسرائيل وقبل كل ذلك ضرب أيـة بادرة متنامية تشكل أي خطر ولو ضئيل ومستقبلي على إسرائيل. وفي هذا السياق كانـت الحملـة الأمريكيـة الصهيونية ضد مصنع الرابطة الليبي والمستمرة منذ نحو سنتين وكان الهدف المعلن الزعم بأن المصنع ينـتج أسلحة كيماوية وغازات سامة.

وعلى أثر الضجة الشعواء والحملة المكثفة والتهديد الأمريكي وفي سؤال حول إحتمال القيام بغـارة أمريكيـة على المصنع لوقفه عن العمل قال المتحدث باسم البيت الأبيض(أن واشـنطن لا تـستبعد اتبـاع أي طريقـة لتحقيق هذا الهدف) وبعد سبعة ايام فقط إحترق المصنع في ١٩٩٠/٣/١٥ مما أدى إلى تـدمير اجـزاء منـه ووفاة اثنين.

٣ - وأخذت المحاور الأخرى عناوين منها: استمرار المماطلة فـي الحلـول الـسلمية. واسـتمرار تعزيـز مواقعها(إسرائيل) بإستغلال الظروف المستجدة كما في إعادة العلاقات مـع دول أوربـا الـشرقية والـدول الأفريقية واستمرار الإعتماد على الدعم الأمريكي خاصة والغربي عامة[٣].

[٣] جميع ما ورد في الفصل عن الحملة الإعلامية الصهيونية - العربية إنما جاء ملخصاً عن كتاب المؤلف(ماذا وراء: الهجمة الإعلامية الصهيونية) الذي صدر في آب ١٩٩٠. ولذلك لم يرد ذكر شيء في محاربة الديمقراطية عن ما يجري الآن(مطلع عام١٩٩٢) في الجزائر، وكذلك لم يرد شيء في عنوان ليبيا ما تتعرض له الآن كذلك من اعادة فتح ملف تفجير الطائرات وغيرها من التهم التي تعرض لها ليبيا وتصعيد الحملة مع استصدار قرارات مجلس الأمن تمهيداً لضرب قوتها العسكرية المتنامية.

الفصل الثاني

أهداف الحلمة العسكرية في حرب الخليج

□ كما ذكرنا لا بد للتعرف على حجم وأبعاد ووسائل وأسـاليب الحمـلات الإعلاميـة والحـرب النفـسية المصاحبة للحملة العسكرية في حرب الخليج، لا بد أن نتعرف على أهداف الحملة العـسكرية اولا، وهـي أهداف عامة وأخرى خاصة.

١ ـ الأهداف العامة: إن المخاطر التي دفعت بأمريكا لإحضار حوالي مليون جندي إلى منطقة الخليج للضغط على معظم دول العالم للحصول على الموافقة على فصول الحملة العسكرية وكـذلك للحـصول علـى دفـع المليارات أو القوات إلى الميدان، وهذه المخاطر ـ وهي التي تعتبر أهدافا حيوية للحملـة العـسكرية ـ قـد اجمع المختصون والمحللون على أنها تمثلت بما يلي:

أ ـ النفط: تأمين المصالح الأمريكية والغربية من النفط والثروة في المنطقة.

والنفط الذي يمثل الهدف الإستراتجيي الأول يجعل من الأهداف الأخرى مجرد أدوات كبـرى لتحقيـق هـذا الهدف .

ب ـ إسرائيل: حماية إسرائيل وحماية مشاريعها التوسعية المستقبلية، لتظل العقبـة أمـام الوحـدة والتنميـة والتحرر العربي.

ج ـ العرب: مواجهة آية دولة في المنطقة تُخل بالبندين السابقين أو أية قوة صاعدة مادياً أو معنويـاً ويمكنهـا أن تشكل نواة لتجمع اكبر يُخل هذا التجمع أو تخل تلك الدولة بذلتها بميزان القوة الإستراتيجية المحـسوم فـي المنطقة سلفا لصالح إسرائيل. وإزاء هذه المخاطر التي اعتبر فيها العراق قد تجاوز الخـط الأحمـر جـاءت أمريكا بنفسها هذه المرة لحسم الموقف والتعامل مع الازمة.

*وقبل الإنتقال إلى الأهداف الخاصة سنحاول إلقاء نظرة موسعة فاحصة على الأهـداف العامـة المـذكورة أعلاه.

أ ـ النفط:يعتبر النفط الهدف الإستراتيجي الأول لأمريكا والدافع الأول الذي يقف وراء حرب الخلـيج وذلـك لتأمين المصالح الأمريكية والغربية من النفط والثروة في منطقة الشرق الأوسط. ولذلك كانت الحملـة تهـدف إلى السيطرة على منابع النفط والتحكم بامداداته وأسعاره من خلال التواجد العسكري الدائم في المنطقة. قـال تشيني وزير الدفاع الأمريكي أمام مجلس الشؤون العالمية: (تشكل الطاقة سبباً في ذهابنا إلـى الخلـيج وذلـك لإمداداتنا المستقبلية من النفط، حيث لا يمكن للولايات المتحدة السماح لرجـل مثـل صـدام حـسين بقوتـه العسكرية واستعداده لاستخدامها أن يقبض فعلياً على خط الإمداد الحيوي للإقتصاد العالمي). كما قال مـساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون التخطيط السياسي دلنيس روس(أن إمدادات الـنفط وأسـعاره حيويـه جـداً للاستقرار الاقتصادي في العالم ولتنمية الديمقراطيات الناشئه حول العالم، وعليه فلا ينبغي تركها ليتلاعب بهـا ويسيطر عليها الآن زعيم يمثل هذه الطموحات العدوانية غير المحدودة). كمـا صـرح الـرئيس الأمريكـي

السابق((نيكسون)): (لدينا مصلحتان في الشرق الأوسط: النفط واسرائيل)[4]. أما وزير الدفاع الفرنسي((شيفنمان)) الذي استقال احتجاجاً على تورط فرنسا في الحرب مع أمريكا فقد قال بهذا الصدد: (.. إن الولايات المتحدة قد قررت تطهير((الدمل صدام حسين)) بسبب الخطر المتنامي على الإستقرار في الشرق الأوسط: سوق البترول واسرائيل.)[5]. والسيطرة على النفط يحقق جملة أهداف منها انقاذ الإقتصاد الأمريكي المتردي، السيطرة على كبح جماح التفوق التجاري الياباني وتحجيم نموها الإقتصادي وكذلك النمو الاقتصادي الالماني مما يساعد في تقزيم أوروبا الموحدة ومركزها المانيا الموحدة حيث تعتمد اليابان واوروبا على نفط الخليج بنسب تصل إلى ٨٠%، وأخيراً توفير الطاقة لعجلة الصناعة الأمريكية التي ارتفع احتياجها من نفط الخليج من ٤% إلى ٣٤% في الفترة الأخيرة .

ويتبلور هذا الهدف الأمريكي للحلمة على الخليج من رجوعنا - كما سنعرضه بعد قليل - إلى النظام العالمي الجديد، حيث سيتضح لنا أن أمريكا قد ربطت منذ زمن بين ضمان نجاح مخططها العالمي أي النظام العالمي الجديد والذي يعني الهيمنة الأمريكية المطلقة على العالم، وبين السيطرة على منابع النفط في الخليج العربي مما يعني التحكم بإمداداته وأسعاره من ثم التحكم بالقدرات الاقتصادية وبالنمو الاقتصادي للعديد من الدول المتطورة والتي قد تشكل منافس قوي لامريكا ومما يتعارض مع رغبتها في الهيمنة المطلقة وفرض ارادتها على العام أجمع.

ويؤكد ما ذهبنا إليه في أن النفط هو الهدف الاستراتيجي[6]. الاول للحملة العسكرية الغربية في حرب الخليج وبالنسبة لأمريكا بالذات أن احتياطي النفط العالمي الموجود في الشرق الأوسط يساوي ثلثي الاحتياطي العالمي النفط العالمي الموجود في الشرق الأوسط يساوي ثلثي الاحيتاطي العالمي بينما لا تملك أمريكا سوى ٣% وهي التي تستهلك ٣٠% من الطاقة علماً بان النفط العربي هو الأقل كلفةً في الإستخراج(كلفة استخراج البرميل لاتتجاوز ١٠% من كلفة لنتاج برميل نفط في تكساس) وكما يقول(جيمس أ.أكينز) السفير الأمريكي السابق في السعودية والمستشار الخاص حالياً في شؤون الطاقة والشرق الأوسط: ((السعودية والإمارات العربية تسيطران على ٤٠% من احتياطي النفط العالمي وعلى منظمة الأوبيك وكلتاهما مدينتان للولايات المتحدة لأنها أنقذتهما من المصير الذي حل بالكويت!!)) ويقول أن واشنطن ليس لها خيار آخر في احتلال والسيطرة على منابع النفط: ((طالما أنها لا تبدي رغبة في ممارسة ضبط النفس والتحرر من اعتمادها على النفط. فأمريكا لن تخفض من استهلاكها ولهذا فانها مقيدة بمنطقة الخليج من أجل النفط وكحد لمشاكل الطاقة التي تعانيها.)) لا بل النفط سوف يحل مشاكل أمريكا المالية كما يفسر ذلك اكينز بقوله: ((فالمشاكل التي

---

[4] الدستور، عمان،١٩٩٢/١/١٤.

[5] الدستور، عمان، ١٩٩٢/٢/٢٠.

[6] للمزيد كتاب حرب العالمين الأولى تحرير وترجمة صبحي حديدي الأرض لنشر١٩٩١.

مقال: ((توماسفيرغوسون)) حوافز الحرب الإقتصادية. ومقال((جوستورك، وآن ليش)) لماذا الحرب. الخلفية الإستراتيجية.

يُعاني منها ميزان المدفوعات الأمريكي يمكن معالجتها عن طريق صفقة خاصة تُمكن الولايات المتحدة مـن شراء النفط السعودي بسعر يقل عن السعر الذي تحدده الأوبيك!! ومن الممكن أن يقوم الـسعوديون بتعـويض الولايات المتحدة عن طريق تقديم دفعات مالية لها!!)) عن مقاله المنشور في صوت الشعب ١٩٩١/١٠/١.

أمر آخر يؤكد ما ذهبنا اليه التصريحات والخطط الأمريكية بعد حرب ٧٣ عن ضرورة احـتلال آبـار الـنفط السعودية حتّى اعلن الرئيس جيمي كارتر في وقت لاحق من عام١٩٧٥ أن للسعودية أهمية جوهريـة بالنـسبة للولايات المتحدة)). كما ذكر أكينز في مقاله المنشور في الرأي١٩٩٠/٩/٢٨. ويؤكد هذا الكتاب أمريكا تغزو الخليج/ دراسات الكونجرس الامريكي من منشورات دار الجليل في بيروت وسينا للنشر في القاهرة وترجمـة وجيه راضي والصادر في ١٩٩١ وهو عبارة عن تقرير أمريكي صـدر قبـل خمـسة عـشر عامـاً وهـو بمثابة((دراسة جدوى)) لاحتلال الولايات المتحدة لمنابع النفط في الجزيرة. وهذا التقرير - الدراسة كان بعـد حرب ١٩٧٣ والحظر النفطي المشهور، حيث يرسم الخطـط والخطـط البديلـة للاحـتلال معيـداً للأذهـان احتياجات الصناعة الأميركية المتزايدة للنفط ومصادر الطاقة المستوردة لأمريكا ثم حاجتهـا الحيويـة للـنفط العربي حتّى تستمر في الحياة والبقاء ! كما يؤكد على ذلك كل ما قيل وما كتب من مقالات أو دراسات حـول الموضوع .[٧]

ولسنا هنا بصدد اعادة التذكير بملابسات تطور الاحداث في أزمة الخليج والتي لعبت فيها دول عربيـة نفطيـة وخليجية من خلال الولايات المتحدة الامريكية الدورالضاغط الذي دفع بالعراق إلـى دخـول الكويـت . ولا التذكير بالمؤامرة النفطية الامريكية كاملة والتي انتهت باحتلال منابع النفط في حرب الخليج وذلك منـذ العـام ١٩٧٤ أي بعد حظر النفط في حرب ١٩٧٣ . ولا التذكير بالمليارات التي امتلكها أفراد والتي فاقـت المائـة مليار دولار من عائدات النفط المنتج لحساب الغرب بكميات اكثر من الحاجة الحقيقية لبلادهم .

والاقتباس التالي من كتاب الدكتور عودة يوضح ما نرمي اليه :

"ان النفط العربي، وهو سلعة ستراتيجية عظيمة الاهمية تفوق قيمتها قيمة آية سلعة حيوية فـي العـالم، يـشكّل عصب الحياة لاقتصاديات الدول الصناعية الرأسمالية . فالوطن العربي يحتوي على ما يساوي ثلثي الاحتيـاط العالمي من النفط . ومعظم هذه الثروة الهائلة موجودة في المنطقة الخليجية، وهي ثروة ناضبة غيـر متجـددة وبالتالي فانها محدودة العمر مهما بلغت كمياتها ومقاديرها وعلى هذا الأساس فانه كان ينبغي اخضاع انتاجهـا وتسويقها لمعايير وحسابات وسياسات دقيقة بحيث يكون الانتاج بمقدار الاحتياجات الفعلية من العائدات الماليـة اللازمة لنفقات الدولة وللمشروعات المعدة وفق خطط مدروسة بعناية . فإبقاء النفط فـي مكانـه فـي بـاطن الأرض بعد استخراج وبيع ما يكفي لاحتياجات الدولة اكثر فائدة وأهمية من تحويله إلى دولارات مودعـة فـي البنوك الامريكية والاوروبية واليابانية بغض النظر عن كون هذه الدولارات ودائـع أو اسـهم أو سـندات أو

[٧] - ارجع على وجه الخصوص لكتاب (حرب الخليج من المسؤول) د . عودة بطرس عودة . وكالة التوزيع الاردنية عمان ١٩٩١ للصفحات ٥٢ فما بعدها .

عقود عقارات . ثم ان ابقاء النفط في مكامنه هو حق للأجيال القادمة، فلا يجوز تبـذير هـذه الـسلعة دون أي اعتبار بالمستقبل .[٨]

يأتي ضمن هذا الهدف الذي بحثناه هدف آخر هو :

استنزاف الثروات والأرصدة النفطية العربية مما يبقي الامة العربية في حالة التبعية ومما يساعد ويسارع فـي احباط أي مشروع للنهوض العربي الاسلامي من جهة ومما يُحقق مكاسب امريكية مادية تساعد فـي ادامـة عجلة الصناعة الامريكية . وذلك باستنزاف هذه الثروات والارصدة من خلال دفع نفقات تواجد هـذه القـوات الاجنبية في المنطقة ومن خلال عمليات بيع الاسلحة للسعودية ودول الخليج وهذا سوف يـساعد فـي تعزيـز ودعم الاقتصاد الامريكي المهتز . فمن جهة هنالك ١٣ % من الامريكيين يعيشون تحت خط الفقر أي انهم لا يملكون ما يأكلون ولا يوجد لهم مكان يأوون اليه، كما أن الديون الامريكية قد بلغت ٥٠٠ مليار دولار بينمـا لم تكن أمريكا حتّى قبل خمس سنوات مدينة لأحد، ومثل هذا الدين يُفسّر لنا سر العجز في الميزانيـة وتـدهور قيمة الدولار فقد انخفض سعر الدولار في كانون ١ / ١٩٩١ إلى مستوى لم يصله منذ عام ١٩٦٤ ، وارتفـاع نسبة البطالة ومؤشرات التضخم الأخرى .[٩] فقد بلغت نسبة البطالة اعلى معدلاتها خـلال الـسنوات الثمانيـة الماضية حيث تجاوزت ٧ % من الأيدي العاملة . وقد أخرجت شركة "IBM" الضخمة ٤٠ الف موظف مـرة واحدة، وسوف تخرج شركة جنرال موتورز خلال ٣ ثلاث سنوات ٧٠ ألف موظـف .[١٠] قـال "بـوش" أثنـاء حملته الانتخابية في اواخر شباط ١٩٩٢ : "لقد فقد ٣ ثلاثة ملايين مواطن وظائفهم في التـسعة عـشر شـهراً الأخيرة".

ولا شك أن مثل هذا الاستنزاف للثروة العربية سيكون فعّالاً أكثر وعميق الأثر بعد أن وقعت الحرب كما كان مخططاً لها وتم استعمار المنطقة حيث عادت مصانع الاسلحة بالانتاج المضاعف . يقـول احـد الـصحفيين : "لقد انهار النظام الإشتراكي وانهار الإتحاد السوفياتي للحاجة إلى اقل من خمسين مليـار دولار .. وعلينـا أن نعرف ان الولايات المتحدة تستدين سنوياً وبوسائل مختلفة مئة مليار دولار من المال العربـي ومـن اليابـان وأوروبا.. ومن المال العربي اولاً وإلا فإنها هي المرشحة للإنهيار قبل الإتحاد السوفياتي وقبل الكتلة الـشرقية !!" .[١١] بينما كان الركود قد أصابها قبل ذلك خاصة بعد تطورات الأوضاع فـي الإتحـاد الـسوفياتي ودول اوروبا الشرقية ومعاهدات الحد من الأسلحة، وما يستتبعه انتهاء الحرب الباردة من التوجـه لحـل المـشاكل

---

[٨] - المرجع السابق نفسه . د . عودة بطرس .

[٩] - يمكن مطالعة مقال " الفايننشال تايمز " : انهيارات بنكية أمريكية والنظام البنكي عاجز عن التصدي للأزمة) لجورج غراهام الشعب ١٢ / ١١ / ١٩٩١ .

[١٠] - صحيفة الرأي ٢٤ / ١٢ / ١٩٩١ .

[١١] - صحيفة الرأي الأردنية . مقال طارق مصاروة عمّان ٥ / ١١ / ١٩٩١ م.

واطفاء فتيل الأزمات في انحاء العالم . أي ان التواجد في المنطقة ثم العمليات فيها سـوف يجعـل التـصدير مُتاحاً ومستمراً إلى مسرح عمليات جديدة ويُبقي الشرق الأوسط كسوق مستورد .
ولفهم أعمق يمكن العودة لما ذكرناه قبل قليل على لسان "جيمس أكينز" وان الـنفط العربـي فـي الـسعودية والامارات أو المليارات العربية وحدها كافية لحل المشاكل التي يعاني منها ميزان المـدفوعات الامريكيـة . حيث يقول بالحرف : "إذا كان سعر البرميل (٢٠) دولاراً وكلفـة الإسـتخراج لا تزيـد عـن (٢) دولاريـن وتقاضت الولايات المتحدة مبلغ (١٠) عشرة دولارات عن البرميل كرسوم إدارة وإنتاج وإشـراف وأعطـت للسعودية (١٨) دولارات عن كل برميل فان دخلنا من نفط الجزيرة العربية سيُقلّص العجز في موازنتنا مبلـغ (٧٠) مليار دولار في عام واحد، بعد دفع نفقات الاحتلال الامريكي للسعودية طبعاً ان هـذه الأمـوال التـي ستحصل عليها أمريكا وفقَ هذا السيناريو تفوق بكثير شحنات الذهب التي حصلت عليها اسـبانيا مـن العـالم الجديد بعد اكتشافه " الرأي ٢٨ / ٩ / ١٩٩٠ .
ومما يؤكد ما ذهبنا إليه في ربط استغلال البترول مع استغلال الثروات العربية وتبديدها ما نُشر في الدسـتور يوم ٢ / ١٠ / ١٩٩١ ان ٢,٥ مليون برميل يومياً أصبحت الزيادة في انتاج الـسعودية مـن البتـرول خـلال شهر تشرين ٢ / ١٩٩٠ عمّا كان عليه قبل الأزمة . كما تذكر الصحيفة ان أمريكا حـددت ٣٠ مليـار دولار تكاليف لبرنامج توسيع انتاج السعودية من النفط وأردفت أن المقاولون الامريكان يفوزون بالعقود (نقـلاً عـن بيزنس ويك عدد ١٩ تشرين ٢ / ١٩٩٠) أي أن الخطة تسير بعد الإحتلال كمـا ذكرهـا أكينـز وان توسـيع الانتاج لزيادة الضخ إلى ناقلات النفط الامريكية مدفوع التكاليف سلفاً، علماً بأن السعودية لا تحتاج لكـل هـذا الانتاج ومردوده حالياً، وان الثروات ستصب في البنوك الامريكية وإذا اقتـضت الـضرورة فـيمكن تجميـد الودائع كما حدث في لعبة بنك الاعتماد الظبياني وكما تمّ تجميد ودائع العراق ومن قبلها إيران . فهـي عمليـة نهب للبترول اولاً ولعوائده النقدية ثانياً واستنزاف هذه المادة بأكبر كميات وبأسرع وقت وبأقل تكلفـة تحـت حراسة استعمارية مدفوعة التكاليف مسبقاً !!

ب - اسرائيل : قال الجنرال الامريكي نورمان شوارتسكوف قائد الحملة العدوانية على العراق فـي حـديث لإذاعة جيش العدو الاسرائيلي : "ان الحرب التي خضناها في منطقة الخليج ضد صـدام حـسين كانـت مـن أجلكم . من أجل اسرائيل ." كما قال وليم كوانت مساعد رئيس الامن القومي الامريكي سابقاً في شهادة أمـام إحدى لجان الكونجرس : "إن قرارنا بالحرب ضد العراق تمّ اتخاذه جزئياً بسبب قلقنا على أمن الخلـيج لكنـه كان مرتبطاً بالتأكيد بالخوف من أن العراق اصبح يشكّل التهديد المحتمل في المستقبل لإسرائيل .
تُعتبر حماية اسرائيل الهدف الاستراتيجي الثاني للولايات المتحدة الأمريكية من وراء حرب الخليج التي شـنتها على العراق، وبعد استعراضنا للهدف الاول (النفط) نعرف أن ذلك الهدف جعل هدف حماية اسرائيل يتراجـع ليأخذ المرتبة الثانية في أولوية الأهداف لأن احتلال منابع النفط لإستمرار تدفقه إزاء واقع الاقتصاد الامريكـي ووضع الطاقة فيها يعتبر الأولوية الاولى لتحقيق الهدف الثاني بحيث تظل اسرائيل المدعومة بالمال والـسلاح

والرجال هي القاعدة المتقدمة للإستعمار الغربي والهيمنة الامريكية، كما تظل العقبة امـام الوحـدة والتنميـة والتحرر العربي مما يسهل عملية نهب النفط والثروات العربية . كما ان وجودها يخدم بالاضـافة لمـا تقـدم وعلى ضوء التحالف الاستراتيجي مع أمريكا باعتبارها مخزناً للأسلحة في المنطقة وقاعـدة انطـلاق وعمـق استراتيجي وحليف متقدم. من جهة أخرى يخدم هذا الوجود كمبرر لاستنزاف الثروات النفطية امـام الخطـر المحدق وذلك ببذل ثروات الشعوب العربية ووضع امكاناتها للتسليح العسكري لمواجهة هذا الخطر مما يُبقيها متخلّفة من جهة ومما يُشغل مصانع الاسلحة الغربية ومما يُبقيها سوقاً للمنتجات الغربية ويكرس واقع التبعيـة والتخلف الذي يخدم سياسة النهب المستمر للنفط والثروة .

اذن فإن حماية اسرائيل يأتي كهدف باعتبارها القوة المتفوقة على جميع قوى المنطقة، ومن هنا جـاء ضـرب العراق كتهديد من جانبه للإخلال بميزان القوة الاستراتيجية المحسوم في المنطقة لصالح اسرائيل التـي هـي الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة وأداتها في المنطقة لتمزيق وشرذمة الدول العربية . ولذلك فقد جـاءت أمريكا هذه المرة بنفسها لمباشرة مصالحها لأن الهدف الاستراتيجي الاول هـو ان تظـل ممـسكة بمحـابس (صنابير) النفط حتّى يستمر وجودها المهيمن عالمياً وحتى لا تفقد هيبتها وسطوتها وحتـى لا تتوقـف عجلـة اقتصادها فتنهار . وجاءت بنفسها لمباشرة مصالحها لأنها لا تستطيع - بالاضافة إلـى انهـا جـاءت حاميـة لاسرائيل - ان تُقحم اسرائيل لمباشرة تحقيق هذا ا لهدف حيث قد لا يسمح حجمها لها بـذلك ولأن أمريكـا لا تسمح حتّى لإسرائيل بلعب دور يُمكنّها من وضع يدها على النفط الذي قد يُخرجها من المنطقة بالكامل ومـرةً واحدة عندما يقف العرب ومن ورائهم المسلمون جميعاً لاخراجها، ولأنه لو تمّ هذا فرضاً فإن أمريكا واوروبا تصبح تحت رحمة "شيلوك " اليهودي مما رأينا معه كيف أن أمريكا ولتمرير خطتها اضطرت للتحـالف مـع العرب وأخذت لذلك الشرعيات العربية والاسلامية والدولية واعطاء الاوامر لاسرائيل بعدم التـدخل حتّـى لا تتداعى هذه التحالفات مع مصر وسوريا والسعودية والخليج.

ولأن كانت الحرب قد خدمت اسرائيل في أمور منها :

١ - ضرب القوة العراقية مما رجّح ميزان القوة في المنطقة لصالحها مرة أخرى وحرم العرب من عـراق قوي يمكن ان يشكل مع من حوله جبهة عربية كبيرة قادرة على فرض السلم أو الحرب على اسرائيل وقـادرة على تنفيذ قرارات الشرعية الدولية بخصوص فلسطين .

٢ - إبقاء العرب في حالة التجزئة والتبعية والشرذمة مما يخدم هدف وجودها التوسعي.

٣ - امكانية تحقيق هدف اسرائيل الكبرى على حساب الدول العربية المجاورة وخاصة الأردن تحقيقاً لخطـة شارون في الوطن البديل، واستيعاب المهاجرين الجدد من الاتحـاد الـسوفياتي والقـضاء علـى الانتفاضـة بالداخل.

٤ ـ تمزيقهم بتحطيم قوتهم والقضاء على بوادر الصحوة الإسلامية مما يُدمّر لديهم مصدر قـوتهم الروحيـة حيث تستميلهم مثل هذه الصحوة إلى الالتقاء مع بعضهم كعربٍ ثم مع أشقائهم المسلمين ممـا يُهـدد تحـالف مليار مسلم اسرائيل مستقبلاً .

نقول لأن خدمت الحرب اسرائيل في هذه النواحي وغيرها فان هنالك من يقـول "ان اسـرائيل كعقبـة امـام الوحدة والتنمية والتحرر العربي سيظل قائماً باسرائيل مع الضفة والقطاع وباسرائيل بدون الضفة والقطـاع !! وهذا سوف يعني تحجيم دولة اسرائيل مما يتناقض مع استراتيجيتها الامنية والتوسعية الاستيطانية علـى خلفيـة الهجرة المكثفة ليهود الاتحاد السوفياتي". وإذا كان هذا ما يدفع أمريكا لفرض الحل السلمي فلأن حجم اصـغر لإسرائيل يعني حجم عداء اقل بين العرب واسرائيل ولأن الهدف الاستراتيجي "النفط" تم تحقيقه، ولخيـراً فـإن الحل قد لا يتمكن من التدخل بقضية الحجم .

جـ ـ العرب : أو لنقل قوة العرب، حيث ظهر أن الهدف الثالث من أهداف حـرب الخلـيج هـو مواجهـة وضرب أي دولة في المنطقة تُخل أو تؤثر على الهدفين الاولين وهما ضمان استمرار تدفق الـنفط وضـمان امن وحماية اسرائيل ، وضرب أية قوة صاعدة في المنطقة مادياً ومعنوياً بحيث يمكنها أن تشكل نـواة لتجمـع اكبر يُخل هذا التجمع أو تُخل تلك الدولة بذاتها بميزان القوة الاستراتيجية المحسوم في الشرق الأوسـط سـلفاً لصالح اسرائيل الحليف الاستراتيجي لامريكا . إزاء هذه المخاطر التي اعتبر فيها العراق قـد تجـاوز الخـط الاحمر جاءت أمريكا بنفسها هذه المرة لتحسم الموقف وتتعامل مع الازمة وتُباشـر مـصالحها علـى ارض الواقع .

فهذا الهدف يعني فيما يعنيه إذن تدمير عناصر القدرة الاستراتيجية العلمية والتكنولوجية والتسليحية العـسكرية والتصنيعية الحربية والبنية التحتية لمجمل المرافق والمنشآت والمشاريع باعتبار أن العراق قد أخلّ كما ذكرنـا فيما يُعتبر تهديداً للهدفين الاستراتيجيين الاول (النفط) والثاني (اسرائيل).

يقول ميشال جوبير وزير الخارجية الفرنسي الاسبق : "أن الاستعمار لم يمت بعد، والولايـات المتحـدة فـي الخليج تعبّر تعبيراً صريحاً عن هذا الموقف الاستعماري فـي شـكله التقليـدي والـشامل.." [١٢] فـالنفط اولاً واسرائيل ثانياً وضرب أي قوة يمكن ان تهدد هذين الهدفين إنما يتأتى ويتحقق مـن خـلال اعـادة اسـتعمار المنطقة عسكرياً ولو احتاج الامر ان يتم ذلك تحت اسم النظام العالمي الجديد . ولذلك يـرى المختـصون ان الحملة الامريكية الغربية الصهيونية الاخيرة على العراق والمنطقة برمّتها انما كانـت اسـتمراراً للحمـلات الاستعمارية القديمة التي كانت تسعى لاستعمار المنطقة طمعاً بخيراتها وثرواتها وخوفاً من ان تُجنّد قـدراتها المادية والروحية لتتمدد باتجاه الشمال الغربي كما حدث قديماً، مما يتطلب ـ برأي الغرب استعمار المنطقـة وتمزيق أوصالها وضرب القوة العربية والاسلامية المتنامية واستنزافها لابقائها في حالـة التبعيـة والتفكـك ومصدراً للرفاه الغربي عن طريق ابتلاع خيراتها ونهب ثرواتها وكذلك سوقاً لفائض إنتاج الغـرب المتقـدم

---

[١٢] - كل العرب باريس العدد ٤٢٠ تاريخ ١٠ / ٩ / ١٩٩٠ م.

ومن ثمّ تحطيم مصادر القوة المادية والمعنوية للنهوض واجهاض أي تفكير ينطلق من الشعوب بالقوة الذاتيـة ـ بما تمتلكه من موارد مادية ومعنوية روحية لا محدودة والقدرة على التحدي ويمكنه أن يبلور الاتجاه نحـو تشكيل قوة في المنطقة يصعب احتواؤها والسيطرة عليها تهدد مصالح الغرب .

يقول جون روس ونورمان سولومون في ورقة العمل التي تقدما بها للندوة الدولية حول التغطية الاعلامية فـي زمن الحرب والتي عُقدت في عمّان في أواخر أيلول ١٩٩١ ما يلخصان به هذه الاهداف مجتمعـةً [١٣]: "كـان الرهان اكبر بكثير بالنسبة لواشنطن في صيف ١٩٩٠ . فلقد دفع (أي جورج بوش) بنصف مليون جنـدي فـي النهاية إلى ميدان تلك الحرب للدفاع عن تدفق النفط إلى الشمال الصناعي .. وإذْ أعلن بوش قيام نظام عـالمي جديد كتعبير ملطّف عن هيمنة الولايات المتحدة على الساحة الدولية في ضوء الانهيار السوفياتي ".

٢ ـ الاهداف الخاصة : أما الأهداف الخاصة بالعراق فقد كانت الخطط تقتـضي كمـا صـرّح الجنـرالات الامريكيون بذلك اخراج العراق من القرن العشرين واعدلته إلى العصر الحجري، وتحت مثل هذه الشعارات، تمّ تصعيد الحملة الاعلامية ضد العراق بالتزامن مع تصعيد الحملة العسكرية . قال جلالة الملك حـسين فـي رسالة للأمة يوم ٦ / ٢ / ١٩٩١ وقد تأكد لديه احباط جهود الأردن والعرب لوضع حد للأزمة : "لان الهـدف الحقيقي وراء هذه الحرب المدمرة وكما برهن على ذلك حجم الدمار هو تـدمير العـراق، واعـادة ترتيـب المنطقة بطريقة تنطوي على مخاطر اكبر بكثير بالنسبة لحاضر ومستقبل أمتنا من معاهدة سـايكس ـ بيكـو" [١٤].

وقد اتضحت هذه الأسباب بما يلي :

١ ـ تحطيم قوة العراق العسكرية تحطيماً تاماً .

٢ ـ تدمير البُنية التكنولوجية والتصنيعية .

٣ ـ تدمير البُنية التحتية لمجمل المرافق والمنشآت والمشاريع .

٤ ـ تمزيق العراق إلى دويلات صغرى (طائفية وعرقية).

٥ ـ إسقاط النظام العراقي لأنه هو الذي ارتكب جناية بناء القوة الذاتية العـسكرية والتـصنيعية والتـسليحية والتي إذا ما استمرت على تلك الوتيرة فانها ستخل بميزان القوى الاستراتيجي في المنطقـة لـصالح العـرب، وانها بكثافتها النوعية ستصبح نواة جذب للدول العربية مما يهدد الغرب بظهور ترجمة عملية للوحدة العربيـة أو وضع اليد على الثروات القومية وإعادة التوزيع العادل لها .

بعد حرب العراق ـ إيران التي كان أعداء الأمة يريدون من ورائها إخـراج القـوتين العراقيـة والايرانيـة منتهيّتين تماماً، خرج العراق بقوة عسكرية وتصنيعية وقدرات أخرى اكبر مما كان عليه فـي بدايـة الحـرب مما يُهدد موارد النفط ـ بنظر الغرب ـ ويهدد أمن اسرائيل ووجودها ويهدد بظهور قوة عربيـة اقليميـة أو

---

[١٣] - صحيفة الشعب ، ٢ / ١٠ / ١٩٩١ م.

[١٤] - الكتاب الأبيض : الأردن وأزمة الخليج . عمّان، ١٩٩١ .

عربية إسلامية ذات ثقل نوعي لما تتمتع به من مصادر القوة الروحية والمادية (الموقع الاستراتيجي، الثروة النفطية، الثروات الإقتصادية الاخرى، الطاقة البشرية، المساحة والامكانات الطبيعية، التحكم بالممرات المائية الاستراتيجية ، .. الخ) ايظهر لأمريكا ما لم يكن بالحسبان وهو القوة الإقليمية الجديدة التي يمكن ان تخل بالتوازن الاستراتيجي المحسوم لصالح اسرائيل في المنطقة واعتبرت أمريكا هذا هو المحذور أو الخط الاحمر الاول الذي تجاوزه العراق . أما المحذور أو الخط الاحمر الثاني فهو مطالبته بالتحكم في امدادات وأسعار النفط في المنطقة وكان هذا السبب الأهم في مجيء أمريكا بنفسها لمباشرة الأمور في المنطقة وحسم الموقف بمعالجته مرة واحدة والى الأبد بتصورها .

يؤكد هذا الهدف ما قاله وزير خارجية العدو ديفيد ليفي لصحيفة هآرتس يوم ٢٣ / ١٠ / ١٩٩٠ : "ان التزام الولايات المتحدة بالقضاء على قوة العراق العسكرية كان أحد أسباب قرار الحكومة الاسرائيلية باتباع سياسة ضبط النفس".

ويؤكد الدمار الشامل الذي كان مخططاً للعراق منذ بداية الحشد ما قاله رامزي كلارك وزير العدل الامريكي السابق أمام المحكمة التي تولت الاستماع للمناهضين الأمريكيين لحرب الخليج : "ان الحكومة الامريكية شنّت حرباً جائرة ضد العراقيين العُزّل وقتلت ألوف النساء والاطفال الأبرياء، ودمرت المنشآت المدنية الحيوية . إنها جرائم حرب توجب توجيه الاتهام إلى بوش بارتكاب (١٩) جريمة حرب " [١٥].

تَمَثّل الهدف الامريكي من الحملة اذن في تدمير عناصر القدرة الاستراتيجية العلمية والتصنيعية والعسكرية الموجودة على أرض العراق بحيث لا تبقى في المنطقة سوى قوة اسرائيل الحليف الاستراتيجي لأمريكا ويده الضاربة تخريباً وتدميراً في أرجاء الوطن العربي . وانظر إلى هذا التحريض الرخيص لتحقيق هذا الهدف وهو ما قالته جين كيركبتريك المندوبة السابقة لدى الأمم المتحدة : "ان مناصري العراق يتذرعون بحجة غريبة وهي امتلاك العراق لأسلحة نووية وكيماوية وبيولوجية يوازن قوة اسرائيل العسكرية ويشيع الاستقرار في المنطقة . ولكن ذلك اشبه بقول القائل ان السلاح بيد المجرم يوازن السلاح بيد رجل البوليس "!! هذا بالضبط ما يؤكد الهدف من الحرب . نعم ، اسرائيل هي الشرطي الامريكي ورجل البوليس الامريكي في المنطقة باعترافهم، ثم متى كان العراق مجرماً واسرائيل ملاك الرحمة ؟

ومما يمكن ايراده لتأكيد هذه الاهداف الخاصة بحرب الخليج وخاصة تدمير العراق بالكامل ما أوردته الصحف في الذكرى الاولى للحرب التدميرية التي تعرّض لها العراق من ان الولايات المتحدة الامريكية قد استخدمت قنابل نووية ميدانية مطلية باليورانيوم وأنها ذات خطر اشعاعي.

وبالاضافة لهذا فإن الرئيس الامريكي الاسبق "نيكسون" وفي مقال له نشرته "الواشنطن تايمز" في عددها يوم الخميس ٩ / ١ / ٩٢ يؤكد على حل مشاكل منطقة الشرق الأوسط والخليج بالذات عن طريق (الحل السحري ١) الذي يُقرره بقوله : "ليس هناك حل سحري للمعضلات الأمنية في الخليج، إلاّ بزوال القيادة

---

[١٥] - محمد أمين : صدام حسين الإرادة العربية والإسلامية . عمّان ١٩٩١ .

العراقية . فالتهديد العسكري للعربية السعودية ودول الخليج الاخرى سيظل قائماً، لان منطقة الخليج تملـك ٦٥ % من احتياطي النفط العالمي، ولانها أهم مصدر لتصدير البترول في العالم للـسنوات الخمـس والعـشرين القادمة، فإنه ليس أمامنا خيار سوى البقاء على ارتباط وثيق بالمنطقة .

لدينا مصلحتان في الشرق الأوسط : النفط واسرائيل !"[16]

يقول وزير الدفاع الفرنسي "شيفنمان" الذي استقال احتجاجاً على تورط فرنسا في حرب الخلـيج : "يـوم ٩ آب انعقد المجلس الوزاري المصغّر للمرة الثانية . وكانت المعلومات التي بحوزتي تبرهن على ان الامريكيين قد عقدوا العزم على الحرب، ولانهم ربما يكونون قد ساهموا في ايقاع العراق في الفخ". ويقول أيضاً : "منذ بدايـة آب كانت الاجهزة المناط بها تقديم المعلومات تطرح أن الولايت المتحدة قد قررت تطهيـر "الـدُمّل صـدام حسين" بسبب الخطر المتنامي الذي اخذ يشكله النظام العراقي على الاستقرار في الـشرق الأوسـط : "سـوق البترول، واسرائيل . وبحسب المصادر نفسها، لم يكن من المستبعد أن تكون السلطات الامريكية قـد شـجعت صدام حسين على تجاوز الخط الاحمر . . ومما يدعم هذا الافتراض الحملة الكثيفة المـضادة للعـراق التـي كانت تُشن منذ اشهر ضد "هتلر الصغير" (قضية المدفع العملاق والمفاعلات) .. ودفع الكويتيين للتـشدد فـي المحادثات الثنائية، وتغيّر ردات الفعل الامريكية بعد الاجتياح."[17]

ويؤكد ذلك أيضاً ما قاله وزير الدفاع الفرنسي الأسبق "جان بيير شيفنمان" حيث قـال : ان الحـرب حـصلت "لمحو كل البُنية التحتية الضرورية للحياة في بلد عصري"[18].

أما "شوارتسكوف" قائد قوات التحالف الامريكي فصرّح "إن القضاء علـى البنيـة التحتيـة العراقيـة وعلـى إمكانيات العراق الاقتصادية والعسكرية، والقضاء على السكان والرجال بصورة خاصة : كـان فـي مقدمـة الاهداف التي توختها الحرب ضد العراق .. وان الحرب كانت تهدف إلى قتل الرجال ممـن هـم فـي سـن تُمكنهم من القتال بحيث لا يمكن للعراق أن يمتلك قوة عسكرية قبل مرور جيل أو نصف جيل " [19] .

وبتقرير وزير العدل الامريكي الاسبق "رامزي كلارك" "ان الولايات المتحدة استعملت أسلحة محظورة قادرة على التدمير الشامل، وانها اعترفت بقيامها بـ ١١٠ آلاف عملية جوية ضد العراق القـت خلالهـا ٨٨ ألـف طن من القنابل أي ما يعادل ٧ سبعة أو ٨ ثمانية أضعاف ما قذفته علـى مدينـة هيروشـيما (٥) وان ٩٣ % من القنابل أسقطت بشكل عشوائي وأوقعت مجازر بشرية لم يشهد لها تاريخ الحـروب مثـيلاً. وان مجمـوع

---

[16] - الدستور الأردنية . عمّان ١٤ / ١ / ١٩٩٢ م.

[17] - الدستور ، عمّان، ٢٠ / ٢ / ١٩٩٢ . عن ترجمة كتاب "جان بيير شيفنمان": الذي كان تحت عنوان (شهادات شيفنمان).

[18] - صوت الشعب ١٧ / ٢ / ١٩٩٢ .

[19] و ٥ - الدستور ١٨ / ٢ / ١٩٩٢ .

الدمار الذي لحق بالعراق خلال ٤٢ يوماً يساوي مجموع آثار الحرب العلمية الثانية علـى أمريكـا وفرنـسا وبريطانيا والصين [٢٠]".

ولتحقيق هذا الدمار المقصود وكما قال "رامزى كلارك" : "ان أمريكا اقترفت بحـق العـراق تـسع عـشرة جريمة، اولها : القانون الذي شرّعته في عام ١٩٨٩ وأعلنت فيه أنها تهدف إلى الاطاحـة بـالعراق وتـدمير قدراته العسكرية والمدنية . وثانيها : ما تجمّع من أدلّة لقيام أمريكا بعد مباشرتها بالهجوم بوضع العراقيل فـي وجه المفاوضات للوصول إلى حل سلمي. وثالثها : ما تجمع من أدلّة تثبت مخالفات أمريكـا لبنـود اتفاقيـات جنيف وتحطيمها عمداً كل ما له علاقة بالحياة المدنية من وسائل وتسهيلات ، ..."(٢) .

وعليه فقد اتضح لنا ان الهدف الخاص من حرب الخليج كان تدمير العراق بالكامل وسحق إرادتـه ومعنوياتـه . وكان الهدف العام ضرب الأمة العربية وسحق إرادتها ومعنوياتها، والتحكم بمقـدراتها وثرواتهـا وعلـى رأسها النفط، وذلك من خلال التواجد العسكري المسلّح في المنطقة واستعمارها وحماية اسرائيل وإبقائها قويـة مُهيمنة يظل العرب معها في حالة تشرذم وتبعية كاملة للغرب لا مستقبل لهم ولا أمل!

الفصل الثالث

الأسس النفسية للإعلام الغربي في حرب الخليج

في محاولة تحليل ودراسة ما كتب حول الإعلام الغربي في معركته التي خاضها في حـرب الخلـيج، يمكـن الخروج بمجموعة من الأسس النفسية للإعلام الغربي كما تم اعتمادها لنجاح حملاته في هـذه الحـرب . ولا شك أن دراسة هذه الاسس سيكون مفيداً جداً في متابعتنا اللاحقة لمـا سـوف نعـرض لـه مـن الأهـداف الاستراتيجية النفسية لهذا الإعلام ثم الأساليب النفسية التي اتُبعت .

تدور الأسس النفسية للإعلام الغربي في حرب الخليج على عدة محاور هي بمثابة النظريـات أو الفرضـيات الاعلامية التي تحقق الحد الأعلى من النتائج والمردود الإعلامي النفسي للحملات التي تُنَفذ وهي :

١ ـ الإحتكارية الاعلامية / أو التفرد والتسلط الإعلامي بمعنى شمولية وهيمنة إعلاميـة لا تُبقـي للآخـرين حيز للحركة الإعلامية مما يجعل ادواته محدودة ومحاصرة (فالهيمنـة تعنـي باختـصار : إحتكـار وسـائل الإعلام) . كما تعني هذه الفرضية أن العالم قرية كونية يمكن الهيمنة عليها و "تغطيتها" من قبل الجهة الاكثـر تقدماً في مجالات الاتصال. فالعالم كما رسمه عالم الاتصالات الكندي مارشال ماكلوهان أصبح قرية كونيـة (**global village**) وعليه فان التفوق التقني الاعلامي الغربي من خلال الاقمار الـصناعية التـي تبعـث الاخبار حال وقوعها في جميع أنحاء العالم قلص جغرافية وحدود الدول المعزولة ، وبما أن القريـة الكونيـة تتلقى الرسائل الغربية وخاصة الامريكية من خلال جهاز السيطرة عـن بعـد (**remote control**) فـإن

---

[٢٠] و ٢ - صوت الشعب ١٩ / ٢ / ١٩٩٢ م.

الأرضية والمناخ ممهدان للإعلام الغربي في ساحة المعركة مع العراق ." [21] وتعني هذه الفرضية كـذلك أن الحرب النفسية والحملات الاعلامية ستكون هجومية من منطلق أن "كلمة الحق" هي للجهة التـي تقـول هـذه الكلمة اولاً والتي تستطيع " فرضها" على الساحة الصديقة أو الساحة المحايدة أو على الساحة العالمية ان هـي شاءت. وهذا ما يعتبر الترجمة العملية لنظريات جوبلز في الحرب النفسية والذي سطع خلال الحرب العالميـة الثانية في المانيا والذي اوقع الاثار النفسية الكثيرة في جيوش دول الحلفاء وجماهيرها . إحدى مقولات جـوبلز التي ركن إليها الإعلام الغربي بالنسبة لليوم الأول من العدوان هي التي تقول ان كل من يقول الكلمة الأولـى للعالم فهو دائماً على حق فالكلمة الأولى والحالة هذه صدرت من الغرب واكتفينا باليوم الاول للعدوان ببيـان العراق الشقيق بوقوع العدوان . والحرب النفسية الهجومية أو الدعاية الهجوميـة تعنـي أن العمليـة النفـسية الدعائية التي تصدر عن موقف قوي لا تفرض هيبتها وتأثيرها إذا اتخذت طابع الموقـف الـدفاعي فـالحرب النفسية هي بالأساس هجومية وليست دفاعية.

ويؤكد إحتكارية الإعلام الامريكي ما قاله "جون روس" الإعلامي الامريكي : "يشهد التاريخ أنه كلما تمـضي الولايات المتحدة الى الحرب تكون ترسانات الإعلام الرأسمالي طليعة المجهود العسكري "[22] وتأكيـداً لهـذا الاحتكار والهيمنة الاعلامية يقول روس " : قام بوش بتجنيد وسائل الإعلام الرأسمالية فـي حملتـه التـضليلية وعملاً بالتقليد العريق في تلاعب البيت الابيض بوسائل الاعلام في زمن الحرب تم الإتفـاق مـع عـدد مـن كبرى شبكات التلفزيون والصحف اليومية والاسبوعية الاخبارية على الحملـة الـصليبية العـسكرية القادمـة وقُدمّت لها الوعود باحتلال مقعد في المقدمة حين تبدأ الألعاب النارية" [23].

ولاشك أن هذه الشمولية الإعلامية أو إحتكار الإعلام لا يكون إلاّ من خلال التحكم بالموارد المالية أي ان مـن يملك المال هوالذي يملك الاعلام بشكل متقدم وشامل . وهذا ما هّيأ لدول التحالف بزعامة الولايـات المتحـدة الأمريكية الإستخدام المكثف لوسائل الاعلام بصورة إحتكارية نظراً لسيطرتها وملكيتها لمعظم وكالات الانباء ومحطات التلفزة والإذاعات العالمية، وهذا ما يُفسّر تسابق وسائل الإعلام العالميـة للوصـول إلـى مـسرح الاحداث الذي تواقد عليه اكثر من ١٣٠٠ مراسل قاموا بأوسع عملية تغطية إعلامية فوريـة فـي التـاريخ . وامتداد فترات الإرسال رتّبت نفقات باهظة على بعض الشبكات كما حدث مع شبكة التلفزيون الامريكية "سـي . بي . اس" حيث تكلفت ما لا يقل عن مليون دولار اسبوعياً لمتابعة تطورات الأزمة، وكذلك قنـاة التلفزيـون البريطاني " أي . تي . في " التي كانت تئن تحت وطأة التكاليف الباهظة للتغطية والتي كانـت بـسبب التنـافس على اذاعة ونشر الاحداث لحظة ـ بلحظة ـ وفاز بالتنافس من امتلك المال الكافي كما حدث مع شبكة "سـي.

---

[21] - مروان خير . مصداقية الإعلام العرقاي في المعركة . الدستور ٢٦ / ١ / ١٩٩١ م.

[22] - ورقة عمل قدمت إلى الندوة الدولية حول التغطية الإعلامية في زمن الحرب . عمّان . نشرت في صحيفة الشعب ٢ / ١٠ / ١٩٩١ . جون روس ونورمان سولومون .

[23] - المرجع نفسه .

أن . أن " الأمريكية التي أُطلق عليها اسم "الـصحيفة الألكترونيـة" لبثهـا طـوال ٢٤ سـاعة دون توقـف . فالإمكانات المادية بالإضافة إلى إمتلاك وسائل الإتصال الدولي على ارفع مستوى سمح لهـذه الـشبكة فـي الإستمرار بالاضافة إلى اعتمادها رسمياً كما سيأتي معنا وهي الشبكة التلفزيونية التي تمتلكها مؤسسة "تيرنـر" الإذاعية . وقد نجحت هذه الشبكة في إحتكار التغطية في حرب الخليج، وعبّر عـن هـذا "مارسـيل تـريلاً / إعلامي فرنسي بقوله : "أن القيادة العسكرية الأمريكية في حرب الخليج كانت توهم الصحفيين بانهم اول مـرة في التاريخ يُسمح لهم بمشاهدة الحرب مباشرة ."[٢٤]

واستكمالاً للموضوع فإن الهيمنة والسيطرة الاعلامية المطلقة على كافة وسائل الاعلام العالمية تعنـي بـشكل مباشر تسخيرها جميعاً في خدمة المعركة . "فقوات التحالف وبما تملكه من تكنولوجيا متقدمة في هذا المجـال كان لديها القدرة والمهارة على توظيف وسائل الاعلام للقيام بأعمال الدعاية والخداع بـشكل مـؤثر ، فعلـى سبيل المثال إعتمد البنتاجون منذ البداية شن حملة عن طريق وسائل الاعلام الامريكية والعالمية للمبالغـة فـي قوة العراق وقدرته العسكرية ونقلت الواشنطن بوست عن العسكريين الامريين الامريكن قولهم ان تعظيم قـوة العـدو المبالغ فيها افضل من الاستهانة به ".[٢٥]

من الجميل مرة أخرى اقتطاف هذا التصوير لحشد وتسخير الآلة الاعلامية العالمية الجبارة لجهـود الـذهاب إلى الحرب وشنها بكل ما تحمل من فظائع وأهوال وجرائم انسانية وهـو مـأخوذ عـن ورقـة جـون روس ونورمان سولومون .[٢٦]

" يشهد التاريخ على انّه كلما تمضي الولايات المتحدة إلى الحرب تكون ترسانة الاعلام الرأسمالي في طليعـة المجهود العسكري ورغم الانقسامات العميقة في اوساط الرأي العام حول التكاليف والتجنيـد والـدمار فـإن طبول الحرب تطغى تقليدياً على النقد وسرعان ما يعمد أسياد الصحافة الى إسكات الاصـوات التـي ترتفـع رافضة المبررات السياسية لمثل هذه الاعمال العدوانية . فلقد بعث وليام راونـدولف هيرسـت ببرقيـة إلـى مراسله الميداني في كوبا عام ١٨٩٨ يقول فيها : "أنت وفر الصور وأنا أوفر الحرب"، متباهياً بقدراتـه علـى إقناع الكونجرس الأميركي بإعلان الحرب ومثلما حدث خلال الصراع الاخير في الخليج الفارسي فقـد بـاع هيرست الكثير من الصحف قبل قرن من الزمان غامراً بزعيقه اصوات المعادين للتدخل ومزمراً لأمجاد أول تجاوز امبريالي أميركي كبير خلال ما يسمى الحـرب الإسـبانية - الأميركيـة (١٨٩٨ - ١٩٠٠) وأبـان الحرب العالمية الاولى هلل بارونات الصحافة المتعصبون من أمثال هيرست - متهمين الـذين وقفـوا ضـد التورط بالخيانة - للاعتقالات والاعدامات والابعادات التي قامت بها الحكومة ضد هذا التهديد الاجنبي للقوى

---

[٢٤] ورقة عمل قدمت إلى الندوة الدولية حول التغطية الاعلامية في زمن الحرب . عمّان . نشرت في صحيفة الشعب ٢ / ١٠ / ١٩٩١ .

[٢٥] - الحرس الوطني السعودي . اللواء يسرى كامل عبد ا . مقال الاعلام في حرب تحري الكويت تموز ١٩٩١ .

[٢٦] - الشعب ٢ - ١٠ / ١٩٩١ . ندوة التغطية الاعلامية في زمن الحرب .

العسكرية الأميركية الصاعدة . واذ أعيد تزييت الآلة الدعائية الهائلة استعدادا للحرب العالمية الثانية، خاضت هذه الماكنة "معركة الخير" ضد الشر الهتلري في الوقت نفسه الذي بررت فيه حرق الولايات المتحدة لسكان هيروشيما وناكازاكي المدنيين دليلا على تفوق اميركا الاخلاقي ".

وباختصار فإن (الاحتكارية الاعلامية) أي إحتكار وسائل الاعلام وادواته إنما يُلخّص المقولة : (من يمتلك الإعلام يمتاك الحقيقة) فيكف إذا ترادف ذلك مع ما سنعرضه في النقطة التالية حول (الديكتاتورية الاعلامية) أي السيطرة والتحكم بالمادة الاعلامية ز نعم من يمتلك وسائل الاعلام ويسيطر عليها من خلال الرقابة الصارمة فإنه يكون قادراً على أن يُسمع العالم ما يقوله هو فقط، ومع التكرار سوف يُصدّق ويصبح ما يقوله حقائق لا يرقى اليها الشك.

٢ ـ الدكتاتورية الاعلامية / أو التقييد والتحكم، والضبط والرقابة . بمعنى السيطرة الاعلامية والمركزية الاعلامية المطلقة التي تفرض رقابة تامة محكمة على تدفق المعلومات ونوعيتها توجيهها بشكل يكاد يكون تاماً . وهنا يجب التنبيه منذ البداية على قضيتين الاولى محاولة محاولة الولايات المتحدة الامريكية / زعيمة التحالف، الاستفادة من تجربتها في مجال المعركة الاعلامية في حرب فيتنام، والثانية هي النظرية أو الفرضية الاعلامية التي يرتكز عليها وينطلق منها هذا الأساس النفسي للإعلام الغربي عامةً والامريكي خاصةً في حرب الخليج وهي : "نظرية الاعلام الخاصة بتدفق المعلومات في اتجاه لا اتجاهين، وهي ما تعرف بتدفق المعلومات في اتجاه واحد (**one way flow of information**) مما جعل من المشاهد أو المستمع العربي مجرد متلق (**recepieynt**) أو (مستلم) (**receiver**) لمعلومات مصدرها الغرب ومتجهة للشرق. فليس غريباً تبعا لذلك أن تكون وكالات الانباء الرئيسية في العالم هي غربية، وإذا ما حدث ما يستحق من أخبار تحدث في هذه الدول المتلقية فإن مراسلي وكالات الانباء الغربية هي التي تهتم بنقل هذه الاحداث، هذه النظرية التي تكرس مبدأ الهيمنة الاعلامية الغربية ساعدت كثيرا في التضليل والتشكيك وبشكل خاص بعد وقوع العدوان الجوي الامريكي والاطلسي على العراق صبيحة يوم الخميس ١٧ / ١ / ١٩٩١ ، حيث كانت مصادر الاخبار كلها محصورة فيما تبثه وكالات الانباء وتنقله الاذاعات والصحف وما تنقله الاقمار الصناعية من أخبار جعلت الناس الذين تعرضوا لهذه الهجمة الاعلامية في حالة قلق وتريث [٢٧].

ويؤكد هذه السيطرة الاعلامية والرقابة الديكتاتورية المحكمة ما كشفه العديد من الصحفيين والكُتّاب في الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا حول كيفية ممارسة الرقابة المشددة أثناء حرب الخليج فقد نشرت في صحيفة النيويورك تايمز ان المحررين في (١٥) منظمة إخبارية امريكية كبرى في واشنطن قد وجهوا رسالة إلى وزير الدفاع الامريكي "ديك شيني" في أوائل شهر أيار عام (١٩٩١) يشكون فيها من القيود التي فُرضت على الصحافة من جانب وزارة الدفاع الأمريكية اثناء حرب الخليج حيث مارس البنتاغون رقابة تامة على

[٢٧] - مروان خير . مقال مصداقية الاعلام العراقي في المعركة . الدستور ٢٦ / ١ / ١٩٩١ م.

تغطية الاخبار .[٢٨] ولاشك أن الكثير من المحللين أكدوا على قضية التقييد والتحكم والمراقبـة فـي معركـة الإعلام الغربية في حرب الخليج وذلك من خلال إخضاع وسائل الاعلام وتدفق المعلومات للرقابة العـسكرية بقصد بيان وجهة النظر الامريكية الغربية وبقصد إظهار الحرب التي تخوضها أمريكا للسيطرة علـى منـابع النفط والتحكم بإمداداته وأسعاره وتحجيم القدرات العراقية وكأنها حرب عادلة تهدف إلـى تحريـر الكويـت بتكليف من الأمم المتحدة .

وإذا عدنا إلى مسألة الاستفادة من التجربة الفيتنامية في قضية الاعـلام سـوف نجـد أن القيـادة العـسكرية الامريكية في حرب الخليج كانت تحاول عدم تكرار مشكلة فيتنام فعمدت إلى تشويه الـرأي العـام العـالمي لصالح دعاة الحرب كما يقول الاعلامي الفرنسي مارسيل تريلا بمـا نـصه : "أنـه مـن الواضـح بالنـسبة للصحفيين أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسيطر على تقارير الصحفيين أثناء الحرب ممـا جعـل هـذا الموقف اكبر إساءة من الحرب العالمية الثانية" . "وأشار إلى أن الولايات المتحدة كانـت تمنـع العديـد مـن الصحفيين من زيارة جبهة القتال باستثناء بعض الصحفيين الامريكيين موضحاً أن العقلية العسكرية الامريكيـة هي التي كانت تسيطر على الاعلام وهناك العديد من العسكر الذين تدربوا جيداً على التغطية الصحفية وكـانوا يزودون الصحفيين بالمعلومات مما جعل التغطية الاعلامية تكون وفق الاخراج الأميركي ".[٢٩] وأضاف قـائلاً : "أن العقلية العسكرية فرضت على الرأي العام بان الضربات توجه إلى أهداف عـسكرية ولكـن الحقيقـة ان المستهدف كانت الأحياء السكنية والمدنية مما جعل "نورمان شوارتزكوف" يـصبح رئيـساً لتحريـر جميـع المطبوعات التي تتحدث عن الحرب " وقال "لقد مارست أمريكا أبشع صور القيد الـصحفي وهنـاك جـرائم كثيرة لم تظهر حتّى الآن (٢ / ١٠) كان ضحيتها الآلاف من المدنيين مشيراً إلى ان الجريمـة الكبـرى التـي كشفت مؤخراً وهي دفن الجنود العراقيين أحياء أثناء المعركة الاخيرة بالدبابات".[٣٠]

"وفي مواجهة القيود التي فرضت على حرب الخليج حدث تذمر كبير وسط الصحفيين . فهـدد ٣٠٠ صـحفي من ٢٣ دولة باتخاذ اجراء مباشر مالم يتم رفع القيود التي تفرضها دول التحالف على وسائل الاعلام واعـرب الصحفيون عن رفضهم لهذه القيود .

كما اعلن الاتحاد الدولي للصحفيين أن نظام التقارير الصحفية المشتركة الـذي تتبعـه دول التحـالف يعـوق المعلومات ويشكل عبئا على الصحفيين، وأعرب الاتحاد الذي يمثل أكثر من ١٧٥ الف صـحفي مـن شـتى انحاء العالم عن قلقه الشديد بشأن القيود المفروضة على الصحفيين الذين يغطون أخبار الحرب، وقال انّـه إذا لم تتحسن ظروف عمل الصحفيين الذين يتولون تغطية الصراع بالخليج على الفور فانـه يجـب علـى جميـع الصحفيين والمؤسسات الاعلامية أن يعيدوا النظر في تعاونهم في ظل الترتيبات الحالية.

---

[٢٨] - صحيفة الشعب ٢٩ / ٩ / ١٩٩١ . الندوة الدولية حول التغطية الاعلامية في زمن الحرب .

[٢٩] - المرجع السابق نفسه .

[٣٠] - المرجع السابق نفسه .

وتعددت المشاكل التي أثارها الصحفيون فبخلاف القيود على النشر اعترض معظم المراسلين الحـربيين علـى عدم مساواتهم بمراسلي الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا وهددوا باقتحام الجبهة العسكرية لمتابعة تطـورات القتال كما كانت هناك شكوى عامة من رؤساء تحرير الصحف العالمية بسبب نقـص المعلومـات والحقـائق المتاحة للصحف ولبقية وسائل الاعلام، وهو أمر انعكس على قراء الصحف ومستمعي الاذاعـة ومـشاهدي التلفزيون، ولأن وسائل الاتصال قد لعبت دورا خطيرا في إسقاط الحواجز بين الـدول واصـبح الفـرد فـي طوكيو يشهد ما يجري في الخليج على الهواء مباشرة ونتيجة لذلك اصبح قراء الصحف ومـشاهدو التلفزيـون يتوقعون جديداً في كل لحظة وهو أمر صعب وشاق في ظل تقييد حركـة الـصحفيين وفـي ظـل الرقابـة المفروضة ." [31] وظل شبح حرب فيتنام والاعلام الامريكي في تلك الحرب مسيطراً علىالعقلية الامريكية في حرب الخليج حيث ارادت ادارة الحرب بطريقة لا يعكس الاعلام منها الا الصورة التي يريدها مـديرو هـذه الحرب فقط .

يقول "جون روس ونورمان سواومون": "كانت العمليات العسكرية في فيتنام اول العمليات التي نقلـت انباؤهـا بتفاصيل كاملة على شاشات التلفزيون الامريكي وفي الوقت الذي سعى فيه القادة العسكريون إلى الحـد مـن وصول الصحافة إلى مصادر المعلومات، أتاح الوضع الذي عَمّته الفوضى في الميـدان وانهيـار معنويـات القوات الأمريكية عموماً، للحصفيين امكانية التجوال في شبه جزيرة الهند الصينية موضحين على نحو سـاطع للأهل داخل الوطن (مهما كان ذلك عن غير قصد) ما ينطوي عليه التدخل من حماقة مهلكة واذ تمـرغ أنـف البنتاغون بوحل الهزيمة في فيتنام وجه اصابع الاتهام إلى وسائل الاعلام عن مقتل 55 ألـف شـاب اميركـي واقسم بان يضمن عدم تكرار الخطأ وتحت وصاية رونالد ريغان اطلقت يد القـوات المـسلحة لاسـتبعاد أي شهود اعلاميين على الغزوات الوشيكة وكانت غرينادا واحدة من أول الحملات العسكرية التـي شـنها البيـت الابيض في عهد ريغان وبموجب خطة اعلامية جديدة - وافقت عليها كبرى وسائل الاعـلام باسـتكانة ، لـم يضطلع بتغطية الاستيلاء على تلك الجزيرة الاستوائية الصغيرة الا حفنة من الصحفيين الـذين تـم انتقـاؤهم بعناية، ولكن حتّى "الفرق" المتفق عليها من جامعي الأخبار تُركت على رصيف الميناء حين أبحـر الاسـطول جنوبا لتنفيذ العملية . وعندما حاولت الصحافة القفز من جزيرة إلى أخرى للوصول إلى غرينادا فـي الوقـت المناسب لحضور عمليات التمشيط ابقتها البحرية الأميركية في مياه الخلـيج مُهَـدّدة فـي الواقـع بقـصف الصحفيين إن هم حاولوا النزول إلى البر . وكان من علامات النجاح الذي أحرزه البنتاغون في فـرض تعتـيم إعلامي أن القوات المسلحة تمكنت من إخفاء عشرات القتلى الذين سقطوا عن طريق الخطـأ بنيـران وديـة . وكان غزو بنما في كانون الأول - ١٩٨٩ بمثابة تعميد لجورج بوش فـي الادارة الاعلاميـة خـلال زمـن الحرب وكان سخط وسائل الاعلام الرأسمالية على الطريقة التي اجراها البنتاغون، ولكن علـى الـرغم مـن

[31] - الحرس الوطني . السعودية . عدد شهر تموز ١٩٩١ . مقال الاعلام في حرب تحرير الكويت . اللواء يسرى كامل عبد ا .

التوجهات الجديدة فإن القيود المفروضة على الصحفيين "كانوا ينقلون جوا متأخرين مـدة يـوم لكـي ينـسج البنتاغون روايته عن الهجوم - اثارت حنق الصحافة العالمية . وبعـد أن عُـزل الـصحفيون فـي حـصن عسكري اميركي بذريعة وجود خطر عليهم شخصيا كسرت الصحافة الطوق المضروب عليها وتوجهت إلـى بنما سيتي ولكن ليس قبل ان يسقط مصور لصحيفة ايل بايس الاسبانية ذائعـة الـصيت بنيـران دبابـة تابعـة للجيش الأميركي .

ورغم التمرد على القيود العسكرية فإن غالبية الصحفيين نقلوا احداث بنما بصيغة معدة سلفاً لقد أثبـت نجـاح جورج بوش في لجم الاعلام حول بنما انّه كان بروفة لادارة الاعلام خلال حرب الخليج وكان الرهـان اكبـر بكثير بالنسبة لواشنطن في صيف ١٩٩٠ فلقد دفع بنصف مليون جندي في النهاية الـى ميـدان تلـك الحـرب للدفاع عن تدفق النفط إلى الشمال الصناعي واذ أعلن بوش قيام نظام عالمي جديد كتعبير ملطف عـن هيمنـة الولايات المتحدة على الساحة الدولية في ضوء الانهيار السوفياتي قام في وقت سابق بتجنيد وسـائل الاعـلام الرأسمالي في حملته التضليلية وعملا بالتقليد العريق في تلاعب البيت الابيض بوسـائل الاعـلام فـي زمـن الحرب تم الاتفاق مع عدد من كبرى شبكات التلفزيون والصحف اليوميـة والاسـبوعية الاخباريـة واعلـن البنتاغون قواعد جديدة كالعادة إذ كان يراد لهذه الحرب ان تكون حرب معقمة لن يكون فيها حـساب معلـن لعدد الجثث على النحو الذي اتعب الضباط الذين كانوا يمثلون الجيش امام الصحافة (لوس انجلوس تـايمز ٢٠ كانون الثاني ١٩٩٠) بل ان الموت نفسه كان يراد له ان يُقصى من ارض المعركة فتحـرك البنتـاغون لمنـع كل الصحفيين من الوصول إلى الاصابات العائدة من المعركة"[٣٢].

وإذا ما رجعنا إلى مسألة تدفق المعلومات في اتجاه واحد مما يبرهن على ان الاعـلام كـان بالكامـل تحـت الرقابة الديكتاتورية الامريكية فإن "جون روس ونورمان سولومون" يشيران بوضوح إلى ذلـك فـي ورقـتهم حول التغطية الاعلامية في زمن الحرب التي جاء فيها ما يلي : "في المقدمة التي اعدت لكتاب "مصادر غيـر موثوقة" وهو كتاب جديد يفحص مصداقية وسائل الاعلام، يشير مارتن لي ونورمـان سـولومون إلـى قيـود أخرى فرضها البنتاغون على الصحافة خلال حرب الخليج .

"أن الصحفيين الذين تعين عليهم ان يوقعوا اوراقا يوافقون على الإلتزام بانظمة الصحافة قبل الحـصول علـى تاشيرة الدخول إلى العربية السعودية، وجدوا النشاطات العسكرية الامريكية في عموم المنطقـة بعيـدة عـن متناولهم من حيث الأساس . إذ كان يتعين على كل الصور واشرطة الفيديو والتقارير الواردة من الميـدان، ان تمر على يد الرقيب العسكري للموافقة عليها. ولم يسمح للحصفيين الا بالسفر في "فرق" محددة سـلفاً (١٢٦) شخصا مع وجود مرافقين عسكريين اميركيين إلى جانبهم على الدوام وكانت المتطلبات التي يفرضها العمـل في فرق تجعل من الاسهل بكثير على المسؤولين الاميركيين أبعاد الصحفيين عـن عمليـات معينـة . وكـان الصحفيون المشاكسون يستبعدون في احيان كثيرة . ولم تكن الرقابة على الصحافة تهدف إلى حمايـة القـوات

[٣٢] - المرجع نفسه .

الامريكية بقدر ما كنت تهدف إلى تقديم الصورة المطلوبة لكي يقدم الاميركان داخل الوطن دعمهم للحـرب وكانت بعض القواعد مضحكة بحق كما حدث عندما سأل مراسل خلال مؤتمر صحفي في العربية الـسعودية ما إذا كان الجنرال نورمان شوارزكوف يزن ٢٥٠ رطلا . فقد اجاب احد الـضباط الامـريكيين قـائلاً : ان الجنرال شوارزكوف رجل ضخم ولكن الانظمة تحظر الكشف عن وزنه . ومن التفاصيل التي حذفها الرقيـب الامريكي ونقلتها الصحافة البريطانية (صحيفة اندبيندنت اللندنية شباط ١٩٩١) الحقيقة الماثلـة فـي ان افلامـا جنسية كانت تعرض على الطيارين الاميركيين قبل الاقلاع في مهمات قصف بالقاذفات الشبحية مـن طـراز "ستيلث" "والحق ان الصحفيين كانوا احيانا يتذمرون من القيود وقال مراسل نيويورك تايمز مـالكون بـروان، الذي حاز ذات يوم على جائزة بوليتزر لكتابته الصحفية من فيتنام "ان نظام الفرق الصحفية يحـول الـصحفيين إلى موظفين لدى وزارة الدفاع بلا اجر من حيث الأساس ." وعلى الغـرار نفـسه صـرح وزيـر الـدفاع الامريكي، ديك تشيني، لصحيفة تايمز قائلا ان التغطية الاعلامية لحرب الخليج كانت "نموذجـا للمـستقبل" (٥ ايار ١٩٩١). ويفترض بأن ذلك النموذج كان يشمل على اداء مشاة البحرية الاميركيين الذين اعتقلوا مـصور مجلة تايم "ديسلي بوكس" وعصبوا عينيه وأبقوه سجينا لمدة ٢٦ ساعة تحت الحراسة المسلحة لانه ابتعـد عـن فريق من الصحفيين كان يرافقه عسكريون (لوس انجلوس تايمز ١٢ شباط ١٩٩١).

ويضفي اعتقال بوكس وغيره من الصحفيين الذين لم يلتزموا بقيود البنتاغون على الـصحافة معنـى جديـدا على مصطلح "اسير الحرب" فقد تملكت مشاعر الاستياء حتّى فريد هوفمان مراسـل وكالـة اسوشـيتدبريس السابق الذي ساعد في رسم سياسات البنتاغون ازاء الصحافة في غرينادا وبنما حين كـان موظفـا فـي وزارة الدفاع .

وفي اليوم نفسه الذي وصف فيه تشيني تلك السياسة بانها "نموذجاً للمستقبل" صرح بوكس لـصحيفة نيويـورك تايمز قائلا " ان ما يجري في الخليج اشد تقييدا من أي شيء كنا نتوقعه".

ولكن حماسة ممثلي وسائل الاعلام الأميركي لعملية "عاصفة الصحراء" كانت حماسة محمومة رغم الحملـة التي شنتها حكومتهم للتعتيم على الانباء وفي حين ان القوات الأميركية في الخليج اسرت في الواقع عددا قلـيلا من الصحفيين فان كبار الاعلاميين احالوا المواطنين الاميركيين إلى اسرى للحرب التـي كانـت تنقـل إلـى بيوتهم وقد اصيب مراسل صحفية اندبيندنت اللندنيـة، روبـرت فيـسك، بالـذهول حـين رأى المراسـلين الامريكيين وهم يرتدون الزي العسكري الأميركي والرسالة التي كان ينقلها مثل هـؤلاء الاعلاميـين الـذين يرتدون البدلات العسكرية إلى الاهل داخل الوطن البا ما كانت تشير إلى الجنود الامريكيين على انهم جنودنـا" وكان المنطق الاعوج لمهمة الولايات المتحدة يقدم للأطفال الامريكيين بهذه المعاني بـين افـلام الكـارتون صباح يوم السبت على شبكتين من اكبر ثلاث شبكات تلفزيونية في الولايات المتحدة ولم يكرم جـورج بـوش تكريما اكثر مدعاة للسخرية من ذلك التكريم الذي استضافه نادي جريديرون فـي ٢٣ آذار حـين صـفق ٦٠ صحفيا من صحفي واشنطن المرموقين لانتصار الرئيس على "صدام حسين الشرير" ولعل مايكل ديفر طبيـب

رونالد ريغان الاعلامي المغضوب عليه . هو الذي قدم خير وصف لنجاح البيت الأبيض فـي ادارة الأنبـاء الواردة من الخليج . فلقد تحدث بعد يوم من المجزرة التي ارتكبتها القاذفات الامريكية الشبحية بحق مئات مـن النساء والاطفال العراقيين في ملجأ بأحد أحياء بغداد مادحاً البنتاغون على تعامله الذكي مع وسـائل الاعـلام في حدث كان بالامكان ان يشكل مصدر للمتاعب. وصرح خبير العلاقـات العامـة الـشهير فـي واشـنطن لصحيفة نيويورك تايمز (١٥ شباط) قائلاً "بأنه لو استاجرت شـركة للعلاقـات العامـة للإضـطلاع بمهمـة العلاقات الإعلامية حول حدث دولي، لما تم ذلك بشكل افضل مما يتم الآن "[٣٣].
ويأتي ضمن هذا الجانبن أي الديكتاتورية الإعلامية ما يساعد على تأكيدها وترسيخها وهو ما يكـن ان يعـرف بعملية التصفية والإختيار أو الفرز والإنتخاب.

التصفية والإختيار / أو الفرز والإنتخاب

وهو يعني الإختيار لتحديد العاملين في الاعلام أثناء الحرب وأولئك الذين سيسمح لهم بالتغطيـات الاعلاميـة لأخبار الحرب في الخليج . فقد اعترض معظم المرسلين الحربيين على عدم مـساواتهم بمراسـلي الولايـات المتحدة وفرنسا وانجلترا وهددوا باقتحام الجبهة العسكرية لمتابعة تطورات القتال .[٣٤]
ووفقاً لما ذكرته ورقة "جون روس ونورمان سولومون [٣٥] " "فانه واستنادا إلى تقرير أعدّه "صـندوق التعبيـر الحر : وهو مشروع من مشروعات منظمة متابعة حقوق الإنسان في الشرق الأوسط (ووتـش) "فـإن الإدارة كنت على ما يبدو تفضل الصحفيين الذين من المرجح ان تكون تغطيتهم إيجابية للمجهود الحربي ."!!
كما تبين من دراسة أجرتها لجنة "النزاهة والدقة في العمل الصحفي " ان من بين (٨٧٨) صحفياً قاموا بالبـث على أضواء شبكات تلفزيون / **a.b.c / n.b.c / C.b.S** أثناء فترة الحرب أنه يوجد صـحفي واحـد لا غير ينتمي إلى احدى حركات السلام [٣٦] وهذا يعني أن الصحافيين الذين سمح لهم بالتغطيـات بعـد عمليـات الفرز هم ليسوا مع حركات مناهضة للحرب بل ربما معها.

٣ ـ الفورية والشمول

كما قال "مارسيل تريلا" أن القيادة العسكرية الأمريكية في حرب الخليج كانت تـوهم الـصحفيين بـأنهم لأول مرة في التاريخ يسمح لهم بمشاهدة الحرب مباشرة" وهذا القول ينطوي على شيء من الواقـع الـذي عاشـه الإنسان أثناء حرب الخليج حيث كان يتابع على مدى ٢٤ ساعة اولاً بأول تطورات الأحداث ووقـائع الحـرب وإن كان ذلك مبرمجاً إلى حد بعيد ومسيطراً عليه تماماً وموجهاً كما يريد لـه صُـنّاعه ومـديروه . ولكـن

---

[٣٣] - المرجع السابق نفسه .

[٣٤] - الحرس الوطني . السعودية . تموز ١٩٩١ . مقال الاعلام في حرب تحرير الكويت .

[٣٥] - صوت الشعب ٢ / ١٠ / ١٩٩١ .

[٣٦] - هاشم خريسات . من الندوة الدولية حول التغطية الاعلامية في زمن الحرب . صوت الشعب ٢٩ / ٩ / ١٩٩١ .

الفورية والشمول كان مبدأ متبعاً لا حياد عنه حتّى لا تتشوه الصورة المراد لها أن ترسخ في أذهـان المتلقـين على امتداد الساحة العالمية.

ولأول مرة كانت التغطيات الإعلامية في حرب الخليج شاملة وبالوقت نفسه فورية لا تتوقف للحظـة واحـدة واشتد التنافس بين وسائل الاعلام حتّى ظهر بما يمكن أن يُسمى "الحُمّى الإعلامية" فبالإضافة للتغطيـات كـان هنالك التحليلات لتطورات المواقف العسكرية والإستنتاجات المتوقعة على شكل تقارير أو لقـاءات أو نـدوات أو دراسات اكاديمية وإحصائيات أو تصريحات وجو مثل هذا يخدم الحرب النفـسية ومعركـة الإعـلام فـي العمق.

ولاشك ان الفورية والشمول كأساس نفسي عملي للإعلام الغربي في حرب الخليج ما كان ليتحقق لو لـم يـتم تحقيق الاساسين الأول والثاني وهما الهيمنة الاعلامية وامتلاك وسائل الاعلام من جهة والـسيطرة الاعلاميـة المطلقة والتحكم بالمادة الاعلامية من الجهة الاخرى، مما هيّأ التربة والمناخ لهذا الأساس الهـام فـي حملـة إعلامية تواكب اكبر حملة عسكرية شهدها العالم في الوقت الحاضر.

يقول السيد ياسين خبير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام "ان الإعلام الأمريكي فـي تغطيتـه لأخبار الحرب طبق ببراعة منقطعة النظير النظرية الإعلامية الأمريكية السائدة والتـي تقـوم علـى شـعار أساسي مفاده "رؤية كل شيء حالاً وفي كل مكان" وفي ضوء هذه النظرية تَمتّ التغطيـة الإعلاميـة لحـرب الخليج التي رُوّج لها وكأنها سلعة من السلع - التجارية - وبأنها ستكون "تكنولوجية " و" نظيفـة" و "سـريعة حاسمة" ولعل ما يعكس سيادة هذه النظرية وآثارها في خلق الوعي الزائف بالحرب "النظرية" الـسريعة التـي لا توجه صواريخها إلاّ إلى الأهداف العسكرية ما أذاعه بيتر آرنت مراسل شبكة **CNN** الأمريكية من صـور لعشرات المدنيين من قتلى الملجأ - ملجأ العامرية - قد أدى إلى صدمة للمشاهدين في العـالم فقـد ادركـو للمرة الأولى منذ اندلاع الحرب انها أدت إلى مصرع عشرات الألوف من المدنيين الذين غابت صور مـوتهم البشعة في إطار التعتيم الإعلامي ."[٣٧]

هذه بشكل عام الأسس النفسية للإعلام الغربي، ولا شك ان هنالك اسساً نفسية أخرى ولكن هـذه هـي الأهـم والأبرز فيما اعتمده الإعلام الغربي عامة والأمريكي خاصةً في هذه الحرب والذي كان هدفه التـضليل عـن الوقائع الحقيقة في جميع مراحل الحرب مما يخدم المصلحة الغربية من خلال إظهـار الحـرب انهـا حربـا (نظيفة)!!

---

[٣٧] - الحرس الوطني - السعودية مايو / أيار ١٩٩١ مقال الإعلام في زمن الحرب .

الفصل الرابع

الأساليب الإعلامية النفسية الغربية في حرب الخليج

لبحث الأساليب النفسية الإعلامية التي اتبعها الإعلام الغربي في حرب الخليج لابد أولاً مـن التعـرف علـى الأهداف النفسية الإستراتيجية للحرب الإعلامية التي دارت رحاها قبل ومع وبعد حرب الخليج .

الأهداف النفسية الإستراتيجية في حرب الخليج

استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة دول التحالف كافة وسائل الاعلام المختلفة لتحقيق أغراضـها العسكرية ضمن خطة اعلامية مبرمجة ومنسقة منذ بداية التحضير للهجوم ومازالات مـستمرة حتّـى الوقـت الحاضر. وقد هدفت هذه الخطة الاعلامية إلى تحقيق الأمور التالية:

١ ـ اقناع الرأي العام الامريكي بشكل خاص والرأي العالمي بشكل عام بشرعية اتخاذ قرار الحـرب ضـد العراق وذلك باظهار العراق بمظهر الدولة القوية المنتهكة للشرعية الدولية والمعتدية علـى احـدى الـدول الاعضاء في هيئة الامم والطامعة في الإستيلاء على جميع الدول المجاورة لها عربيةً واسـلاميةً مـن خـلال الهيمنة العسكرية في المنطقة واظهار جيشها بانه رابع أقوى جيش في العالم.

٢ ـ تضليل الرأي العام العربي عن حقيقة الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة والتـي يقـف على رأسها هدف السيطرة على منابع النفط والتحكم بإمداداته وأسعاره . وإظهارها بمظهر الـصديق الحليـف المحافظ على أمن دول المنطقة ضد التهديد العراقي للدول العربية والإسلامية المجـاورة وأطمـاع القيـادة العراقية الذي ابتدأ بإجتياح وضم الكويت.

٣ ـ عمل كل ما من شأنه ـ في المجال الإعلامي النفسي ـ أن يخدم الأهداف الإستراتيجية للعمـل الحربـي عموماً كما سبق وفصلنّاها في الفصل الثاني، والحيلولة دون تدخل أي شيء قد يعيـق أو يفـسد تحقيـق تلـك الأهداف . بما فيها المنطقة وإتخاذ كل ما يلزم من اجراءات تساعد على إيقاف وعدم تكرار عـدوان العـراق على أي من جيرانه .

٤ ـ بناء التحالف من خلال كسب تأييد وتعاون البلدان المحايدة، ومن ثم الإبقاء والمحافظـة علـى التحـالف وتماسكه تحت مظلة الشرعية الدولية والأهداف الإنسانية المعُلنـة . وبالمقابـل تفكيـك وإضـعاف التحـالف (المعُادي) إنْ وجد والحيلولة دون قيام أي تحالف أو شبه تحالف مع تطور الحرب .

٥ ـ ردع ودفع العراق إلى الإستسلام عن طريق تحطيم معنوياته وكسر إرادة القتال لديـه وعزلـه وإبقائـه وحيداً بلا نصراء ولا أصدقاء ومن ثم تدمير قدراته العسكرية وقوته المادية .

٦ ـ إظهار الحرب في جميع مراحلها حرباً نظيفةً من خلال الأسس النفسية التي سبق وشرحناها فـي الفـصل الثالث والتي تفضي إلى ممارسة الأساليب الإعلامية التي سنعرض لها في هذا الفصل وعلى رأسها عمليـات

التعتيم والكذب والخداع، وإظهار الحرب باعتبارها حرباً عادلة، شـرعية - فالولايـات المتحـدة الامريكيـة تمارس حرباً عادلة تهدف إلى تحرير الكويت بتكليف من الأمم المتحدة - أما إظهارها حربـاً نظيفـة : أي أن لا يظهر الموت من خلال وسائل الإعلام وكأنما قد أُقصي عن الساحة تماماً، فكان يُراد لهذه الحرب أن تكـون حرباً (معقمة) لا يكون فيها حساب معلن لعدد الجثث تفادياً لما حدث في فيتنام من قبـل . وقـد كـان شـعار الحرب النظيفة . من أكثر الشعارات بروزاً وتكراراً طوال فترة الحشد ثم العمليات، وجاءت الوقـائع العمليـة كلها لتثبت عكس ذلك تماماً.

٧ - التمهيد لقيام النظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة وتحسين صورته عالميا وذلك من خـلال ارتدائه لباس الشرعية الدولية وإظهاره بمظهر المحافظ على العدالة وإقرار السلام العالمي وعدم السماح لاي كان بالخروج عليه. ويفضح حقيقة هذا الهدف ما سبق وذكرناه على لسان "جون روس ونورمـان سـولومون" في الفصل السابق بالقول : "وكان الرهان أكبر بكثير بالنسبة لواشنطن في صيف ١٩٩٠ فلقـد دفـع بنـصف مليون جندي في النهاية إلى ميدان تلك الحرب للدفاع عن تدفق النفط إلى الشمال الـصناعي واذ أعلـن بـوش قيام نظام عالمي جديد كتعبير ملطف عن هيمنة الولايات المتحدة على الساحة الدوليـة فـي ضـوء الإنهيـار السوفياتي قام في وقت سابق بتجنيد وسائل الإعلام الرأسمالية في حملته التضليلية عملاً بالتقليـد العريـق فـي تلاعب البيت الأبيض بوسائل الإعلام في زمن الحرب."[٣٨]

٨ - تطوير الحرب الإعلامية تصاعدياً على نحو متماسك مترابط للبلوغ إلى غاياتها القصوى بـالتزامن مـع الأعمال الحربية، بما يستلزمه ذلك من تطوير الخطط والأساليب .

وبعد هذا الإستعراض السريع للأهداف النفسية الإستراتيجية لمعركة الاعلام الغربية في حرب الخلـيج يمكننـا التعرض للأساليب الاعلامية النفسية التي أتُبعت في هذه الحرب.

الأساليب الإعلامية النفسية في حرب الخليج

لقد استعرضنا الأهداف النفسية الإستراتيجية في حرب الخليج، وفي هذا الجزء من الفصل سوف نتعّرف علـى الأساليب التي اتبعها الإعلام الغربي عامةً والأمريكي خاصةً لتحقيق هذه الأهداف. ونجد أنفـسنا مـضطرين إلى تقسيم هذه الأساليب إلى قسمين ، أساليب عامة وآخرى خاصة . والعامة هي تلك الأساليب الـشاملة التـي كانت نهجاً انتهجته وسائل الاعلام الغربية رمى بظلاله ولّون بألوانـه مختلـف نـشاطاته . وأمـا الاسـاليب الخاصة فهي الاساليب التي مارستها تلك الوسائل لتحقيق أهدافها النفسية في حرب الخليج جنباً إلى جنب وفـي ظل تلك الاساليب الكبرى .

---

[٣٨] - صوت الشعب ٢ / ١٠ / ١٩٩١ .

الاساليب العامة

وهي أسلوب الكذب وأسلوب الخداع وأسلوب التعتيم والتي تشكل الثالوث الأخطر والأبرز في معركة الاعلام في حرب الخليج . ولو رجعنا إلى الأسس النفسية التي تناولناها في الفصل الثالث لوجدنا أن أسـلوب الكـذب جاء من الهيمنة الإعلامية ومن أساس الفورية والشمول فهي التي هيأت لاستخدام الكذب مع غيـاب الجهـات الاعلامية ووسائل الاعلام الاخرى . وأما أسلوب الخداع فهو نتاج الهيمنة الإعلامية وأحتكار وسائل الاعـلام من جهة ونتاج السيطرة الاعلامية وممارسة الضبط والرقابة التامة على وسائل الإعلام. ويدخل فـي أسـلوب الخداع كما سيأتي معنا الإعتماد على التحويل والتضليل كأسلوب وعلى ما يُعرف باسـلوب أونظريـة التـأثير النائم مما سيأتي تفصيله في حينه . وأما أسلوب التعتيم فهو المحصلة الأكيدة للأسـاس النفـسي الثـاني وهـو السيطرة الإعلامية أو التحكم والتقييد والضبط والرقابة على وسائل الإعـلام ممـا يـصح أن تُـسمى معـه بالديكتاتورية الاعلامية . ومما تجدر الإسارة إليه قبل الخوض في التفاصيل أن هـذه الأسـاليب التـي هيّـأت لممارستها تلك الأسس الصارمة التي ذكرناها، سوف نجدها متداخلة تقوم بأدوارها بالتآزر مع بعضها الـبعض فهي عملية إعلامية واحدة أولاً وأخيراً فيها التنوع والإنقسام وبالوقت نفسه فيها الترابط والإنسجام .

أ - الكذب

برز الكذب كاسلوب رئيسي في مرحلة الحرب الجوية عندما نقلت في ليلة السابع عـشر مـن كـانون الثـاني تفاصيل العدوان الجوي وكانت الصورة غير ما أريد لها بتصوير العراق وقد انتهى . وكانت حملة الأكاذيـب انما تهدف إلى إيجاد المبررات لتنفيذ خطة التدمير الشامل ضد العراق بهدف إخراجه كما صرحوا من القـرن العشرين وإعادته إلى العصر الحجري. وكان الكذب وما رافقه من خداع وتضليل للرأي الأمريكي للحـصول على الشرعية في العمليات اولا ولاستمرار التحالف ثانيا ولتبرير الإعتداءات والدمار الشامل الـذي سـيلحق بالعراق ثالثاً واخيراً . ومن الأمثلة على الكذب ما قيل في سبب اصابات المدنيين العالية في العراق انّـه كـان لانحراف القذائف بفعل الأحوال الجوية أو لعودة قذائف العراقيين المضادة، وفي تقليل القدرة العراقيـة فقـد قالوا أن اصابة القاذفة ب ٥٢ كان بسبب خلل فني ميكانيكي، ومقتل الأحد عشر جندياً في الخفجي فقـد كـان لاصابة عربتهم بنيران صديقة عن طريق الخطأ.

ومن أبرز الأكاذيب ما روجه الاعلام الغربي من قصص خيالية مدسوسة عن وجود مؤامرة شـيطانية كبـرى لتقسيم الجزيرة العربية تشارك فيها دول عربية . يقول "جيمس أكنز" في مقالته عن مستقبل الـشرق الأوسـط في النظام العالمي الجديد [٣٩] : "أن استخدام مثل هذا الروايات الخرافية جرى بشكلٍ متعمد مـن أجـل تجزئـة المنطقة والتوقف عن مساعدة الدول العربية الفقيرة".

---

[٣٩] - الشعب . عمّان . ٣٠ / ٩ / ١٩٩١ .

يُجمع المحللون والدارسون للإعلام في حرب الخليج أن وسائل الإعلام التي سـخرها الغـرب لحملتـه علـى العراق كرسّت أقصى الطاقات والإمكانيات لتشويه الحقائق وإسباغ الشرعية والعدالة علـى حـرب مـدمرة ظالمة "كانت شعارات الإدارة الأميركية التي تسوق الاميركيين خلفها منذ البداية .. كلهـا كـذب وخـداع .. انطلق الشعار الأول الذي يقول .. ستدافع الولايات المتحدة عن الشرعية الدولية ضد دكتاتورية الرئيس صـدام الذي قتل الديمقراطية في الكويت . وكان شعار الحملة العدوانية الثاني .. سنرسل قواتنا إلى السعودية للـدفاع عنها. ثم تحول هذا الشعار بعد ان اصبح الحشد كافياً إلى أن الهدف هو إخراج صدام حسين من الكويت . ثـم تحول هذا الشعار إلى تدمير البنية العسكرية والصناعية في العراق ثم تحول الهدف إلى تدمير العراق بكاملـه لاعادته للعصر الحجري . ثم أصبح الهدف ملاحقة الرئيس صدام حسين نفسه .

والحقيقة التي لا جدال فيها.. أن الهدف الأول والأخير هو ضرب القدرة العربية، والإرادة العربية مـن أجـل حماية إسرائيل أولاً وثانياً وثالثاً وسلب الثروات العربية رابعاً .

هكذا تُوجهُ المطحنة الإعلامية في الولايات المتحدة والغرب : ينتقل الساسة من شعار إلـى شـعار يرسـخون الشعار في نفسيات المواطن هناك ويدعمونه باستطلاعات تفصل علميـاً لتناسـب نتائجهـا الهـدف النفـسي ويدعمونه أيضاً بخبراء نفسيين من مكاتب الإستخبارات الأمريكية والغربية التي لا تـؤمن الا بتـصفية ارادة الشعوب وحكامها الرافضين للهيمنة الغربية ثم ينتقلون إلى الشعار الذي يليه وخلفهم تسير اوركسترا أعلاميـة ببرامج وتحليلات مركزة متكرره حتّى ترسخ المفاهيم الجديدة وهكذا في عملية تصعيدية حتّى تصبح الجريمـة فضيلة لدى الرأي العام عندهم ." [٤٠]

التشويه كاسلوب من أساليب الكذب المتعمدة:

وأخيرا فإن عملية الكذب الإعلامية تقتضي التلاعب بالأخبار بقصد تشويهها لايـصال المعلومـات بالطريقـة التي تخدم هدف الجهة التي تنشر وتذيع وتوجه الأنباء والمعلومات .

وعملية التشويه بدأت ممارستها منذ اعلن العراق على لسان رئيسه بعد تهديد العراق وتصعيد لهجة الخطـاب العدواني من المنابر المختلفة، من أمريكا، اوروبا، واسرائيل مما إضطر الرئيس العراقي لاعـلان صـموده وأنه سوف يرد على أي تهديد بحرق نصف اسرائيل ان هي إعتدت عليه أو على اية دولـة عربيـة . وصـار الاعلام الغربي يحذف الفقرة الإخيرة : "إن هي قامت بالاعتداء على العراق" . بشيء آخر حدث في الإعـلام الغربي وهو التشويه المتعمد فعلى سبيل المثال لجأ الاعلام البريطاني إلى أسلوب تـشويه الحقـائق وتزييفهـا وكانت ابرز حادثة من هذا القبيل تلك المتعلقة بتصريح الرئيس العراقي الذي ذكر أن أي هجوم سـيؤدي إلـى أن تصبح الكويت مقبرة للمعتدين وقد اقدمت وسائل الاعلام المختلفة على حذف الكلمة الاخيـرة (المعتـدين) الأمر الذي أدى إلى تحوير المعنى فاصبح التصريح يذاع على أساس أن الرئيس العراقي سيحول الكويت إلـى

---

[٤٠] - محمد أمين . صدام حسين الإرادة العربية والإسلامية . عمّا ن.

مقبرة – بمعنى أن سكانها سيقتلون وشتان بين المعنى الاول الذي يحمل معاني التصميم للدفاع بصلابة ضد المعتدين والمعنى الثاني بما فيه من معاني القسوة والدمار وحب سفك الدماء وقد احدثت اذاعة هذا التصريح على هذا النحو بلبلة واسعة لدرجة أن العرب المقيمين في بريطانيا صاروا يستنكرونه.

ومن الأمثلة الأخرى على التشويه والكذب تباكي الرئيس الأمريكي على إدعاء أن العراقيين سرقوا حاضنات الأطفال من مستشفيات الكويت، وهذا الموضوع فيه إثارة عواطف كل أم في كل بيت أمريكي، كما انّه تشويه لا إنساني للعراقيين في مختلف انحاء العالم. وينطلي هذا الاسلوب على البسطاء فقط وما اكثرهم في أوساط الشعب الامريكي [41] وهكذا فقد بدأت الحملة الإعلامية الغربية والأمريكية ضد العراق بالكذب واستمرت به وبمستلزماته وتوابعه من خداع وتضليل. يقول السيد ياسين في مقالٍ له نشر في الأهرام ١٢ / ٤ / ١٩٩١ مما يضيء الصورة أكثر حول مسألة الكذب والتشويه لقد شاهدنا جميعاً على شاشة التلفزيون صواريخ تطلق ولا ندري من أي مكان تحديداً، وتذهب في الفضاء ولا نرى أين سقطت، والأهم من ذلك لا نعرف ما هو الدمار الذي أحدثته وهكذا استطاع الإعلام الأمريكي لاحتكاره للصورة وهيمنته على نظام الإعلام العالمي أن يُعطي للحرب صورة مشوهة هي أقرب للوهم منها إلى الحقيقة"[42].

ب – الخداع

ظهر كعامل رئيسي في المرحلة التي تلت الهجوم البري حيث ترافق الخداع والتضيل مع الكذب والتعتيم لتحقيق الأهداف النفسية والدعائية للحملة العسكرية، مما يهيء إحكام الخطة التي بدأت بالحصار ثم بالهجوم الجوي والبري ثم بالمؤامرات وإثارة الفتن الشيعية والكردية وغيرها مما يحقق الهدف بالتدمير الشامل التام للعراق ثم تقطيع اوصاله وتمزيق ما يتبقى منه حتّى لا تقوم له قائمة لعشرات السنين وحتى يكون عبرة لغيره عند التفكير ببناء قوة والمطالبة بحقوق تؤدي إلى تهديد المصلحة الغربية في النفط والثروة والسوق وتؤدي إلى تهديد الوجود الإسرائيلي أو تقليص أحلامه بالتوسع على حساب العرب .

وكما ذكرنا منذ البداية أن أسلوب الخداع إنما هو نتاج للهيمنة الإعلامية وإحتكار وسائل الإعلام من جهة ونتاج السيطرة الإعلامية وممارسة الضبط والرقابة الصارمة على وسائل الاعلام من جهة أخرى.

ويعتمد هذا الأسلوب على فرضيات ونظريات إعلامية ونفسية معروفة كالتحويل أو الدعاية التحويلية ونظرية التأثير النائم .

١ – أما التحويل فأساسه ما يطلق عليه الدعاية التحويلية : diversionary propoganda) والتي يقصد بها تحويل الإنتباه عن الموضوع الأصلي إلى موضوعٍ ثانوي بديل. ففي حرب الخليج كان الإعلام الغربي

---

[41] - محمد أمين . صدام حسين الإرادة العربية والإسلامية عمان ص . (٧٣)

وانظر في الفصل ٧ / الإعلام العربي وتحت عنوان الإعلام العربي المتحالف كيف انكشف كذب هذه القصة وتبين أنها تلفيق محض . صوت الشعب ١٩ / ١ / ٩٢ ، الدستور ٨ / ١ / ٩٢ ، الرأي ١٦ / ١ / ١٩٩٢ .

[42] - الحرس الوطني السعودي . مايو / أيار ١٩٩١ مقال الإعلام في زمن الحرب .

وعلى رأسه الإعلام الامريكي يعمل على تحويل انتباه الرأي العام العالمي عامةً والرأي العام الأمريكي بشكل خاصٍ ومتعمد عن الجرائم المرتكبة ضد العراق وأهله وإعادة توجيهه مُجدداً عن طريق العمل على ا لتركيـز على بعض القضايا الثانوية معتجاهل المعاناة التي يعيشها الشعب العراقي نتيجة ما لحق به مـن قتـل ودمـار للأنفس والممتلكات . يقول مارسيل تريلا / الإعلامي الفرنـسي : "أن العقليـة العـسكرية ـ الأمريكيـة ـ فرضت على الرأي العام بأن الضربات توّجه إلى أهداف عسكرية ولكن الحقيقة أن المستهدف كـان الأحيـاء السكنية والمدنية مما جعل "نورمان شوارتزكوف " يصبح رئيساً لتحرير جميع المطبوعات التي تتحـدث عـن الحرب " أما ورقة "جون ونورمان سولومون" فتصف أسلوب التحويـل والتـضليل الـذي اعتمـده الإعـلام الامريكي على هذا النحو : "المنطق الأعوج لمهمة الولايات المتحدة يقدِّم للأطفال الأمريكان بهـذه المعـاني بين افلام الكارتون صباح يوم يوم السبت على شبكتين من أكبر ثلاث شبكات تلفزيونية في الولايـات المتحـدة ولم يكرم جورد بوش تكريما أكثر مدعاة للسخرية من ذلك التكريم الذي استضافه نادي جريـديرون فـي ٢٣ آذار حين صفق ٦٠ صحفياً من صفحي واشنطن المرموقين لانتصار الرئيس على "صـدام حـسين الـشرير" ولعل مايكل ديفر طبيب رونالد ريغان الاعلامي المغضوب عليه، هو الذي قدم خير وصـف لنجـاح البيـت الابيض في ادارة الانباء الواردة من الخليج فلقد تحدث بعد يوم من المجزرة التي ارتكبتها القاذفات الأميركيـة الشبحية بحق مئات من النساء والأطفال العراقيين في ملجأ بأحد أحياء بغداد مادحاً البنتـاغون علـى تعاملـه الذكي مع وسائل الاعلام في حدث كان بالإمكان أن يشكل مصدراً للمتاعب . وصرّح خبير العلاقات العامـة الشهير في واشنطن لصحفية نيويورك تايمز (١٥ شباط) قائلاً "بأنه لو اسـتاجرت شـركة للعلاقـات العامـة للإضطلاع بمهمة العلاقات الإعلامية حول حدث دولي لما تم ذلك بشكل أفضل مما يتم الان ."[٤٣]

٢ ـ الإسقاط والتبرير والتفريغ الوجداني . فهي جملة من آليات الدفاع النفسية (ميكانزمـات) عمـد الاعـلام الغربي إلى استغلالها في عملية الخداع والإسقاط في مفهومها الفني من مفهوم التحويل ، والمثال التالي يؤكـد ويوضح هذا . فقد نشرت مجلة "ويكلي وورلدنيوز" الكندية بتاريخ ٩ / ٣ / ١٩٩١ خبراً عـن سـلاح فـضائي استخدمه الأمريكيون في حرب الخليج يقول كاتبه "بارت مالوني": (٢ "قام الطيـارون الاميركيـون بمهمـات استطلاعية ثم شلّوا الطائرات والمواقع الارضية العراقية مستخدمين سلاحاً جاءهم من كوكـب آخـر" مـسنداً الخبر إلى عالم الفيزياء الفلكية "نريك وولف" الذي أضاف : "ويمكن ان تساعد الولايات المتحدة فـي الحيلولـة دون نشوب حروب مستقبلية وذلك بالتهديد باطلاق سفينة النجوم التي يبلغ طولها ١٥٠ قـدماً ضـد أي جـيش يقوم بالعدوان ، قائلاً أن سرعتها تصل إلى ٩٠ الف ميل في الساعة ومزودة بأسلحة لا يـزر قويـة لا تـشابه أي شيء على الكرة الأرضية !! الخ " ومثل هذا الخبر في سياق حديثنا عن أسلوب الخـداع واسـتخدام مثـل هذه الآليات النفسية انما عمد إلى تحقيق عدة أمور مرةً واحدةً هي:

---

[٤٣] - صوت الشعب ٢ / ١٠ / ١٩٩١ .

١ ـ إقناع العقل العربي الذي يؤمن بالغيب استحالة هزيمة أمريكا لانها هي الأخرى حسب هذه الدعايات تعتمد على قوى فضائية خارجية وليست أرضية لا تقهر !!
٢ ـ اعطاء التبرير للعقل العربي الذي تعود على هذه الآلية في تبرير انكساراته العسكرية في حروبه السابقة لتبرير هذه الهزيمة في أنه لم يجابه قوة عادية وإنما هي قوة اكبر من قدرته على مجابهتها بل ربما يستحيل مجابهتها !!
٣ ـ من هذا (المّبرر) تتم عملية الإسقاط والتحويل فهو أي العقل العربي ـ يقوم عندما يجد التبرير في مثل هذا الخبر بإزاحة وتحويل كراهيته عن أمريكا إلى قوى فضائية خارجية يمكن فصلها عن أمريكا ويصبح العدو هو القوى الفضائية وليس أمريكا.
٤ ـ ومن هذا أيضاً تتم عملية التفريغ الوجداني حيث يتم إفراغ الحقد والكراهية على اطراف أخرى فتمتص أمريكا بذلك النقمة العربية ضدها.
٥ ـ أخيراً فإنها عملية تيئيس للعرب فلا قدرة لهم على مجابهة أمريكا ومعها قوة فضائية !!
٣ ـ التأثير النائم . قام الإعلام الغربي والأمريكي على وجه الخصوص وكما سبق وذكرنا، باستخدام مجموعة من الأساليب النفسية العامة التي ينطلق من خلالها وبواسطتها في معاركه الإعلامية في حرب الخليج. ومن هذه الأساليب النفسية التي أعتمد عليها الإعلام الغربي ما يُعرف بنظرية التأثير النائم (**sleeping effect**) : "وملخصها أن الإنسان يختزن في ذاكرته مصدراً أو حدثاً معيناً يبقى نائماً في داخله إلى أن يوقظه مصدر أو حدث مشابه لذلك المخزون فليس غريباً مثلا السؤال الذي وجهه مندوب الـ (**CNN**) لعدة شخصيات عربية من أن الولايات المتحدة ستكون بديلة للإستعمار البريطاني والفرنسي الذي ساد المنطقة في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وأسوق مثالا حياً آخر على هذه النظرية عندما كان مندوب التلفزيون الإسرائيلي يجوب المناطق العربية المحتلة ووجه سؤالاً يوم الخميس ١٧ / ١ / ١٩٩١ إلى أحد المواطنين من أن صدام لم يضرب إسرائيل كما وعدكم وها هي تل أبيب بخير اين هو وقد دمرت كل صواريخه ومنشاته العسكرية الآن؟ الا تتعظون مما حدث لكم في السابق وكان السائل وجه هذا الشخص إلى أن يجيب بشكل عفوي وعشوائي وقد بدا عليه احساس المغلوب على امره، والمضلل اعلامياً، لقد كذب علينا القادة العسكريون عام ١٩٦٧ . [٤٤]

وباعتماد أسلوب الخداع على مثل هذه الفرضيات النفسية والنظريات الاعلامية يكون قد استغل كل المعطيات لشن معاركه الاعلامية المخادعة . وكانت بداية الخداع قد شُنّت على الشعب الامريكي نفسه الذي جاءت تأكيدات الرئيس الأمريكي بوش منذ البداية على أن التحالف الامريكي الغربي يدخل في إطار قوة متعددة الجنسيات تساهم فيها الجيوش العربية "وهذا يجعل الجمهور (الرأي العام الامريكي) يشعر بالانفراج بعد أن كان يضيق من رؤية (فكرة) الجنود الأمريكيين يدافعون) لوحدهم عن النظام الملكي السعودي وسط لا مبالاة

[٤٤] - مروان خير . المرجع السابق نفسه .

الدول العربية أو عدائيتها"[45] ولجأت الصحف للخداع – لتحقيق هذا العرض في بداية الأزمة – عن طريق استطلاعات الرأي العام التي زعمت أن الأمريكيين مع الرئيس بقرار الحرب . ومن أساليب الخداع : "أن الصحفيين (المنتخبين بعناية) كانوا طوال فترة الحرب يتملقون قدرة الجيش الأمريكي التكنولوجية وكانت – كما تقول ورقة عمل جون روس ونورمان سولومون – التقارير الإخبارية الخاضعة للرقابة تهول نجاح الأسلحة الأمريكية وكان البنتاغون يعرض صوراً تُبين الإصابات وحدها وليس الضربات الطائشة، وكان الصحفيون الأمريكيون يكتبون تقاريرهم على هذا الأساس ، وبعد الحرب كشفت سجلات الحكومة أن ٧٠ % من كل الأطنان التي القيت على العراق والكويت لم تضرب الأهداف التي كان يراد ضربها"[46] وأما اكبر عمليات الخداع فهو تصعيد الولايات المتحدة من خلال المعلومات الكاذبة الموقف والخلاف بين العراق والكويت منذ البداية ودفع السعودية في مرحلة لاحقة للدخول في لعبة جر العراق إلى الفخ فقد تم بالكذب والوقيعة تعبئة الطرفين وتم شرح هذه العمليات بالتفصيل في مجموعة مقالات نشرتها صحيفة الرأي[47] الأردنية وملخصها استخدام السفراء الأمريكان لدى العراق والكويت والرسائل المتبادلة والصور الجوية والوثائق المزيفة لايهام الكويت بأن مباحثات العراق وطلباته حول الديون وترسيم الحدود وحقه في نفط الرميلة انما هي طلبات ابتزازية تصاعدية مما يجب رفضها ورفض التفاوض عليها لان العراق يضع نصب عينيه احتلال الكويت، وبالوقت تمرير المعلومات للعراق عن الكويت وسرقته لنفط حقل الرميلة الحدودي وتطمينات للعراق عبر السفيرة الأمريكية "ابيريل جلا سبي" في اتخاذه لاي اجراء يضع حداً لممارسات الكويت علماً أن السفيرة المذكورة قد جرى استجوابها لاحقاً في أمريكا بحجة عدم نقلها معلومات صحيحة للعرقايين فكانت ضحية ذات دور محدود .[48].[49]

ح – التعتيم

ظهر التعتيم كعامل في الهجوم البري وما رافقه وما تبعه حيث كان التعتيم كاملا خاصة بعد ما حدث في نقل وقائع بداية الهجوم الجوي ، وكان الهدف من التعتيم تضليل العرب لايقاعهم بالاحباط واليأس وتضليل المشاهد الأمريكي للتأكيد على ما تهدف إليه الإدارة الأمريكية حيث كان التركيز على عدالة الشعارات التي يحاربون من أجلها تحت ستار من القيم والفضائل الإنسانية حشداً للدعم الجماهيري للحملة ولتحسين صورة العسكريين الذين ينفذون مهامهم بتفوق وبروح انسانية (!!) مما يمهد لتبرير عمليات القصف والتدمير

---

[45] - صحيفة الشام، باريس ، ١٣ / ٨ / ١٩٩٠ .

[46] - الشعب ٩,٣٠ / ١٩٩١ . ندوة التغطية الإخبارية في زمن الحرب .

[47] - زاوية بصراحة . سلطان حطاب من ٢ / ٨ / ٩١ – ١٠ / ٨ / ١٩٩١ م.

[48] - الرأي ؛ ٤ / ٨ / ١٩٩١ . المصدر نفسه .

[49] - الدستور ٣ / ١١ / ١٩٩١ . مقال غريس هالسيل : (اسرار جديدة حول علاقة إسرائيل المباشرة بالصراع العراقي الأمريكي .)

ولاظهار قضايا العراق بانها غير انسانية لا بل هي بربرية وحشية (حجب الإعلام الأمريكي أخبار قتـل الاف الأطفال بالعراق قصفاً وفقدان الدواء والغذاء بينما تباكى بوش شخصياً على أن العراقيين سـرقوا حاضـنات الأطفال من مستشفيات الكويت تلفيقاً).

وكما سبق وذكرنا فإن هذا الأسلوب إنما استخدم بعد توفير أسبابه وهو التحكم بوسائل الإعلام حيث صار مـن الممكن أن يتم تمرير الأخبار الملائمة وحجب تلك التي لا تخدم اهدافهم، وإن كان لابـد مـن نـشرها وبثهـا فيمكن عندئذ التلاعب بها في الزيادة والنقصان والتعليقات والتحليل والتحايل وغيرها حتّى تصل إلى الجمهـور كما يراد لها أن تصله بالضبط . يقول مروان دودين وزير الإعلام الأردني السابق يصف آليـة التعتـيم فـي حرب الخليج : [٥٠] "أربعون يوما تلت قرار الحرب في ١٧ / ١ / ١٩٩١ غطيت بالإعلام العسكري المراقـب واقتصر التوصيل فيها على البلاغات المقتضبة وصور مدارج المطارات والبوارج في معركة جوية لم يـسبق لها مثيل في التاريخ، وبلغ التعتيم عليها حداً فاق توقعات عتاة الصحفيين في معـسكر التحـالف ذاتـه، ومـن المفارقات الاعلامية البارزة ان انقطع الاعلام العراقي عن الدنيا الا من خلال السيد بيتـر ارنـوت مراسـل السي أن أن الشهير، الذي تبين فيما بعد انّه استغل هذه القناة الوحيدة الواصلة بين بغداد والعالم للتحـدث إلـى صديقته الاسرائيلية العاملة في التلفزيون الاسرائيلية في تل ابيب وقديما قالوا: شر البليـة مـا يـضحك ولأن التغطية الاعلامية لفترة الحرب القصيرة هذه لا تزال ماثلة في الاذهان فلسنا بصدد الافاضـة فـي وصـفها نكتفي بالقول انها كانت امتداداً كفؤاً وطاغيا لاداء الالة الاعلامية لدول التحالف الرئيسية وانها مـن منظـور تقني صرف اثبتت ان الذين يقفون في جانب المتلقين لمكونات طعامهم الرئيسية كـالقمح سـواء كـانوا مـن العراق أو الاتحاد السوفياتي أو معظم بلدان العالم الثالث فانهم هم انفسهم الذين يقفون في موقع المتلقين لنتـاج هذه الالة الاعلامية الهائلة، لا النوايا الطيبة ولا مثل الحق والخير المجردين تكفي للوصول إلى الناس بمجـرد خروجها من أفواه الناس الطيبين أو القادة الداعين للحق والخير، وفي منطقتنا وبالـذات ابـان هـذه الازمـة (الطاحنة) لم يعد صوتنا يصل إلى آذان أنفسنا بوضوح، بل ولم يكن امامنا في معظـم الـساعات الحرجـة الا قنوات اعلام دول التحالف نتفرج عليها ونتلقى منها بغير حساب ".

أما لوعدنا لورقة "روس وسولومون " فنجد موضوع التعتيم قد أتُبع كاسلوب ومنذ بدايات الأزمة فـي الـداخل الأمريكي بالاضافة للأساليب الاخرى من التضليل والخداع والكذب فكان حجب الحقائق والمعلومات اسـلوباً هاماً وضرورياً لتمرير قرار الحرب ثم الإستمرار بها حيث صار الحديث في مرحلة لاحقة عن متى وكيـف الذهاب للحرب وليس عن موضوع الذهاب للحرب نفسه والذي جعله الاعلام الامريكي أمام الجمهور المتلقي بمثابة مسألة انتهى أمرها والبت فيها . تقول الورقة عن: "الرقابة الذاتيـة فـي وسـائل الاعـلام الـسائدة أي الامريكية الداخلية : "منذ ان بدأت أزمة الخليج كانت غالبية التقارير الصحفية مستقاة بـصورة مباشـرة ممـا يقوله مسؤولو الحكومة الامريكية للصحفيين وقد أُنجز بناء الحشود العسكرية بصحبة طائفة مـن الآراء التـي

[٥٠] - صحيفة الاواء . عمّان ٣١ / ٧ / ١٩٩١ .

نقلتها وسائل الاعلام مستبعدة من الناحية العملية المواقف النقدية الاساسية وكان من شـأن بـرامج العلاقـات العامة ان تمنح للمسؤولين الامريكيين ومؤيديهم سيطرة رؤتينية على موجات الهـواء ففـي آب / اغـسطس، على سبيل المثال كان رئيس الأركان المشتركة السابق وليام كرو نجم ثلاث قنـوات منفـصلة فـي برنـامج "نايتلاين" ـ خط الليل ـ واسع النفوذ الذي تبثه شبكة أي بي سي وكان ظهوره يتبادل المواقـع مـع سـيل لا نهاية له من المسؤولين السابقين والحاليين في وكالة المخابرات المركزية ووزارة الـدفاع ووزارة الخارجيـة ومجلس الأمن القومي ". [51]

وبالسياق نفسه نجد أن التعتيم شمل في الداخل الامريكي ما يمكن تسميته بعملية "تكمـيم الأفـواه " فـالإعلام الأمريكي عتّم على أخبار المعارضة للحرب وعلى نشاطات الهيئات الشعبية والأحتجاجات الجماهيرية وعلـى فعاليات الجهات الرسمية وكذلك المؤسسات المختلفة . وعلى سبيل المثال فإن جهوداً كبيرة بدأتها احدى اقـسام الجمعية الأمريكية النفسية التي تضم ما يقرب من ١٢٢٠ عضو والتي كانت قد انشئت في العام ١٩٨٢ وهـذا القسم يسمى قسم علم النفس للسلام "**psychology of peac.**" وتنصب نشاطاته وأبحاثـه علـى تقـديم الدراسات وطرح الأفكار العلمية على صُنّاع القرار والسياسات في الإدارة الأمريكية الرامية إلى إعادة رسـم هذه السياسات بما يخدم السلم العالمي، والتدخل المباشر عند نشوب أزمات تُهّدد السلام في العالم. وقد انبـرى علماء هذه الجمعية منذ نشوب أزمة العراق في بداية آب ١٩٩٠ بطرح أفكارهم علـى جـورج بـوش لمنـع نشوب الحرب وبذلوا جهوداً جبارة لترشيد بوش وادارته في رسم الطرق السيكولوجية ـ الـسياسية بالتعامـل مع الأزمة بما يكفل عدم التورط بالحرب ولكن كل هذه الجهود ظلّت غائبة عن الجمهور وتـم التعتـيم التـام عليها ولم يسمع صوتها أحد وأُجهضت جهودها المناهضة للحرب والرامية إلى الإستعاضة عن ذلك بـالحلول السلمية والمباحثات بنية صادقة ودون شروط مسبقة . ويتابع التقرير الذي نُشر في صـحيفة "مونيتـور" التـي تصدرها الجمعية النفسية الامريكية : "ومثل هذا الاتجاه في التعامل مع الازمة لا تكون أمريكـا اطلاقـا قـد تراجعت عن مبدئها الذي اعلنته بعدم مكافأة المعتدي على عدوانه . ان لم نقل انّه سيفقد صـدام الكثيـر مـن مكانته في العالم العربي، ومن خلال تراجع صدام وامتثاله لقرارات الامـم المتحـدة بتـشجيع صـادق مـن الولايات المتحدة الأميركية فأننا نكون تجنبنا توجيه ضربة نحن عملياً نحذر منها علنا ونطالب مـن العـراق ان يتفاداها، وربحنا السلام، ورفعنا الحظر عن شعب العراق وابقينا صدام في السلطة، وعاد من جديد إلى أسـرة الأمم المتحدة".

تلك هي جهود علماء النفس التي لم تبرزها الصحافة العالمية خلال مسيرة الأزمة، ومواقفهم منها، ونـشاطاتهم الكبيرة التي بذلت لحل الأزمة حلاً سلمياً، ثم قناعتهم ان السياسيين والعسكريين هم الذين يهيئون الـرأي العـام لقبول الحرب التي لا بديل لها"[52].

---

[51] - صحيفة الشعب . عمّان ٢٠ / ١٠ / ١٩٩١ .

[52] - الدفاع العربي . تموز ١٩٩١ . مقال د . محمد حجار : "ماذا كان دور السيكولوجيين الأمريكيين خلال أزمة الخليج ؟".

والتقرير المذكور يؤكد، كخلاصة لعملية التعتيم على جهود السلام ، على أن صرخات السلام كانت تخنقها سيطرة الإعلام على الرأي العام الامريكي بإقناعه على أن الأزمة لا يمكن حلها إلا بعملية جراحية عسكرية وهو ما عبّر عنه السيكولوجيون صراحةً في هذا التقرير.

وقد أكدّ ذلك أيضاً على أن الرقابة على الصحافة لم تكن تهدف إلى حماية القوات الأمريكية في الخليج بقدر ما كانت تهدف إلى تقديم الصورة المطلوبة لكي يُقدّم الأمريكيون دعهم للحرب .

ومما يعكس اسلوب التعتيم والرقابة الإعلامية الصارمة ما صدر عن بعض الجهات الأمريكية نفسها :

"لقد نشرت مجلة التايم الأميركية في عددها الصادر في ٤ / ٢ / ٩١ في صفحتها الثامنة عنواناً يقول : ضباب الحرب .. في الوقت الذي تحاول فيه قوات صدام إجبار الأسرى على الظهور على التلفزيون العراقي يستميت الحلفاء للسيطرة على تدفق الأنباء وترك العالم غير واثق مما يحدث بالفعل ..".

أما وكالة الأنباء الفرنسية فقد نُشر عنها يوم ٧ / ٢ / ٩١ خبر يقول .. انها رفعت قضية ضد الحكومة الأميركية تتهمها فيها بوضع قيود على التغطية الإخبارية لحرب الخليج، وجاء في الإتهام ان هذه القيود تنتهك حق الصحافة في الحرية . وحق حرية التعبير.

وقد أوغلت الشبكات التلفزيونية الأميركية في حجب الحقيقة عن الشعب الأميركي في الأيام الأولى للحرب. عندما كان يهم المذيع المشهور (دان راذر) ان يقدم الأخبار العالمية، اقتحموا الإستوديو وهم يصرخون (لا تحجبوا الحقيقة) وكانوا يحملون يافطات كتب عليها حاربوا الإيدز وليس العرب .. دلالة على اولويات احتياجات مجتمعهم وغضباً من التعتيم الاعلامي الذي يمارس عليهم "[٥٣].

ومما يؤكد على مسألة التعتيم الاعلامي والقيود التي فرضتها أمريكا على الاخبار ما أوردته الدستور الأردنية نقلاً عن احدى وكالات الانباء العالمية من واشنطن . فتحت هذا العنوان "طمس الحقائق وبث معلومات مشوهة : البنتاغون والبيت الأبيض تحكّما بالصحافيين خلال حروب أمريكا في بنما وغرينادا والخليج "، أوردت وكالة الأنباء الفرنسية هذا الخبر من واشنطن : _ "أفاد تقرير لجمعية مستقلة نشر أول أمس في واشنطن ان وزارة الدفاع الأمريكية والبيت الأبيض تحكما بالصحافيين خلال عمليات التدخل الأميركي في بنما وغرينادا والخليج وان هذا التحكم تم في الغالب بموافقة الصحافيين انفسهم .

فقد اكد المركز (من أجل النزاهة العامة) ان اطلاع الجمهور الأميركي على الصراعات المسلحة الأخيرة التي تورطت فيها الولايات المتحدة كان مشوهاً ويعتبر هذا المركز جمعية لمراقبة المبادئ الاخلاقية في وسائل الاعلام ويرأسه تشارلز لويس المسؤول السابق في شبكتي "سي بي اس" وتناول التقرير الذي صدر تحت عنوان "القيود العسكرية المفروضة على وسائل الاعلام في قفص الاتهام "بصورة خاصة وزارة الدفاع الأميركية التي حاولت طمس الطابع الحقيقي للحرب من خلال التحكم بصور الصراع بالتعاون مع وسائل الاعلام التي تحمل قسطها من المسؤولية لموافقتها على عمليات الاخلال بالمبادئ التي طلبت وزارة الدفاع

---

[٥٣] - محمد أمين . صدام حسين الإرادة العربية والإسلامية . عمّان ١٩٩١ .

الأميركية القيام بها لتوجيه سياسات وسائل الاعلام القاضية بعدم "ممارسة الدعاية" واعتبار نقـل المعلومـات "الغاية الوحيدة".

وقال التقرير ان "معظم الصحافيين عرضوا في نهاية الامر للجمهور الصور والبيانات التـي رغـب البيـت الأبيض ووزارة الدفاع بعرضها" على الرغم من انتقادهم للقيود المفروضة على وسائل الاعلام خلال حـرب الخليج.

وأكد تقرير المركز "من أجل النزاهة العامة" ان مؤسسات الانتاج الخاصة التي كانت تعـرض خـلال حـرب الخليج صورة جيدة عن آداء الجيش الأميركي كانت تحظى بتشهيلات اكثر من الـصحافيين الآخـرين علـى صعيد الوصول إلى الجبهات .

ويذكر ان وزارة الدفاع الأميركية كانت تمنح الصحافيين تصاريح التوجه إلى الجبهات.

من ناحية أخرى اختارت وزارة الدفاع بعناية فائقة الصور الاكثر اثارة عن حرب الخليج كتلك التـي تظهـر القنابل الأميركية الموجهة عن بعد وهي تصيب اهدافها . وأشار التقرير إلى أن القنابل الامريكيـة الموجهـة التي أطلقت على العراق لم تتعد في الواقع نسبة ١٠ % واتهم التقرير البيـت الابـيض الـذي حظـر علـى الصحافيين لاسباب سياسية الدخول إلى قاعدة دوفر الجوية في ولاية ديلاوير حيث كـان ينقـل القتلـى مـن الجنود الأميركيين على الجبهة العراقية .[٥٤]

٢ ـ الاساليب الخاصة

بعد أن استعرضنا الأساليب العامة الكبرى يمكننا الآن، استعراض الأساليب الإعلامية النفسية الخاصـة التـي استخدمت في حرب الخليج . والتي يمكن عرضها حسب توجيهها وفقاً للأهداف المرسومة لها وذلك في أربـع جوانب أو مجالات : المجال الأول تم استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي فيه دولياً، المجال الثاني تم اسـتخدام الأسلوب الإعلامي فيه عراقياً أي تجاه العراق، والمجال الثالث استخدام فيه الإسلوب عربياً أي تجـاه العـرب والرابع استخدام داخلياً حيث كان موجهاً نحو الرأي العام الأمريكي . وتفصيل ذلك كما يلي :

أ ـ المجال الأول / استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي دولياً. وأهم عناصر هذا المجال :

١ ـ الشرعية العربية والذي تبّدى وظهر في حصول الولايات المتحدة الأميركيـة التـي تقـف علـى رأس التحالف الغربي على القرار العربي الصادر عن جامعة الدول العربية والذي يوافق ويقّـر بـشرعية التـدخل الأجنبي في المنطقة، بحجة حماية أمن دولها وشعوبها ومن خلال حل المشكلة ولو استدعى الأمر العمل علـى استقدام قوات أجنبية لحل المشكلة الناجمة عن دخول العراق إلى الكويت.

---

[٥٤] - الدستور ، عمّان . ١٧ / ١ / ١٩٩٢ .

وتم استخدام الاعلام لهذا الغرض وعلى المستوى الدولي بهدف احتلال منابع النفط وضـرب العـراق تحـت مظلة الشرعية العربية وهي المظلة الأولى.

٢ ـ الشرعية الإسلامية . والتي تعتبر المظلة الثانية التي جاءت قوى التحالف تحتها لاحتلال الخلـيج وتـدمير القوة العربية الصاعدة في العراق . وتمثلت الشرعية الإسلامية بالحصول على فتوى شرعية من بعض كبـار العلماء المسلمين تبيح الاستعانة بالاجنبي في حالة تعرض دولة عربية إسلامية للعدوان من قبل دولـة عربيـة إسلامية أخرى.

٣ ـ الشرعية الدولية . وهي المظلة الثالثة . حيث نرى أن قوى التحالف التي جاءت بحشد كبير من الجيـوش قوامه حوالي مليون جندي وزجت بهم في الخليج لمواجهة القوات العراقية انما فعلت ذلك تحت مظلات ثـلاث سمحت لها أن تدخل الجزيرة للمرة الأولى في التاريخ وأن تتمركز على أرضها لتنطلق بعدوانها ضد العـراق فتدمر آلته العسكرية وبناه الإقتصادية كما سمحت هذه الشرعيات أو المظلات الثلاث لقوى التحـالف وعلـى رأسها أمريكا أن تدعم التحالف وتقويه وأن يظل قائماً حتّى انتهاء المهمة لا بـل وان تحـصل علـى الـدعم المعنوي المستمر والدعم المادي متمثلاً بالاضافة للقوات المسلحة كغطاء للمشاركة بالأموال التـي أسـكتت وكمّمت فيها أفواه حتّى لا تعترض واشترت بها مواقف حسمتها إلى صالحها وحصلت بواسطتها على مباركة الجميع من دول التحالف التي إن لم تستفد من الحشد مادياً فقد كفاها ذلك مؤونة وكلفة المشاركة، واخيراً فقـد ساعدت على التغطية على الإزدواجية والتمييز في التعامل مع القضايا العربية والتي تجّيّر لحساب المـصلحة الغربية الصهيونية اولاً وآخراً والتي تظهر بوضوح من خلال تطبيق معـايير مزدوجـة فـي التعامـل مـع القرارات الدولية الخاصة بالصراع العربي ـ الاسرائيلي.

ب ـ المجال الثاني: استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي تجاه العراق، وأبرز عناصر هذا المجال :

١ ـ تضخيم حجم القوة العراقية

ويعتبر هذا الموضع من أهم المواضيع التي حاولت آلة الاعلام الغربية اختلاقها وتضخيمها وإذا رجعنـا إلـى السنوات التي اعقبت إنتهاء الحرب العراقية ـ الإيرانيـة سـوف نجـد ان الهجمـة الاعلاميـة الغربيـة ـ الصهيونية كانت تشحن الاجواء بتصوير العراق بأنه بلد تجاوز حدوده كثيراً فـي التـصنيع الحربـي وفـي التسليح واعداد الجيوش التي تفوق متطلباته كبلد نام صغير وما ان وقعت ازمة الخلـيج مجـدداً حتّـى بـدأوا "ينفخون البالون" إلى أقصى مدى وأكبر حجم ممكن حتّى اصبح العراق في الاعلام الغربي هو رابع قوة فـي العالم !! كما بدأ الاعلام الغربي الصهيوني بالتخويف من القوة العراقية وذلك تبريراً لضربها وتسويغاً لحجـم الدمار ا لذي قرروا إلحاقه بالعراق حيث ترافق هذا بتلفيق التقارير للدول العربية عن نوايا عراقيـة عدوانيـة وتوريطها في شن حرب اقتصادية استفزازية ضد العراق ولا شك ان كل ذلك من مستلزمات توجيه الـضربة العسكرية للعراق وذلك بإعداد الساحة الدولية إعلامياً لقبول هذا العمل ودعمه وما جرى على هـذه الـساحة حتّى قبل إعدام الجاسوس البريطاني بازوفت من حملات إعلامية وإفتراءات انما جاء فـي إطـار الـسيناريو

الموضوع لتبرير العملية الإجهاضية ، ومنطلقات الحملة تغطي جميع المحاور التي يمكـن ان تخلـق العـداء للعراق عند الرأي العام العالمي دون تحديد لموضوع معين حيث شملت قضايا حقـوق الإنـسان والاكـراد والأسلحة الكيماوية والأسلكة النووية وسرقة التكنولوجيا والتجسس قال تشيني وزير الـدفاع الامريكـي امـام مجلس الشؤون العالمية ٧ / ١١ / ١٩٩٠ م " من اهداف الحملة الامريكية بناء العراق قدرة عـسكرية هائلـة وواحد من أضخم الجيوش في العالم وفي حيازة أسلحة متطورة للدمار الشامل كالـصواريخ البعيـدة المـدى والأسلحة الكيماوية ومحاولته تطوير اسلحة بيولوجية وإبداء استعداده لاستخدام تلك القوة" وقـال دانـي كويـل نائب الرئيس " حتّى لو انسحب العراق انسحاباً غير مشروط من الكويت فإننا يجب أن نذهب لابعد مـن ذلـك، لانه لا يمكن السماح للعراق بالاحتفاظ بقوته العسكرية" وقال ليفي وزير خارجية العدو لصحيفة هاآرتس يـوم الثلاثاء ٢٣ / ١٠ / ١٩٩٠ "ان اسرائيل تعارض أي اتفاق يسمح للرئيس صدام حـسين بالبقـاء فـي الـسلطة والإحتفاظ بآلة الحرب لديه" في مرحلة لاحقة وتحت المظلة التضليلية نفسها كان يتم تدمير العـراق بالكامـل بحجة البحث وتدمير القوة الجبارة العدوانية للعراق والتي تُهّدد السلام العالمي ضاربة، أي القـوة العراقيـة، بعرض الحائط الشرعية الدولية معُرضة الإنسان في العالم أينما كان لخطر الموت المحقق إذا لم يوقـف عنـد حده.

٢ ـ التعريض بشخصية الرئيس العراقي وتشويه صورته

حيث يعتبر هذا الموضوع هو العنصر الرئس الثاني في البعد العراقي لوسائل الاعلام الغربية فـي معركتهـا الاعلامية أثناء حرب الخليج ويهدف هذا الجانب إلى تحقيق عدة اهداف منها:

أ ـ تصعيد الازمة وتبرير الحرب ضد العراق باعتبار رئيسه شخصية دموية عدوانية تقف في وجـه الـسلام العالمي وتسعى لتدمير أسس الحضارة الغربية مما يهيء لاقامة التحالف ويمهّد للمحافظة على تماسكه .

ب ـ الإستمرار في حصار ومحاربة العراق حتّى إسقاط رئيسه وتغيير حكومته بحجة هذه الاضاليل الخادعـة لتحقيق الاهداف الامريكية من الحريق باحتلال منابع الـنفط والـتحكم بالمنطقـة وحمايـة جولـة العـدوان الاسرائيلي.

ج ـ تبرير طلب الحماية الذي اوحت به أمريكا لرؤساء دول المنطقة العربية وتبرير كافة الاجـراءات فيمـا بعد بما فيها البقاء في المنطقة طالما الرئيس العراقي موجود لاستغلال ثرواتهم لأطول مدة ممكنة .

د ـ تبرير حجم الدمار الذي يزعموا إنزاله بالعراق بحجة بقاء الرئيس بالسلطة وعدم تنحيه عنها.

هـ ـ فصل الشعب عن رئيسه وزرع إسفين بين القيادة والقاعدة لنسف اللحّمة الوطنيـة والتماسـك الـداخلي لزعزعة استقرار البلاد ومن ثم اختراقه بسهولة وتركه بعد ذلك ولمدة طويلة مجرد دولة ضعيفة بالكاد تحـصل على معيشتها لا أن تستغل مواردها لتطوير امكاناتها الإقتصادية والتـصنيعية والعـسكرية حمايـة لحقوقهـا خاصة وحقوق العرب عامة .

و - تشويه صورة الرئيس العراقي في عيون العرب أنه خطر عليهم جميعاً لإفشال محاولاته في تصعيد العداء العربي في المنطقة ضد أمريكا والغرب ، مما يُهّيء لإدخال المواطن العربي في سراديب الحيرة والإحباط والهزيمة .. وعليه فقد تم إستغلال الإعلام الغربي لكافة القضايا التي يمكن أن تستخدم اهداف هذا الجانب فكان أن عمل هذا الإعلام على تشويه صورة صدام حسين من خلال تصوير شخصيته وربطها بشخصية هتلر واظهار المسألة كلها بأن سببها جنون صدام هتلر العرب الجديد وأنه يقود المنطقة والعالم - إن هو لم يوقف عن حده - إلى كارثة محققة وأن أمريكا نفسها لن تسلم من الدمار المنتظر (تمثيلية سقوط قناع الغاز من حقيبة حارس بوش في المطار لاقناع الأمريكيين بحجم التهديد العراقي لواشنطن) . وربط الشخصيتين هو ربط لصورة الدمار الذي لحق بأوروبا على يدي هتلر والذي ينتظر العالم اليوم على يدي صدام حسين، وهو ربط قصد به حشد العالم ضد العراق كما حُشد ضد هتلر وأن نتيجة الطغاة واحدة! وظل الاعلام الغربي والأمريكي خاصة قد التزم شهراً كاملاً عملية التركيز على هذه المسألة بالذات حتّى تأكد من ترسيخها في العقول [55] وتم شحن العواطف ضد العراق ورئيسه تمهيداً للحرب الجائرة (٤٠ % من الأمريكيين ايدوا ضرب العراق نووياً رحمةً به وبأنفسهم كما في استطلاعات الرأي !!!).

من جهة أخرى استغلت جميع القضايا التي تخدم هذا الهدف حيث ركز الاعلام الغربي على تشكيك الشعب العراقي في قيادته المتمثلة برئيسه والذي قاد شعبه في حرب طويلة مع جارته المسلمة إيران حيث عّرض بلاده وشعبه لخسائر مادية وبشرية كبيرة دون تحقيق هدف محدد، ولم يكتف بذلك بل عرّض بلده لحصار اقتصادي ومواجهة عالمية ستكون نهايتها كارثة على العراق وشعبه. وسند ان اسرائيل في الفترة نفسها سوف تستغل هذه المقولة وتُركز عليها لتصوير الرئيس صدام حسين بأنه قصير النظر عدواني، طاغية يجب تقليم أظافره لا بل انهاء وجوده بعد تدمير بلاده.

مسألة أخرى سلط الاعلام الغربي الاضواء عليها ووجه اليها الأنظار وذلك بالتشكيك بمصداقية القيادة العراقية والرئيس العراقي وإظهاره بمظهر الكاذب المخادع الذي لا يمكن الإطمئنان إلى التعامل الدولي معه وذلك من خلال لجان التفتيش على المنشآت النووية - فيما بعد الحرب - ودفع القيادة العراقية في كل مرة لاظهار قائمة جديدة بمنشآت نووية لم تُعلن في القائمة السابقة أو اعلانهم عن كشف مواقع جديدة وذلك قصد تحقيق الهدف الذي ذكرناه آنفاً ثم بهدف التغطية على ما أعلن عنه العراق فيما بعد وهو خرق السيادة العراقية والقيام بأعمال التجسس.

ومن أجل تعميق هذا الجانب وتحقيق الأهداف التي ذكرناها آنفاً فقد تم تكبير الصورة الكاريكاتيرية للديكتاتور الدموي (الرئيس صدام) لتعكس مدى التعصب الغربي ضد المنطقة وشعبها وتوجهات هذه الامة في النمو والسيادة . فتم التأكيد على كل قول يخدم هذا الجانب حيث نُعِت صدام بصفات ارهابية فبالاضافة إلى وصفه

[55] - محمد أمين . صدام حسين الإرادة العربية والاسلامية، عمان ١٩٩١ . يقول ص ٧٣ . ظل الإعلام طيلة ٢٤ ساعة ولمدة ٤ أسابيع في شهر أيلول ١٩٩٠ يكرر كلمة هتلر كوصف للرئيس العراقي .

بأنه هتاري دموي فقد تم تشبيهه بأنه نمر طليق في المنطقة سيفترس كل من يصادفه وبأنه يلجأ إلى "البلطجـة" العسكرية وأنه يسعى إلى التعامل مع القرب بأسلوب الإبتزاز من خلال حاجتهم إلى الطاقة. كما وُصـف بأنـه متأثر بالأباطرة والزعماء العظام الذين صنعوا في العراق قديماً امبراطوريات مزدهرة مثـل نبوخذنـصر ، وأنه يطمع في أن يصبح زعيماً للعرب جميعاً من خلال القوة التي بناها ويسخرها - بزعمهم - لهذا الهـدف وليس كما يزعم من أجل العراق والعرب أو حتّى تحرير فلسطين . يقول عيزرا شيرازي من راديو تل أبيـب ٣ / ٨ / ١٩٩٠ : "هناك من يقول أن الرئيس العراقي صدام حسين لجأ إلى البطش والبلطجة العـسكرية بعـد أن رفض حكام الكويت الخضوع لابتزازه الإرهابي ورفضوا دفع ما طالبهم به من أمـوال الحمايـة وربمـا أغنى عن الإشارة هنا أن المشكلة الكامنة في هذا الصدد لا تنحصر فقط بين العراق والكويت وانمـا المـشكلة تكمن في جوهرها في معدن الرئيس صدام وأحلامه بالامبراطوريات ." وأضاف قائلاً "أن الـرئيس صـدام لا يخفي طموحه في أن يصبح زعيم المنطقة وهو يسعى إلى تحقيق ذلك بالقوة العـسكرية وقـد قـام الـرئيس باحتلال دولة عربية وليس هناك أي ضمان بأن لا يحاول في المستقبل القيام بخطوة ضد اسرائيل ويجب علـى إسرائيل ان تكون مستعدة للدفاع بوجه مثل هذه الخطوة":

يصور البروفسور روبرت هيدلي الاستاذ بجامعة جورج تاون شخصية صـدام بقولـه : "انّـه إذا اراد خلـق اساطير من السيادة العراقية فإنه لديه تراثاً ضخماً يمكن ان يستقي منه ما يـشاء، إنـه رجـل دعايـة نـاجح ويعرف جمهوره جيداً ويُعطي حملة الدعاية التي يشنها وعوداً بالمال والـسلطة وهـو بالـضبط مـا يريـده الجمهور" ويظهر من هذا الوصف ان لدى البروفسور تصوراً مسخاً عن مكنونات النفس العربية التي وقعـت تحت الغبن الاستعماري الصهيوني منذ أكثر من قرن مما دعاه إلى تصوير مبادئ صدام بأنه أساطير دعائيـة . إلا أننا نراه يعّقب ملمحاً إلى الرغبة العربية بوحدة حقيقية بين العرب وأنها قد تكون الـسبب وراء انجـذاب الشعوب العربية خلف صدام من قوله : "ان الوحدة العربية بشكلها الحالي هّشة لذا إعتقد أن صدام سـيبدأ فـي الحديث عن الوحدة العربي إبان مجد الحضارة الإسلامية " [٥٦].

يقول مؤرخ في جامعة برنستون يصف رغبة صدام بإحياء امبراطوريات قديمـة "ان صـدام يـضع لنفـسه صورة مستقاة من ثلاثة أشخاص لهم مكانة هم نبوخذ نصر ملك بابل، وقاهر الصليبيين صلاح الدين والـزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر ". [٥٧]

وتبرز من هذا الجانب مسألتان الأولى تشويه مبادرة صدام السلمية التي أطلقها فـي ١٢ / ٨ / ١٩٩٠ والثانيـة تهديد الرئيس العراقي شخصياً والتصريح الخبيث بأن رأسه هو المطلوب من هذه الحملة . وأفضل تعبير عـن هذه النقطة الأخيرة ما ظهر في اذاعة العدو الاسرائيلية يوم ١٣ / ٨ / ١٩٩٠ : "والـسؤال هـو كمـا تقـول علهمشمار بأي شكل ستعبر الدول الكبرى بصورة حازمة عن مطلبها - تقصد انسحاب العـراق - وتُجبـر

---

[٥٦] - صوت الشعب، عمّان ١٢ / ٨ / ١٩٩٠ م.

[٥٧] - صوت الشعب ، عمّان ١٢ / ٨ / ١٩٩٠ م.

الزعيم المجنون الماطخة أيديه بالدماء على التراجع " وفي السياق نفسه نجد وزير خارجية العدو ديفيـد ليفـي يقول لصحيفة ها آرتس يوم ٢٣ / ١٠ : "ان اسرائيل تعارض أي اتفاق يسمح للرئيس صـدام حـسين بالبقـاء في السلطة والاحتفاظ بآلة الحرب التي لديه" اما بصدد تشويه مبادرة صدام السلمية التي أعلـن فيهـا العـراق عن انسحابه من ا لكويت على شرط الإنسحابات المتزامنة لإسرائيل من القطاع والجـولان ولبنـان والـضفة الغربية، فقد قام) الاعلام الغربي – الصهيوني بتصوير المبادرة باعتبارها اسلوب خداعي تـضليلي للـرأي العامل العالمي عمّا يبيته العراق له، قالت صحيفة العدو دافار ان خطوة صدام " تـستهدف دق إسـفين بـين الدول التي تفرض عليه الحصار باقتراحه بسحب قواته من الكويت مقابل انسحاب اسرائيل من المناطق" كمـا يقول مستشار رئيس وزراء العدو : "أن صدام يحاول بمبادرته الهاء الرأي العام العالمي عن حقيقة أن دولـة كبيرة اقتلعت جارة صغيرة بخطوة عدوانية وبدون أي تحرج، وإن صدام يحاول بكل طريقـة ممكنـة إبعـاد الجيش الدولي الذي يفرض الحصار عليه ".[58]

٣ - تحطيم ارادة القتال وتدمير الروح المعنوية لدى العراقيين .

وذلك من خلال استمرار الحصار الاقتصادي قبل ومع وبعد العمليات القتالية واظهار التعاطف مـع قـضية الاكراد والشيعة والتفريق قبل ذلك بين الحرس الجمهوري وبقية منتسبي القوات المـسلحة العراقيـة والعمـل بالوقت نفسه على إضعاف الوحدة الوطنية وتماسك ابناء الشعب العراقي والتفافهم حول قيـادتهم مـن خـلال إثارة النعرات الطائفية والعرقية كما حدث في شمال العراق وجنوبه، مع اظهار الرغبة من خلال الإعلام فـي حماية المدنيين تضليلاً للراي العام العالمي. كذلك تم استهداف الإرادة والروح المعنوية مـن خـلال التهديـد والتآمر ضد العراق ورئيسه، فقد لوحّت الحملة الإعلامية منذ البدايات الأولى للأزمة بإمكانية القيـام بتـدابير للإطاحة بنظام الرئيس العراقي حيث قال "لس إسبن" رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الأمريكـي "أن بغداد وواشنطن تتجهان إلى حرب أعصاب ويبدو ان الرئيس الأمريكي بوش كـان أول مـن فـتح النـار بتطرقه يوم السبت الماضي إلى احتمال حصول – إنقلاب يطيح بالرئيس صدام" [59] أما إذاعة اسرائيل فقالـت : "افادت صحيفة الواشنطن بوست صباح يـوم ٦ / ٨ أن الـرئيس بـوش اصـدر تعليماتـه لوكالـة الإدارة الامريكية بما فيها المخابرات لتخطيط عمليات سرية بهدف زعزعة نظام الرئيس صدام والإطاحة به . وذلـك عندما انذرت المخابرات (سي . آي . إيه) الرئيس بوش بأن صدام يُفضّل جعل العراق دولة عربيـة عظمـى وأن مكانته تتيح له التلاعب بأسعار النفط بالأسواق الدوليةن وان صدام بات يـشكل تهديـداً يتجـاوز حـدود الأزمة الكويتية للمصالح الأمريكية بعيدة المدى، مما دفع بوش لهذا الإجراء وتخصيص جهود مكثفـة لخنـق

[58] - اذاعة إسرائيل - ١٣ / ٨ / ١٩٩٠ م.

[59] -صحيفة الشام - ١١ / ٨ / ١٩٩٠ م.

الإقتصاد العراقي والتسبب في غليان الجيش العراق يالمتمرد ودعم تنظيمات مقاومة سـرية داخـل العـراق وخارجه" [٦٠].

واستكمالاً لمسألة تحطيم المعنويات وارادة الصمود والقتال لدىالعراقيين فقد تم العمل علـى التأكيـد علـى تضخيم النتائج الحربية للعمليات العسكرية الجوية والبرية بهدف تضخيم القدرة الامريكية والتقليل مـن شـأن المقاومة العراقية حتّى لا يظهر العراق قادراً على إلحاق الأذى بعدوه الجبار الذي يملك اعتى آلات الحـرب والدمار . كما حدث في قضية الصواريخ العراقية التي اصبحت بعد فترة تسقط - كما يزعمون - في البحـر أو في مناطق صحراوية أو مناطق خالية من السكان ولنها لا تُحدث شـيئا بعـد ان كانـت تـدمر المـصانع والبيوت وتلحق الخسائر الجسيمة بالارواح .

ج - المجال الثالث استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي الغربي تجاه العرب .

وهنا يجدر بنا إعادة التذكير بواحد من الأهداف النفسية الاستراتيجية في معركة الاعلام الغربيـة فـي حـرب الخليج وهو تضليل الرأي العام العربي عن حقيقة الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة واظهـار نفسها أمام الدول العربية بمظهر الحليف المحافظ على أمن وسلام المنطقة ضد التهديد العراقي للدول العربية واطماع العراق التي ظهرت باجتياح الكويت اولاً. فركزت وسائل الإعلام علـى تجميـل وتحـسين صـورة أمريكا حامية السلام وحارسة الأمن وأنها جاءت بجيوشها لحماية الـسعودية مـن احـتلال عراقـي وشـيك ولاخراج العراق من الكويت فقط لا غير، ثم ستحمل قواتها وترحل بعد انتهاء مهمامتهـا وإذا تطلـب الأمـر سوف تبقى بعض هذه القوات لإحلال سلام دائم وعليه كان أول اهدافها أن تحصل وهي تحّرك القـوات علـى الشرعية العربية بإشراك قوات وتمويل الحملة بالفلوس والسماح لهـا بـالنزول علـى الأرض العربيـة فـي الجزيرة واستباحة المياه العربية في الخليج . وكان الهدف الثاني كما ذكرنا سابقاً الحـصول علـى الـشرعية الإسلامية باستصدار الفتاوي وكذلك اشراك قوات دول إسلامية واستخدام أراضيها واجوائها لضرب العـراق وعلى اسوأ الاحتمالات شراء صمتها وحيادها المرحلي الذي تبين انّه لم يكن حيـاداً علـى الإطـلاق وانمـا انحيازاً لقوى التحالف ظهر على شكل مشاركة في الحصار ثم احتجاز الطـائرات واخيـراً دفـع المتمـردين لاثارة اعمال العنف والتخريب وتصعيدها. والتي تمثل طعن الرجل المنهك في ظهره حتّى ينهار .

وكان من ابرز عناصر الحملة الموجهة للعرب :

١ - كما ذكرنا تخويف العرب من اطماع الرئيس العراقي العدوانية مما يجعلهم يـشعرون بحاجـة الحمايـة الغربية وذلك من خلال تضخيم القوة العراقية، والتشكييك بنوايا القيادة العراقية.

٢ - ايجاد المبرر للحشود الغربية في المنطقة حتّى لا تظهر حقيقتها كاستعمار جديد لـلأرض العربيـة ممـا يؤجج الأحقاد لدى العرب ضد الغرب ويدفعهم للتشكك في النوايا الغربية . والتي تتلخص بالآتي:

---

[٦٠] - راديو غسرائيل ٦ / ٨ / ١٩٩٠ م.

أ ـ بقاء العرب في حالة من التمزيق والتبعية للاجنبي والتخاف العلمي والصناعي والتكنولوجي والعسكري ..

ب ـ بقاء اسرائيل في المنطقة كعنصر إعاقة لوحدة العرب وتخلصهم من حالة التخلف والتبعية وكعنصر إمتصاص لثرواتهم باضطرارهم لتوجيهها نحو التسليح بدل التنمية والرفاه والتقدم.

ج ـ بقاء القوى الأجنبية الغربية وعلى رأسها أمريكا في حالة التسلط والقهر والسيطرة على دول المنطقة مما يهّيء لها نهب الثورات وعلى رأسها بترول العرب.

٣ ـ العمل على التأثير على الروح المعنوية وارادة القتال لدى الأمة من خلال مجمل الحملة الاعلامية الغربية التي كانت تهدف لاقناع العرب باستحالة الاعتماد على الذات (كما في بعض دول الخليج ولحماية نفسها) ونجحت الحملة في ابقاء الإنسان العربي في حالة من الحيرة والبلبلة ومن ثم الإحباط بسبب من اساليب الكذب والتعتيم والخداع والتضليل اولا وبسبب اعتماد العرب الحصول على المعلومات من الاعلام الغربي ثانيا .

٤ ـ العمل اعلامياً نفسياً على تشتيت الصف العربي والزيادة في تمزيقه من خلال طروحات : العرب المعتدلين والعرب المتطرفين وغيرها .

٥ - لحملة الموجهة للدول التي ساندت العراق شعبياً أو وقفت على الحياد رسمياً وتهديدها بالحصار والمقاطعة للضغط عليه بهدف تغيير موقفها الرسمي والشعبي.

٦ ـ تشويه الشخصية العربية وتجديد لجواء الشماته بالعرب من خلال اظهار الامة العربية بانها امة عدوانية دموية بربرية ما زالت متخلفة، تنزع إلى الحرب في حل مشاكلها ولا تريد السلام لا لنفسها ولا لاسرائيل ولا للعالم كله، ومن ثم خلق المبرر في تواجد الغرب وعلى رأسه أمريكا في المنطقة وتواجد اسرائيل كما يتم تبرير اعتداءات الغرب الذي يمثل وجه الديمقراطية والسلام والتحضر وان هذه الاعتداءات انما هي اداة للسلام في المنطقة وذلك لتجنيب المنطقة والعالم كارثة يقوم بها العرب كما يتم ايجاد المبرر للإعتداءات الاسرائيلية باعتبارها دفاعا عن النفس . في مقالة لحدى شبكات التلفزيون الأمريكية لجلالة الملك حسين في بداية الأزمة وفي معرض السؤال عن تطورات الأوضاع قال المذيع الامريكي يصف الكويتيين وغيرهم من الخليجيين بقوله "هؤلاء العرب الذين بدّدوا الثروة على النساء والقمار والتبذير في الدول الاوروبية والغرب ". وقد جّدد الاعلام الغربي اجواء الشماتة بالعرب من خلال عناوين الصحف والتي جاءت تمس صميم السمعة العربية كما سبق وحدث عقب كارثة ١٩٦٧ من اتهام العرب "بأنهم عنصر ان لم يكن مجنون فهو خطر على الإنسانية" مركزة الابواق الصهيونية على ان الصراع هو عربي ـ عربي وليس عربي ـ صهيوني.

تقول صحيفة الإكسبرس "تشيني ـ وزير الدفاع الامريكي يسحر الملك فهد وأزمة الخليج توصف بسباق الخيل رياضة الشيوخ المفضلة " العرب - ٨ / ٩ / ١٩٩٠ م.

وقال: التلغراف صراحة "الاتراك الاشداء يقطعون شريان صدام - البترول - والكويتيون انفقوا ثروالتهم على الدعارة" العرب اللندنية ٨ / ٩ / ١٩٩٠ م.
تقول صحيفة صن البريطانية "من هو الذي اكتشف النفط ؟ نحن الغرب الذين استخرجناه من جوف الأرض عندما كان العربي العادي يجعل البدائي متقدماً جداً عليه . لقد كان "إيدن" على حق عندما قال : يجب ان لا تثق بعربي حتّى ولو كان صديقاً ، انظروا ماذا حدث، ان مختلي العقول وغريبي الاطوار يملكون النفط".
وتم التركيز وما زال في الاعلام العالمي الغربي الصهيوني على ان العرب "متخلفون" وارهابيون بالفطرة - أو بالجبّلة" وفي القاموس الاعلامي الغربي العرب هم المسلمون هم والمسلمون هم العرب على حد سواء.

د - المجال الرابع

استخدام الاسلوب الاعلامي النفسي الغربي داخلياً تجاه الامريكيين انفسهم.
كانت الحملة الموجهة للأمريكيين كبيرة ومعقدة بالوقت نفسه، وكانت تحتوي على الكثير من الرسائل وتخدم مجموعة اهداف حسب المراحل كما سيمر معنا لاحقاً في هذا الفصل عند استعراض مراحل الحملة النفسية حسب مراحل الحرب، ولكننا سنعرض الآن بشكل مفصل لأبرز عناصر هذا المجال والتي يجمعها خيط واحد هو (التبرير) فالحملة الاعلامية الامريكية داخياً (داخل البيت الامريكي) نفسه اتصفت بالتصعيد مع تصاعد وتنامي المواقف منذ ٢ / ٨ / ١٩٩٠ وحتى ما بعد توقف القتال . فبدات الحملة بتبرير الحشد وعمليات التهليل للتصعيد العسكري ، ثم تبرير الحصار والتجويع وفي مرحلة لاحقة تبرير استمرار عمليات الحصار والتجويع، ثم بدات عملية تبرير الذهاب إلى الحرب واقتضى الامر في حينه إلى خنق كل صوت يدعو إلى الحل سلمياً على حساب الذهاب إلى الحرب، ثم كانت الرسالة تبرير رفض مبادرات السلام العراقية لاتمام العلمية، ومع شن الحرب وبدْء العلميات القتالية بدأت عملية تبرير الحرب نفهسا وهي أكبر عملية خداع للعقل الأمريكي حيثكان المواطن الامريكي نفسه هو الهدف، ثم بدأت وسائل الاعلام بتبرير التدمير الذي تم بحق العراق ثم تبرير مآل ونتائج الحرب وما تقتضيه العملية من تجميل لصورة "المحارب" الامريكي وتزيين الشعارات والقيم والفضائل الإنسانية التي دفعت بأمريكا لركوب المركب الصعب والذهاب إلى الحرب .

عناصر المجال الرابع / الاسلوب الاعلامي الموّجه داخلياً للأمريكيين:

١ - تبرير الحشد : فقد عملت آلات الاعلام على تبرير الحشود المتعاظمة للقوى وبخاصة قوى الولايات المتحدة الامريكية وليس قوات حفظ السلام المتعددة الجنسيات التابعة للأمم المتحدة. وارتكزت على جملة مبررات واستخدمت كما سنرى بعد قليل مجموعة كبيرة من الخدع والاضاليل لايهام المواطن الامريكي بضرورة هذه الحشود - في هذه المرحلة المتقدمة من الحملة - لإجبار العراق على التراجع والإنسحاب من الكويت والقبول بالشروط الامريكية لذلك . وعليه فإن هذا الجانب يأتي للحصول على الشرعية الارميكية -

موافقة وتأييد المواطن الامريكي - في الغزو الامريكي للمنطقة وإحتلال منابع النفط . حيث تأكيدات بوش منذ البداية على ان التحالف الامريكي يدخل في اطار قوة متعددة الجنسيات تساهم فيها الجيوش العربية "وهذا يجعل الجمهور (الرأي العام) الأمريكي يشعر بالإنفراج بعد ان كان يضيق من رؤية الجنود الامريكيين يدافعون لوحدهم عن النظام السعودي وسط لامبالاة الدول العربية أو عدائيتها"[61] كما تم خداع المواطن الامريكي بأن أمريكا ملتزمة لدورها المتفرد الكبير وكذلك انسانياً تجاه دول المنطقة الذين يطلبون حمايتها ويجب ان لا تخذلهم - ملتزمة بالقيام بهذا الدور وهي لن تذهب للحرب وحدها بعد حصولها على الشرعية العربية والاسلامية والدولية وإنما العالم كله يقف معها ومن ورائها .

وترافق هذا الاسلوب بعمليات التهليل للتصعيد العسكري حيث كانت الاذاعات وشبكات التلفزيون والصحافة تبث بشكل دعائي في طول البلاد وعرضها ألوفاً من مشاهد توديع أفراد القوات المسلحة رجالاً ونساءً إلى الجبهة . وانتشرت قصائد وصور المديح لهذه التعبئة .[62]

٢ - تبرير الحصار والتجويع حيث ضُرب الحصار على العراق بقرارات تصدرها الأمم المتحدة تباعاً منذ بداية الأزمة. وكان المبرر أن المقصود هو صدام حسين وليس الشعب. وسنجد أنه في مرحلة لاحقة سيتم تبرير لاستمرار حصار العراق وتجويع شعبه بحجة بقاء صدام في السُلطة ! حيث ركزت الحملة في مراحلها الاخيرة وحتى ما بعد الحرب على فصل القيادة عن الشعب العراقي في نظر الامريكيين واقناعهم بان أمريكا لا تقوم بتجويع شعب كامل (١٧ مليون عراقي) وانما المقصود هو صدام شخصياً . وكان الاعلام الامريكي بين الحين والاخر وعن طريق شبكة الكيبل نيوز (c. n. n السي . أن . أن) من بغداد يعرض صوراً وأفلاماً تبيّن حركة الناس العادية في بغداد بعد عمليات القصف الوحشية وتقصد إبراز بائعي الخضار على عرباتهم المتنقلة لتُعطي الإنطباع للأمريكيين بان القصف يستهدف الوحدات العسكرية والمراكز الحربية ومراكز الاسلحة الكيماوية والجيولوجية والنووية فقط وأن كل شيء عادي ومتوفّر وهذا ما كتبه السيد رامزي كلارك - المدعي العام الأمريكي السابق ومن رجال القانون المرموقين ووزير العدل في واشنطن أثناء فضيحة وترجيت الشهيرة - عندما استضافه بيتر آرنت مراسل الشبكة في بغداد حيث تحدث كشاهد عيان عن الدمار الذي لحق بالمنشآت المدنية في العراق وفي جميع المدن حيث لحق الدمار بالمدارس والمساجد والمستشفيات وحتى النوادي مؤكداً انّه جاب البلاد طويلاً وعرضاً ولم يجد مواقع أو معدات عسكرية قد ضُربت [63] من جهة أخرى فإن مثل هذه العروض والمشاهد أي مشاهد حركة المدنيين وإظهار

---

[61] - صحيفة الشام - ١٣ / ٨ / ١٩٩٠ م.

[62] - صحيفة الشعب عمّان ٣ / ١٠ / ١٩٩١ . جون روس ونورمان سولومون . ورقة عمل للندوة الدولية حول التغطية الاعلامية في زمن الحرب .

[63] - صدام حسين الارادة العربية والاسلامية . محمد امين . عمّان ١٩٩١ .

الباعة والبضائع والمواد الغذائية كانت تخدم على الجانب العربي كذلك بان تكبح جماح العواطف المتـصاعدة من مشاعر الحزن والأسى لما تقوم به أمريكا ضد اخوانهم العراقيين .

٣ - تبرير الذهاب إلى الحرب

وهذا الجانب في الأسلوب الاعلامي الموجه للأمريكيين سوف يظهر لنا من عدة جهات وعلى شكل مجموعـة من الجزئيات التي تكمل بعضها بعضاً لتًعطي الشكل المتكامل لتبرير الذهاب إلى الحرب وهي:

أ ـ اعطاء الانطباع أن الحرب أمر حتمي حيث كانت وسائل الاعلام في هذه المرحلة تُركز على كيف ومتـى يكون الذهاب إلى الحرب وليس ضد الحرب أي ان الحرب صارت امراً حتمياً لا مفر منه والذهاب اليها مـن تحصيل الحاصل . "حيث كان الهواء .

ـ كما يقول روس وسولومون ـ في اواخر العالم ـ أي ١٩٩٠ ـ مليئاً بالجدالات والسجالات ولكنها كانـت كلها تدور حول "كيف" "ومتى" الذهاب إلى الحرب، ولم تعد تدور حول ما إذا كنا سنذهب إلى الحـرب أم لا، وبدأ أن صحافة الحقيقة التي تلاشت بلا تأخير كانت من اول ضحايا هـذه الحـرب بعـد ان رفعـت الرايـة وانطلقت القوات. وعلى حد تعبير شبكات التلفزيون فإنه مع اقتراب آب عام ١٩٩١ كانت القـوات الامريكيـة مستعدة وراغبة ومتلهفة للمعركة . وهكذا مضت رقصات الحرب الإعلامية " [٦٤].

عّزز هذا الاتجاه استطلاعات الرأي العام واستبيانات رأي الجمهور الكاذبة التي عملت على اقنـاع المـواطن الامريكي من خلال ارقامها المُضّللة بان غالبية الجماهير مع الذهاب إلى حرب عادلة تضع مصالح المـواطن الامريكي ـ والغربي ـ في المقام الاول "فقد زعمت الصحافة والاعلام الامريكي ان اسـتطلاعات الـرأي العام الامريكية تُظهر أن ٧٠ % من الشعب الامريكي يوافق على قرار بوش بإرسال مظليـين وسـلاح جـو وبحرية إلى الخليج . الا أن هذه المزاعم لا يمكن في الواقع أن تُعبّر عن شعب هو في الحقيقـة لا يعـي مـا يجري في المنطقة، كما ان صدورها يأتي من جهات تحاول إقناع الراي العام الامريكـي بـصحة قـرارات البيت الأبيض لتأييدها من قبل الغالبية . [٦٥] أيّد ٤٠ % من الأمريكيين ضـرب العـراق نوويـاً رحمـةً بـه وبأنفسهم فيما بعد وفي استطلاع للرأي.

ب ـ اعطاء الإنطباع بأن الحرب انما هي لمصلحة الامريكيين خاصة وهي من أجل الطاقة . فقامت وسـائل الاعلام بإيجاد التبرير النفسي لاقناع الأمريكيين الذين رفعوا شعار " لا للدم مقابل النفط" موجـودة فـي أرض غير أرضها ومسكونة من قبل أناس غيرها، وأن هذه المصادر أصبحت مهددة بالـسيطرة عليهـا مـن قبـل الرئيس العراقي المعادي للغرب، فالرسالة الاعلامية التي عملت الوسائل المختلفة علـى ايـصالها للمـواطن الامريكي واقناعه بها أن المصلحة الامريكية اولاً وأخيراً ـ بالإضافة للشعارات الإنسانية والقـيم الحـضارية

---

[٦٤] - صحيفة الشعب ـ ٣ / ١٠ / ١٩٩١ . المرجع نفسه .

[٦٥] - صحيفة الشام ـ ١٣ / ٨ / ١٩٩٠ م

الاخرى هي التي تدفع أمريكا للذهاب إلى الحرب وهذه المصلحة الآن تكمن في النفط ومصادر الطاقة التـي هي بمثابة ماء الحياة للعالم المتحضر ولاستمرار الصناعة والتقدم والإزدهار والرفاه الامريكي مما لا يجـوز معه أن تتحكم به دولة منفردة واحدة فكيف إذا كانت هذه الدولة كالعراق دولة عدوانية شريرة بدأت بـاحتلال الكويت وستستكمل احتلال السعودية والخليج وجميع منابع النفط ثم تتحكم بامدادات وأسعار ما يـساوي ثلثـي الاحتياط العالمي [٦٦] من ماء الحياة العصرية ".

ح - اعطاء الإنطباع من خلال وسائل الاعلام للمواطن الامريكي تبريراً للذهاب إلـى الحـرب أن الحـرب ستكون مجرد عملية جراحية (أي سريعة حاسمة وغير مؤذية للمدنيين) كمـا ان النتيجـة سـتكون انتـصاراً سريعاً حاسماً ومؤكداً حتّى أصبحت كلمة (العملية الجراحية) كالنقد المتداول وصار بمثابة مـصطلح يـستخدم في تلك المرحلة - بديلاً عن ما أسمي بعملية درع الصحراء ثم عاصفة الصحراء . وكان يرافق هذا الـشعار شعار (الحرب النظيفة) كما سبق وأشرنا، وشعار (الحرب العادلة) .

د - تخويف المواطن الامريكي من صدام وإنه وان العراق خطر على السلام العالمي والأمن الدولي كما هو خطر على أمريكا والأمريكيين . حيث لم تكل أو تتعب وسائل الاعلام المطبوعة والألكترونيـة عـن التلـويح بخطر الغازات السامة والرؤوس النووية التي كان صدام حسين على وشك انزالها على رأس البشرية وكانـت الشعارات والعناوين البارزة التي تعدت أمريكا لتصل إلى جميع انحاء العالم حول "الحرب التي ستنهي العـالم" !!

إذن فقد حاولت وسائل الإعلام الغربية خداع وتضليل الرأي العام الأمريكي للحصول على الدعم في الإتجـاه نحو الحرب ضد العراق من خلال حملة ترويع لاقناع الأمريكيين والعالم اجمع وذلك من خلال تمثيلية سـقوط قناع الغاز من حقيبة حرس بوش الشخصي عند نزوله من الطائرة وذلك لاقناعهم بحجم التهديد الـذي سـوف يتعرض له كل امريكي بما فيه الرئيس شخصياً مما يبرر شرعية الرئيس الامريكي بالحرب ضد العراق.

هـ - تشويه شخصية صدام حسين وإقناع المواطن الامريكي بأن صدام "شيطان" وأنه "هتلـر" الجديـد. فقـد جرى الاستخدام النفسي التخريبي لتشويه صورة صدام حسين لدى الامـريكيين بتـصوير تركيبتـه النفـسية والشخصية التي تُولّد الأفكار العدوانية كما هو هتلر بالضبط الذي الحق الدمار بأوروبـا والعـالم ومـن ثـم فلينتظر الامريكيون الدمار القادم اليهم على يد صدام. وذلك التشويه بقصد تغذيـة الـدوافع العدوانيـة لـدى الامريكيين والغرب عامة حتّى يروا في الحرب الحل الامثل لإزالة مثل هذا التهديد .

ومنذ بداية الأزمة ووسائل الاعلام الامريكية تصور صدام بالإضافة إلى أنه "هتلر الجديد" باعتبـاره "الـوحش الذي يقتل الأطفال" "فقد لاقت رواجاً واسعاً الرواية الوهمية عن حرمان ٣٠٠ رضـيع مـن حاضـناتهم فـي

---

[٦٦] - احتياطي نفط الشرق الأوسط (٥٩٣) مليار برميل والإحتياطي العالمي مجموعة (٩٣٣) مليار برميل وفقاً لأرقام نشرة World Oil عدد آب ١٩٩٠ . (٢) للمزيد كتاب حرب العالمين الاولى . تحرير وترجمة صبحي حديدي . الأرض للنشر ١٩٩١ . مقال "الكساندركوكبين (الإعلام والحرب العادلة).

المستشفيات (الكويتية) ولم تعترف وسائل الاعلام الامريكية السائدة بان حكاية الحاضـنات كانـت الكذوبـة إلا بعد نهاية الحرب أي بعد ان تم تناقلها فترة طويلة على أنها حقيقـة واقعـة. وقـال المتحـدثون الـصحفيون الامريكيين في تصريحات ليست للنشر أن تقديم صدام حسين في صورة "الشيطان" سيكون أمراً أساسـياً لـشن الحرب " [٦٧] يقول روس وسولومون في ورقتهما آنفة الذكر في هذا السياق : "وإذْ ينظر المرء إلى الهـستيريا التي انتابت المكسيك في عشية الحرب، يتملكه احساس بالغثيان من التعمد بتهويل التهديـد العـسكري الـذي يشكله صدام حسين على السلام العالمي لترقية العراق إلى منزلة المتحدي المطلـوب لاسـتعراض التـدمير التكنولوجي بقيادة الولايات المتحدة الذي سرعان ما اجتاح شاشات التلفزيون في أمريكـا اللاتينيـة . ولـو لا تقديم صدام حسين بصورة الشيطان كهتلر جديد والخطأ المقصود في حساب قوة العراق العسكرية الذي نقلتـه الذراع الطويلة لشبكة سي إن إن وشبكة تيليفيزا كوربوريشن – مركزها في المكسيك – لكانت الحرب بنظـر أمريكا اللاتينية (والعالم أجمع) – مجرد عملية استيلاء وحشية يانكية أخرى على دولة ذات سـيادة مـن دول الجنوب" [٦٨] .

و – اضافة إلى ما ذكرناه حول تبرير الذهاب إلى الحرب من خلال تشويه صورة الرئيس صدام فـي عيـون الامريكيين ومن خلال تخويف المواطن الامريكي من صدام باعتباره خطر ما حق فإنه قد تم استغلال قـضية الرهائن وتشويهها هي الأخرى لتصب في القناة نفسها والاتجاه نفسه ففي برنامج العـالم هـذا الـصباح عـن اذاعة لندن يوم ٢ / ٩ / ١٩٩٠ قال مقدم البرنامج نقلاً عن تصريح لرئيـسة الـوزراء البريطانيـة "تاتـشر": "الحقيقة لو أنك سمحت لاحتجاز الرهائن على ما فيه من بشاعة أن يُحّدد ما تتخذه من اجراء ضـد الـدكتاتور – تقصد الرئيس العراقي – فإنه سنتصر وكل ما في وسعك أن تفعله أو أن يفعله غيـرك مـن النـاس مـع أشخاص لهم طموح مماثل هو أن يحتجز رهائن وهو يعلم آن الآخرين لـم يتخـذوا آي إجـراء لوقـف هـذا الدكتاتور عند حده ولذا فإنه يتعين علينا الآن نتخذ الإجراء اللازم والذي نشعر أنه حيـوي لوقـف الـدكتاتور حتّى لو ظل يحتجز الرهائن".

٤ – خنق صوت السلام . وذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي :

أ – خنق صوت السلام داخلياً .

فقد تم خنق صوت السلام لدى الشعب الامريكي الذي كان يتحرك في قطاعات كبيرة بواسطة سيطرة الاعـلام على الرأي العام واقناعه بأن الأزمة لا يمكن حلها بالسلام وانما بالحرب (جمعية الأمريكيين النفـسية وتـضم ٢٣٠ الف عضو كان لها جهود ظاهره تم التعتيم عليها) [٦٩] وتم ضمن عمليات التعتيم الاعلامي التغطية علـى

---

[٦٧] - صحيفة الشعب المرجع السابق نفسه .

[٦٨] - المرجع السابق نفسه . وارجع في نهاية هذه الفقرات لمثال البوستر عن "بوش وصدام" .

[٦٩] - مجلة الدفاع العربي . تموز ١٩٩١ مقال الدكتور محمد الحجار.

جهود تخفيف حدة الاندفاع نحو الحرب وعدم السماح بإسماع صوت المطالبين بـالحلول البديلـة عـن الحـل العسكري.

ورافق هذا في أمريكا محاولة محطات الإذاعة والتلفزيون والصحافة اظهار الرأي المعارض للحرب بالمظهر الضعيف "فالأعضاء الليبراليون الذين ُأعدوا للقيام بدور المتحدثين ضد الحرب كانوا عادة مصابين بفقر الـدم والتخاذل ففي الوقت الذي ثاروا فيه اعتراضات على الطريقة الإجرائية وعلى العملية الجارية وتوقيتها تجنبـوا القضية الاساسية المتمثلة بالحرب والسلام. وإذا وجد بعض قادة الحزب الديمقراطي قطبـاً يفتـرض بـه ان يكون مضاداً لأنصار الحرب المتحمسين في البيت الأبيض ، فقد ساق هـؤلاء القـادة اعتراضـات تكتيكيـة صورتها وسائل الاعلام وكانها جوهر المعارضة . عملت هذه المناورة على تـضليل المـواطنين الـذين لـم يؤيدوا التدخل العسكري في أنحاء الولايات المتحدة، فالذين لم يتجرعوا وصفة بوش قدم لهـم دواء مغـشوش بدهاء" [٧٠].

ب ـ خنق صوت السلام خارجياً

وكما تم التعتيم داخل أمريكا من نقل صورة معارضي الحرب بالداخل كذلك تم التعتيم داخل أمريكا وخارجها بحجب صور معارضي الحرب بالخارج بما فهيا المظاهرات والمسيرات الشعبية حيث لم ينقل منها شيء فـي الصحافة الامريكية [٧١] .

وتم خنق صوت السلام خارجياً من خلال تجاهل طروحات العراق السلمية فعلى الرغم مـن اعـلان الـرئيس صدام منذ بداية الازمة إلى استعداده للإنسحاب من غالبية الكويت وبقائـه فقـط فـي حقـول نفـط الرميلـة وجزيرتي بوبيان ووربة فإن وسائل الإعلام الأمريكية سلمت من حيث الأساس بوصف البيت الأبـيض حـول "العنّت" العراق [٧٢].

كما تم تبرير الرفض الامريكي مبادرات السلام العراقية والتستر خلف الشرعية الدوليـة والقـانون الـدولي بحجة ان العراق معتد ويجب لخراجه بالقوة وتقليم أظافره قبل الحديث عن السلام وبحجـة ان العـراق غيـر جاد مطلقاً في هذه الطروحات انما هو يقوم بالمناورة لكسب الوقت .

٥ ـ تبرير الحرب نفسها :

وذلك عن طريق خداع المواطن الامريكي لتمرير مشروع الحرب والعلميات القتالية الدائرة حيث تم خداعـه بالرقابة الذاتية وبالمعيار المزدوج وبتجاهل تكاليف التدخل ثم بإخفاء حقيقة الضحايا والجرائم .

---

[٧٠] - روس وسولومون .

[٧١] - المرجع نفسه .

[٧٢] - المرجع نفسه .

أ ـ فقد تم تضليل الامريكيين عن طريق حجب الإعلام الامريكي عنهم مقتل آلاف الأطفال بـالعراق لفقـدان الغذاء والدواء بالوقت الذي كان بوش يتباكى فيه على ان العراقيين حرموا الرضع في الكويت من حاضـناتهم في المستشفيات (تم تكذيب هذه الرواية الوهمية من قبل الكسندر كوكبرن في ذي نيشن ٤ شباط ١٩٩١ .[٧٣]

ب ـ كما تم تضليل المواطن الأمريكي عن طريق تجاهل تكاليف الحرب حيث لم ينل مـا يمكـن ان يكلفـه التدخل العسكري الامريكي في الخليج من ثمن باهظاً إهتماماً يذكر فـي الاعـلام الامريكـي، مـن وخـلال المساومات الشاقة حول الميزانية في واشنطن أدّت وسائل الاعلام واجبها بالتعاون مع السياسيين فـي تجاهـل العبء المالي وما يرتبط من تخفيضات في الاعتمادات المخصصة للحاجات الإنسانية في الـداخل . وتهربـت التغطية الاعلامية من المعاناة الإنسانية الممُضّنة والموت الذي كـان محتومـاً مـن جـراء وقـوع هجـوم امريكي.(٣)

ح ـ الرقابة الذاتية : تم كذلك تضليل المواطن الامريكي لتمريري مشروع الحرب نفسه حيث كانت ومنـذ أن بدأت أزمة الخليج غالبية التقارير الصحفية مستقاة وبصورة مباشرة مما يقوله مـسؤلو الحكومـة الامريكيـة للصحفيين وقد أنجز بناء الحشود العسكرية بصحبة طائفة من الآراء التي نقلتها وسائل الاعلام مـستبعدة مـن الناحية العملية المواقف النقدية الاساسية (٤) أي تم ابراز الاصوات والمواقف والدراسات التي تصب في قنـاة الذهاب للحرب ثم خوضها وكان يتم استبعاد كل ما من شانه ان يتناقض وهذا الاتجاه .

د ـ كما تم تبرير عملية الحرب نفسها لدى المواطن الامريكي عن طريق أسلوب المعيـار المـزدوج حـول حقوق الإنسان . فبحكم المعتاد ان بعض الأنظمة تمارس أساليب التعذيب والـسجن بـصورة روتينيـة ضـد المواطنين لأسباب سياسية ولكنها تظل من الناحية العملية بمنأى عـن انتقـاد وسـائل الاعـلام للإنتهاكـات الجماعية التي ترتكب ضد حقوق الإنسان في ظلها . وان حكومة بغداد التي أشارت اليها منظمة العفو الدوليـة مراراً بوصفها من منتهكي حقوق الإنسان على نحو صارخ لم تتعرض إلـى نيـران النقـد فـي الـصحافة الامريكية إلا عندما فقدت نشاطات صدام حسين حظوتها لدى واشنطن [٧٤]وهذا يعني ببساطة أن انتهاك حقـوق الإنسان يمكن السكوت عليها في زمن كما يمكن إثارتها وتضخيمها كما حدث بالنسبة للعراق على حـد تعبيـر "روس سولومون" في زمن آخر وعندما تقتضي الحاجة ذلك ، أي ان القضية ليست هي حقوق الإنسان نفـسها وإنما استغلال ذلك وحفظ رصيد يمكن استخدامه في الاعلام لتشويه صورة الخصم عند الحاجة وهـذا الامـر هو أبعش ما يمكن ارتكابه بالنسبة لحقوق الإنسان لانها تكون قد انتهكت مرتين الاولى عنـد الـسكوت عنهـا لعدم الحاجة لإثارتها والثانية عندما استخدمت لخداع وتضليل اناس آخرون ليقعوا بـسببها فريـسة عمليـة ـ مؤامرة ليس لها علاقة بحقوق الإنسان وربما ستكن كارثة بحق الإنسان .

---

[٧٣] و ٣ و ٤ - روس وسولومون. المرجع السابق نفسه . وارجع إلى ما كتبناه حول الاعلام العربي المتحالف في الفصل السابع حيث تم فضح القصة وأنها كانت ملفقّة بالكامل.

[٧٤] - المرجع السابق نفسه .

٦ - تبرير التدمير، وتبرير النتائج البشعة للحرب التدميرية:

العنصر السادس في المجال الرابع وهو استخدام الأسلوب الإعلامي النفسي الغربي داخلياً تجـاه الأمـريكيين أنفسهم . حيث عملت آلات وأجهزة ووسائل الإعلام الجبارة على تبرير عمليات التدمير التي تمت في العـراق بحجج مختلفة :-

أ - تضخيم حجم القوة العراقية كرابع أقوى دولة في العالم والتخويف منها بقصد تبرير الحـرب التدميريـة المزمع شنها ضدها وتسويغاً لحجم الدمار الذي يمكن أن يلحق بالعراق . وكان قد سبق أزمة الخلـيج الحملـة الاعلامية التي استهدفت العراق بعد انتهاء حربه مع إيران عندما كانوا يبالغون في حجم الترسـانة العراقيـة وقد اثاروا قضايا القدرات والبرامج النووية والاسلحة الكيماوية والبيولوجية .. الخ .

وكان الهدف من مجمل الحملات الإعلامية في هذا السياق هو ترك الإنطباع والإعتقاد بـأن العـراق خطـر عسكري كبير على السلام العالمي والأمن الدولي حتّى أصبحت عبارة (أن الجيش العراقي هـو رابـع أكبـر جيوش العالم) تثير الغبطة في نفوس من كانوا يتطلعون إلى معركة ضارية بحق (١) فقد نجـح الاعـلام فـي تضليل العالم وتضليل المواطن الامريكي اولاً وبشكل خاص في تضخيم حجم التهديد العسكري العراقي للعالم أجمع ومن ثم نجح هذا الاسلوب في ترقية العراق إلى منزلـة المتحـدي المطلـوب لاسـتعراض التـدمير التكنولوجي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية [٧٥].

ب - كما تم تبرير استمررا عمليات التدمير بحجة البحث عن منصات اطلاق الصواريخ وعن مراكز اسـلحة الدمار الشامل. فتحت غطاء البحث عن منصات الصواريخ ومراكز الاسلحة الكيماوية والجرثومية والنوويـة ومقر قيادة النظام تم التبرير لعملية التدمير الشاملة . كذلك كان الادعاء بالبحث عن الطائرات وعن المعـدات والاسلحة التي أخفيت في المساجد والمدارس لتبرير ضرب هذه المراكز المدنيـة المحـرم ضـربها دوليـاً وانسانياً.

ج - كما تم تبرير النتائج البشعة للحرب التدميرية التي شنت على العراق بادعاء ان العراق كان قـد تـسبب في كارثة بيئية على المنطقة وتتسع دائرتها لتؤثر على ما هو أبعد جغرافياً من منطقة الـشرق الأوسـط وأنـه كان بإصراره على العدوان مؤهلاً ليصبح خطراً على البيئة العالمية برمتها كل ذلك لإضفاء المبرر الإنـساني على الحملة العسكرية في أثناء مقارفتها وعلى النتائج البشعة التي انتهت اليها وتحملها شعب العراق نفسه .

د - ولتبرير نتائج حرب الدمار الشامل التي شنت على العراق كان لابد في النهاية من إجـراء مـا تقتـضيه العملية من تجميل لصورة "المحارب" الأمريكي وتلميع الشعارات والقيم والفـضائل الإنـسانية التـي دفعـت بأمريكا على حد زعمها لركوب المركب الصعب والذهاب إلى الحرب والتي حـارب مـن أجلهـا الجنـدي الامريكي ووقف المواطن الامريكي وراءه دعماً وتأييداً.

---

[٧٥] - المرجع السابق نفسه .

وعليه فقد تم التركيز على عدالة الشعارات التي حارب الغرب تحتها ومازال في الخليج من أجلها كذلك وذلـك تحت ستار من الفضائل والقيم الإنسانية بقصد استمرار حشد الدعم الجماهيري للحملـة ولتـحسين صـورة العسكريين الذين نفذوا المهام بتفوق وروح انسانية مما يبرر كشف أي عملية تدمير كبرى أو وقـوع ضـحايا باعداد كبيرة بين المدنيين ولإظهار العراق بأنه لا يملك أي مبرر انساني . كل ذلـك بهـدف "اقنـاع الجبهـة الدالخية بعدالة شعارات السياسيين والقضايا التي روجّوا لها في حـرب الخلـيج وكـذلك لتطمـين المجتمـع الامريكي بأن العسكريين الذين أمرهم السياسيون بتنفيذ اهدافهم قاموا بعملهـم خيـر قيـام وحـسب الخطـة المرسومة وأنهم يتفوقون على الاعداء، وأن قضايا الطرف الآخر (العـراق) هـي غيـر انـسانية وليـست عادلة"[٧٦].

وهكذا وبعد أن تعرفّنا في هذا الفصل على الأهداف النفسية الإستراتيجية للحملة الاعلامية في حـرب الخلـيج ثم وقفنا بشكل تفصيلي على الاساليب العامة ثم الاساليب النفسية الخاصة في معركة الاعلام الغربية في هـذه الحرب يمكننا الى، ان ننظر إلى هذه الاساليب من زاوية جديدة وهي زاوية مراحل الحملة العـسكرية وكيـف كانت تظهر الاساليب النفسية في كل مرحلة من هذه المراحل.

مراحل الحرب النفسية في حرب الخليج

١ ـ بلغ السلاح الاعلامي الامريكي الذروة في حرب الخليج بقدرته على تجنيـد وسـائل الاعـلام العالميـة لخدمة حملته العسكرية والسياسية وكذلك بالضغط على معظم دول العالم للحصول علـى المروافقـة علـى فصول الحملة السعكرية والحصول على الدعم المادي (النفقات والقوات) بالاضافة إلى التعبئة النفـسية لقـوى التحالف من خلال اقناعها بشرعية الحرب التي تخوضها . وقد كانت الاهدافالاسـتراتيجية تتـضح بالـسيطرة على النفط لتامين امداداته بأسعار مسيطرة عليها وبالعمل على حماية اسرائيل وبالتحكم بأي قوتة في المنطقـة عن طريق الوسائل العسكرية والسياسية تخل بالهدفين الاوليين.

وحيث تعرضنا إلى الاهداف النفسية الاستراتيجية وللأساليب المـستخدمة لتحقيـق تلـك الأهـداف فـسوف نستعرض هنا بالتفصيل تلك الاهداف والأساليب ويمكن تتبع الحرب النفسية في حـرب الخلـيج مـن خـلال مراحلها الثلاث حيث كانت المرحلة الاولى من ٢ آب / ١٩٩٠ وحتى كانون ٢ / ١٩٩١ وهو بدايـة القـصف الجوي والمرحلة الثانية من ١٧ كانون ٢ وحتى شباط / ١٩٩١ وهو نهاية الهجوم البري والثالثـة منـذ نهايـة الهجوم البري وحتى الآن وسوف نعرض لهذه المراحل لنحدد أهداف كل مرحلة ووسائلها.

١ ـ المرحلة الأولى من ٢ آب وحتى ١٧ كانون ٢ / ١٩٩١ .

أ ـ الأهداف . حاولت وسائل الاعلام الغربية الظهور بمظهر :

---

[٧٦] - محمد أمين . المرجع السابق نفسه .

١ - المدافع عن الشرعية الدولية أي ان امريكا ستقوم بالاعمال اللازمة من خلال مجلس الأمن وهيئة الامـم المتحدة دفاعاً عن السلام العالمي وعن الشرعية الدولية ضد دكتاتورية الرئيس صدام حسين الذي قام بـاحتلال بلد عضو في هيئة الأمم المتحدة والذي سوف يوسع عدوانه في حالة تركه دون أي اجراء يؤدي إلى اخراجـه من الكويت.

٢ - اخراج العراق من الكويت.

٣ - الدفاع عن السعودية ودول الخليج .

ب - الاساليب . استخدمت الحملة الاعلامية في هذه المرحلة مجموعة أساليب منها:

١ - الحملة الموجهة للأمريكيين :

أ - حاولت وسائل الاعلام الغربية خداع وتضليل الرأي العام الامريكي للحصول على الدعم في الاتجاه نحـو الحرب ضد العراق من خلال حملة ترويع لاقناع الامريكيين والعالم اجمع وذلك من خلال تمثيلية سقوط قنـاع الغاز من حقيبة حرس بوش الشخصي عند نزوله من الطائرة وذلك لاقناعهم بحجـم التهديـد الـذي سـوف يتعرض له كل امريكي بما فيه الرئيس شخصياً مما يبرر شرعية الرئيس الامريكي بـالحرب ضـد العـراق حيث تبين في استطلاع للرأي ان ٤٠ % من الامريكيين ايدوا ضرب العراق نوويا رحمة به وبأنفسهم.

ب - تبرير تجويع الشعب العراقي وان المقصود هو صدام وليس الشعب.

ج - تشويه شخصية صدام حسين بتصويره باعتباره "هتلـر الجديـد " و "الـشيطان " وغيرهـا ممـا يهـيء الامريكيين لضرورة الذهاب إلى الحرب لإيقاف هذا "النمر الهائج" عند حدّه .

د - تبرير الحشود المتعاظمة للقوى وبخاصة قوى الولايات المتحدة وليس قـوات حفـظ الـسلام المتعـددة الجنسيات التابعة للأمم المتحدة .

هـ - التبرير النفسي لاقناع الامريكيين الذين رفعوا شعار (لا للدعم مقابل النفط) بأنه أمر طبيعـي ومتوقـع ان تحارب أمريكا من أجل مصادر "للطاقة " موجودة في ارض غير أرضها ومسكونة من قبل النـاس غيرهـا وأن هذه المصادر أصبحت مهددة بالسيطرة عليها من قبل الرئيس العراقي المعادي للغرب.

و - اقناع الشعب الأمريكي أن الضربة سوف تكون جراحية (أي غير مؤذية للمدنيين) وأن النـصر سـيكون سريعاً وحاسماً ومؤكداً.

ز - خنق صوت السلام لدى الشعب الأمريكي الذي كان يتحرك في قطاعات كبيرة بواسطة سـطرة الاعـلام على الرأي العام واقناعه بان الأزمة لا يمكن حلها بالسلام وإنما بالحرب (جمعية الامريكيين النفـسية وتـضم ٢٣٠ الف عضو كان لها جهود ظاهرة تم التعتيم عليها).

ح - تضخيم حجم القوة العراقية كرابع اقوى دولة في العالم والتخويف منها بقصد تبرير الحـرب التدميريـة المزمع شنها ضدها وتسويغاً لحجم الدمار الذي يمكن ان يلحق بالعراق. وكان قد سبق أزمة الخلـيج الحملـة

الاعلامية التي استهدفت العراق بعد انتهاء حربه مع إيران عندما كانوا يبالغون في حجم الترسـانة العراقيـة وقد اثاروا قضايا القدرات والبرامج النووية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية والمدفع العملاق .. الخ .

ط - اتباع اسلوب الحرب النفسية الهجومية استناداً إلى قاعدة ان العملية النفسية الدعائية التـي تـصدر عـن موقف قوي لا تفرض هيمنتها وتأثيرها إذا إتخذت طابع الموقف الدفاعي ولذلك كانت الحرب النفسية الغربيـة هجومية منذ بدايتها.

ي - تبرير رفضه مبادرات السلام العراقية والتستر خلف الشرعية الدولية والقانون الدولي بحجة ان العـراق معتد ويجب اخراجه بالقوة وتقليم اظافره قبل الحديث عن السلام وبحجة ان العراق غير جاد مطلقاً فـي هـذه الطروحات انما هو يقوم بالمناورة لكسب الوقت .

٢ - الحملة الموجهة للعرب :

أ - تخويف العرب من اطماع الرئيس العرقي العدوانية مما يجعلهم بحاجة للحماية الغربية .

ب - ايجاد المبررات لحشود الغرب الكيفة في المنطقة وهو الامر الذي يؤجج الحقد في نفوس العرب ضدهم ويجعلهم يتشككون في النوايا الغربية .

٣ - الحملة الموجهة للشعب العراقي :

ان الرئيس العراقي يجر العراق للدمار في حرب لا يجني منها سوى الخراب بقصد فصل القيادة عن الشعب.

٤ - الحملة الموجهة للقيادة العراقية والجيش العراقي :

أ - خداع وتضليل القيادة العراقية والجيش ومنها:

(أأ) ان القوات الامريكية متدنية في كفاءتها (أخبار سقوط الطائرات بالعواصف الرملية وأثناء التمـارين قبـل بدء العمليات).

(ب ب) ان التحصينات العراقية قوية بحيث لن تتأثر بالضربات الجوية.

(ب) أحداث التأثير النفسي من خلال القاء المناشير على القوات العراقية مما دفع الـبعض لتـرك مـواقعهم بالتزامن مع ظروف العمليات القاسية من قطع خطوط الامداد وتأثير الضربات الجوية المستمرة.

5 - الحملة الموجهة للعالم:

إن العرب ما زالوا ينزعون نحو الحرب في حل مشاكلهم وحتى المشاكل الداخلية منها مما يستوجب التواجـد الغربي هناك حفظا للسلام العالمي وكبح جماح القادة المتهورين .

٢ - المرحلة الثانية : من ١٧ كانون ٢ / ١٩٩١ وحتى ٢٧ شباط / ١٩٩١ .

أ - الأهداف :

١ - تحطيم القدرات العسكرية العراقية وتدميرها بالكامل.

٢ ـ تدمير البنية العسكرية والصناعية والعلمية في العراق .

٣ ـ تدمير مجمل المرافق والمنشآت والمشاريع العراقية ومحاولة اعادة العـراق إلـى العـصر الحجـري (تصريح دوغان قائد القوات الجوية أُقيل في ١٥ / ٩ / ١٩٩١ بعد كشفه أهداف الهجوم الجوي الامريكي).

٤ ـ إسقاط النظام العراقي وإقصاء الرئيس صدام حسين عن السلطة .

ب ـ الأساليب :

١ ـ الحملة الموجة للامريكيين :

أ ـ الإستخدام النفسي التخريبي تشويه صورة صدام حـسين لـدى الامـريكيين بتـصوير تركيبتـه النفيـة والشخصية التي تولد الافكار العدوانية كما هو هتلر بالضبط الذي الحق الدمار باوروبا والعالم ومن ثم انتظـار الامريكيين للدمار القادم اليهم على يد صدام وذلك التشويه بقصد تغذية الدوافع العدوانيـة لـدى الامـريكيين والغرب عامة حتّى يروا في الحرب الحل الامثل لازالة مثل هذا التهديد.

ب ـ تحت غطاء البحث عن منصات الصواريخ ومراكز الاسلحة الكيماوية والجرثومية والنووية ومقر قيـادة النظام تم التبرير لعملية التدمير الشاملة . كذلك كان الادعاء بالبحث عن الطائرات وعن المعـدات والاسـلحة التي أُخفيت في المساجد والمدارس لتبرير ضرب هذه المراكز المدنية المحرم ضربها دولياً وانسانياً .

٢ ـ الحملة الموجهة للشعب العراقي . تهديد الشعب العراقي بطريقة غير مباشرة بالجوع والـدمار الـشامل بقصد خلق الرعب والذعر لترك مدنهم وقراهم خلال سير العمليات القتالية (كما حدث فـي الطـور النهـائي للحرب) مما يثير المشاكل والقلاقل ويمهد لاستثمار العمليات وتطويرها واستمار المواقف لما بعد الحرب .

٣ ـ الحملة الموجهة للقيادة العراقية والجيش العراقي.

القيام بأعمال خداعية وتضليلية استخدم فيها الاعلام مع الاجراءات الاخرى لتحقيق المفاجأة الاستراتيجية قبـل الحرب وذلك من خلال الجمع بين التدابير والاجـراءات ذات الطـابع الـسياسي والدبلوماسـي والاعلامـي والعسكري . كما تم ذلك أثناء الحرب لتحويل انتباه العراق عن اتجاه وتوقيت الضربة الرئيسية للعمليـة. وقـد تم ذلك باستخدام الطرق المتخلفة ومنها:

أ ـ الطرق البصرية (حشود كاذبة، تمارين انزال قوات مشاة البحرية الوهمية).

ب ـ الطرق الالكترونية اللاسلكية (تشويش ايجابي وسلبي).

ج ـ الطرق الصوتية السمعية (تمثيل حشود وتحركات ونشاط طيران وذلك باستخدام الضجيج الاصطناعي).

د ـ الطرق الكيماوية والجرثومية (في مناطق على نطاق ضيق للخداع).

٣ ـ المرحلة الثالثة ": من ٢٧ شباط وحتى الوقت الحاضر.

أ ـ الاهداف.

١ ـ اتمام مالم يتم تنفيذه في المراحل السابقة واتخاذ كل ما من شأنه تبديل السلطة، ومحاولـة القـضاء علـى القيادة العراقية وتدمير ارادة القتال والمقاومة لدى الشعب العراقي وتمزيق اللحمة الشعبية إلى طوائف مذهبية وعرقية وذلك من خلال حرب أهلية دينية في الجنوب (الشيعة) وحرب عرّقية في الشمال (الأكراد).

ب ـ الأساليب .

١ ـ الحملة الموجهة للأمريكيين.

أ ـ فصل القيادة عن الشعب العراقي في نظر الأمريكيين واقناعهم بان امريكا لا تقوم بتجويع شـعب كامـل (١٧ مليون) وانما المقصود هو صدام شخصياً وذلك تبريراً لاستمرار الحصار والتجويع .

ب ـ ان العراق قد تسبب في كارثة بيئية وأنه خطر على البيئة العالمية، لإضفاء مبرر انساني علـى الحملـة العسكرية .

ج ـ التركيز على عدالة الشعارات التي حارب الغرب تحتها ومازال في الخليج من أجلها كذلك وذلك تحـت ستار من الفضائل والقيم الإنسانية بقصد استمرار حشد الدعم الجماهيري للحملة ولتحسين صورة العـسكريين الذين نفذوا المهام بتفوق وروح انسانية مما يبرر كشف أي عملية تدمير كبرى أو وقوع ضحايا بأعداد كبيـرة بين المدنيين ولاظهار العراق بأنه لا يملك أي مبرر انساني.

٢ ـ الحملة الموجهة للعرب :

أ ـ اقناع العرب عامة بضرورة البحث عن سبل السلام والتعاون مع الغرب وان الحرب ليست البـديل عـن الحوار في حل مشاكل المنطقة .

ب ـ تضخيم قضية الكارثة البيئية التي تسبب بها العراق سواء بالنفط الذي تسرب إلـى الخلـيج أو بحرائـق الآبار في الكويت ومن ثم اضطلاع أمريكا بدور المحافظ على البيئة مما يـستدعي التواجـد الغربـي لهـذا الغرض .

ج ـ تضخيم النتائج الحربية للتقليل من شأن المقاومة العراقية المسلحة ومن ثم دعم جدوى التفكيـر بـالحرب مستقبلاً حتّى ضد اسرائيل التي تملك اعتى وسائل الدمار (كما حدث في قـضية الـصواريخ العراقيـة التـي اصبحت في الاعلام الغربي تسقط اما في البحر أو في الصحراء أو مناطق غير مأهولة).

د ـ التأكيد على وجود إضطرابات في العراق والرغبة في حماية المدنيين (الأكراد شمالا والشيعة جنوباً).

هـ ـ العمل على التأثير على الروح المعنوية وارادة القتال لدى الأمة من خلال مجمـل الحملـة الاعلاميـة الغربية التي كانت تهدف لإقناع العرب باستحالة الإعتماد على الذات (كما في دول الخليج ولحمايـة نفـسها) ونجحت الحملة في ابقاء الإنسان العربي في حالة من الحيرة والبلبلة ومن ثم الإحبـاط بـسبب مـن آسـاليب الكذب والتعتيم والخداع والتضليل اولا وبسبب اعتماد العرب الحصول على المعلومات من الإعلام الغربـي ثانياً.

٢ ـ الحملة الموجهة للعالم:

أ ـ طرح ما عرف بالنظام العالمي الجديد الذي يدور حول تحقيق السلام في جميع مناطق العالم تحت مظلة الولايات المتحدة وينهي جميع الصراعات القائمة بين الشعوب ومنها الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

ب ـ اظهار قصر نظر القيادة العراقية وخطأ حساباتها وتقديراتها على كافة الاصعدة العكسرية منها والسياسة وانها كانت تضع نصب عينيها افتراضات خاطئة منها:

(أأ) فرضية استحالة نشوب الحرب في منطقة الخليج نظراً لحساسية المنطقة بوجود النفط وذلك بالنسبة للغرب وأمريكا.

(ب ب) فرضية نتائج اطلاق الصواريخ على اسرائيل في توسيع دائرة الحرب بجر اسرائيل اليها فالعرب لجانب العراق.

(ج ج) فرضية احداث الشقاق بين دول التحالف.

(دد) فرضية قيام الشعوب العربية بالحركة ضد المصالح الغربية في بلادها.

(هـ هـ) فرضية مؤازرة أو حياد بعض الدول (السوفيات وايران).

***

وفي ختام هذا الفصل سنورد مثالين على الاساليب النفسية التي استخدمت في حرب الخليج. الاول هو عبارة عن رسم تصويري (بوستر) يجمع كل من الرئيس صدام والرئيس الامريكي بوش، حيث عمد واضع (البوستر) إلى ترويس الصورتين بعبارات على لسان كل منهما ولكننا ننبّه إلى أنه لا العراق ولا الرئيس صدام قال مثل هذا الكلام وإنما هو من وضع وتلفيق مصممّي البوستر حيث قصد أن تكون العبارات ـ كما وردت ـ موحية وذات دلالات نفسية كما سنرى في التعليق الذي نثبته أدنى الصور تخدم ـ الإيحاءات والدلالات ـ واضعي البوستر .[٧٧]

والمثال الثاني هو عبارة عن قائمة بالمفردات المتباينة التي استخدمها الاعلام الغربي لتعبّر عن الموضوع نفسه لدى كلالم الطرفين :

العراق من جهة ودول التحالف من جهة اخرى، وتؤدي بالشكل الذي استخدمت فيه ايحاءات ودلالات نفسية مقصودة تخدم الجهة التي استخدمتها .

الصورة أدناه عمل نفسي بحت وبالمقابلة بين الشقين نجد أن واضع البوستر تعمّد تضمينها رسالة قوية للمُتلقّي الأمريكي والغربي . على رأس العمودين ترجمة لما هو مكتوب على شقي الصورة وتحسن القراءة ابتداءاً من العمود الايسر .

صدام يقول : "إذا ما تورط الامريكيون فسنجعلهم يسبحون في دمائهم تلك إرادة ا ."

---

[٧٧] - نشر رسم البوستر في مجلة الدفاع العربي العدد ١٣٦ تشري ٢ / نوفمبر ١٩٩١ .

١ ـ توحي العبارة في أعلى الصورة ان العملية مرتّبة من العـراق وأن الامـريكيين سـيدخلونها بتـوريط العراقيين لهم.

٢ ـ الخطاب في كلمة "صدام" موجّه لعموم الامريكيين بإعتبارهم أعداء بهدف إقنـاع المتلقـي الامريكـي بضرورة الوقوف وراء رئيسة ودعم قراره للحرب .

٣ ـ أفصح الخطاب في الذي سيقتل الأمريكيين وقال "نحن سنجعلهم يسبحون فـي دمـائهم" لتأكيـد اللهجـة العدوانية.

٤ ـ قالت العبارة ان ما سيفعله العراقيون هو قتل الامريكيين وتم الربط بين إيمان المسلمين با وبـين ذبـح الآخرين فالعراقيون العرب مسلمون والمسلمون ارهابيون دمويون بهدف اقناع الامريكيين بـضرورة دعـم قرار الحرب .

٥ ـ الرمز في الصورة الدماء النازفة أي الموت، النخلة ترمز للعرب، والمساجد للإسلام، وذلك لإعادة ربط العرب المسلمين بالموت وهو أمل صدام الذي يتطلع إليه .

بوش يقول إذا ما أدخلنا حالة مسلحة فإن صدام سيأخذ ركلة على مؤخرته".

١ ـ توحي العبارة في أعلى الصورة أن العملية مدبّرة من العراق ، ولننا نحن الأمريكيـون نـدخل الحـرب مرغمين وهي كتعبير ملطف عن الحرب ـ مجرد حالة مسلحة .

٢ ـ الخطاب في كلمة"بوش " موجه لصدام شخصياً مع إغفال ذكر العراقيين بهدف إقناع المتُلقي للرسـالة أن المشكلة هي "صدام" وليس العراقيين .

٣ ـ أغفل الخطاب مَنْ الذي سيركل صدام وتركه مبنياً للمجهول، لتلخفيف من اللجهة العدائية

٤ ـ قالت العبارة ان كل ما سنفعله هو ركل صدام على مؤخرته لتصوير العملية أما المتلقـي أنهـا مجـرد (تأديب ولد متهور). وأن العراق لا يستأهل أكثر من ركلة مما سُيلغي صور الحصار والتجويع والدمار التـي ستظهر على خلفية عملية التأديب البسيطة!

٥ ـ الرمز في الصورة هو المدن الامريكية المزدهرة والبيت الابيض وان دعم الرئيس يحافظ على أمريكـا وهذا هو أمل الرئيس الذي يتطلع إليه .

الجدول أدناه هو بمثابة مقارنة بين المفردات التي استخدمها الاعلام الغربي للمواضيع نفـسها بحيـث تُعطـي المفردات المتباينة معاني وانطباعات ودلالات نفسية مختلفة ومغايرة لبعضها البعض .

(جميع المفردات الواردة في هذا الجدول المقارن أخذت من الصحافة البريطانية بصورة حرفية في الاسـبوع الاول من الحرب).

العالم الاول
نحن نملك.
جيشاً وبحرية وقوات دولية.
مبادئ توجيهية في التقارير الصحفية.
اجتماعات لوضع الصحافة في الصورة
نحن :
نخرج اليهم
نضغط عليهم
نحيدهم
نصفيهم أو نعزلهم ـ نقطع خطوط امداداتهم
نتحصن في الخنادق
نحن نشن :
ضربات أولى
بشكل وقائي متوقع
رجالنا:
فتيان
شبّان
فتياننا:
محترفون
قلوب الأسد
حذرون
واثقون من أنفسهم
أبطال
أمثلة في الجرأة
فرسان السماء الشباب
مخلصون
جرذان الصحراء
عقلاء
شجعان
فتياننا يحركهم:
الاحساس العالي بالواجب
فتياننا:
يحلقون في قلب الجحيم
عدم الرد الإسرائيلي
عمل يدل على وعي سياسي رفيع
صواريخنا تسبب:
ضرراً مجاوراً
نحن
نسدد على أهدافنا بدقة
في سلام مع نفسه
معتقل
رجل دولة رصين
واثق

العالم الثاني

هم يملكون

آلة عسكرية شريرة

رقابة

دعاوة مبتذلة

هم:

يدمّرون

يدمِرَون

يقتلون

يقتلون

يقتلون

يختبئون في الجحور

هم يشنون

هجمات صاروخية متخلفة

يهجمون دون ان نستفزهم

رجالهم:

قوات

قطعان

هم:

غسلات أدمغتهم

نمور من ورق

جبناء

يائسون

محاصرون خائفون

أمثلة في التعطش للادم

أوغاد بغداد

ممتثلون بشكل أعمى للأوامر

كلاب مسعورة

لا رحمة في قلوبهم

مهووسون متطرفون

فتيانهم يحركهم:

الفزع من صدام حسين

فتيانهم:

يرتعدون هلعاً في الملاجئ

عدم الرد العراقي:

عمل يدل على الجبن والخسة

صواريخهم تسبب:

خسائر في صفوف المدنيين

هم:

يطلقون برعب على أي شيء يتحـرك فـي السماء

صدام حسين

مجنون ملتاث

مستفز

طاغية شرير

وحش مضطرب

الفصل الخامس

الأدوات الاعلامية في حرب الخليج

□ مدخل . الاعلام في أبسط التعريفات، هو اداة من ادوات نقل المعرفة وتوصيلها . وقد ظـلّ حتّى نهاية الحرب العالمية الثانية اشبه "بالمرآة" التي تتحول من كيان جامد بلا قيمة إلـى أداة فعل وحركة إذا توفر لها ما تعكسه من فعل وحركة وضوء، ولكنها تبقـى فـي المحـصلة النهائية "مرآة" كاشفة وصادقة يظل "القرد" امامها "قرداً" مهما كانت الرتوش، ويبدو "القمـر " قمراً" وان أحاطت به هالة من السحب.

لكن الثورة الهائلة في علم "الاتصالات" وادواته منذ نهاية الحـرب العالميـة الثانيـة، اضـافت اضافات مركّبة ومعقّدة للغاية لهذا التعريف، فغدت "المرآة" البسيطة تقنية عاليـة وعالمـاً مـن التنكنولوجيا المعقدة واستثمارات مالية هائلة، ومهارات حرفية متميزة، ومراكز قـوى طاغيـة، وضاعت بساطة الاداة "المرآة" لتحل محلها ادوات جديدة تملكهـا حـضارة الغـرب الـصناعي المتقدم، وتحسن استخدامها وتتحكم فيها، فاختلطت الالوان وتعقدت زوايا انكسار الضوء، وصـار بالامكان ان يبدو الذئب "حملاً " والقرد غزالاً والحق باطلاً والباطل حقاً.

وبسقوط الحواجز أمام تكنولوجيا نقل الكلمة والصورة والصوت، صـارت الـسيادة الاعلاميـة للأقوياء، ووجدنا انفسنا في العالم العربي خاصة، والعالم الثالث عامة لا نملك إلا التأثير المحدود ضمن حدود اقطارنا المجزئة ذاتها ولا نملك من أدوات هذا التـأثير خـارج أقطارنـا، إلا فـي الحدود الضيقة للغاية ولعلّ من أهم ما كشفت عنه حرب الخليج، أن الاعلام العصري، بكـل مـا تجمع لديه من وسائل الانتشار السريع، صار أخطر من أحدث اسلحة القتـال بمـا فيهـا أسـلحة الدمار الشامل.

فلم يسبق، حتّى في أيام الحرب العالمية الثانية، ان بلغت الحملات الاعلامية، مـا بلغتـه الحملـة الاعلامية الدولية، التي استطاعت خلال بضعة اشهر ان تخلق "نفسية الحرب" حيث لم تكن فكـرة الحرب تخطر ببال أحد . بل هي قد استطاعت ان تخترق مجلس الامن الدولي، الذي هـو حـامي السلام العالمي، وتدفعه إلى اتخاذ قرار تاريخي بشن الحرب – وإن تكن الحُجة هنا هي مقاومـة العدوان – وأخطر من ذلك ان تلكالحملة الاعلامية الدولية المدروسة، والمخطط لهـا باحكـام ، بلغت في شدتها عنفوان الطوفان، فكان ان اكتسحت أو ركبت جميع وسائل الاعلام فـي الـدول الكبيرة والصغيرة، الغنية والفقيرة، حتّى لم يعد هناك "رأي آخر".

هذا السلاح الاعلامي الهائل القوة استخدم بكثير من المقدرة والذكاء، في ادارة اخبـار الحـرب، وما زال يستخدم بقوة كبيرة، بعد توقف القتال.

وفي الحديث عن الأدوات الاعلامية في حرب الخليج لابد من الاشارة إلى التفـوق التكنولـوجي الغربي في مجال الاتصالات الاعلامية والتي جعلت من حرب الخليج أول حرب "متلفـزة" فـي التاريخ .

فلم يحدث ان نال حدث عالمي تغطية إعلاميـة بهـذه الكثافـة والـسرعة والتركيـز والتفـوق التكنولوجي مثلما غطيت ازمة الخليج .

فغزو الولايات المتحدة لبنما غطي بكثافة شديدة ولكنه لم يستمر سـوى عـدة ايـام وتظـاهرات الطلاب في الصين غطاها الاعلام الامريكي كثيراً ولكن الحكومة الصينية طردت عـدداً كبيـراً من الصحافيين الاجانب، وحددت تحركات آخرين . وانهيار الانظمة الشيوعية في شـرق اوربـا، كانت التغطية الاعلامية له متفرقة. حتّى حرب فيتنام واشتراك القوات الامريكية فيهـا (١٩٦٤ _ ١٩٧٢) لم تُغط بكثافة مثل تغطية احداث حرب الخليج.

ويمكن القول ان تغطية شهور لتلك الاحداث تساوي تغطية كـل سـنوات حـرب فيتنـام ، هـذا بالاضافة إلى ان احداث فيتنام كانت محصورة في منطقة معينة لكن احداث الخليج خلقـت انبـاء وتطورات ربما في كل عواصم العالم، حتّى الحرب العالمية الثانية لم يغطها الاعلام كمـا كـان يغطي الاحداث المتسارعة في حرب الخليج فتلك كانت سنوات مـا قبـل التلفزيـون والاقمـار الصناعية والكمبيوتر.

وان السرعة والكثافة اللتين تمّت بها تغطية هذه الحرب من جانـب الاعـلام الغربـي أظهـرت التفوق التكنولوجي المذهل للاعلام الغربي والسيطرة المطلقة في مجال الاتـصالات الاعلاميـة واكدت ان من يملك الادوات المتطورة الحديثة في هذا المجال يملك "الحقيقة " مهما كانـت هـذه الحقيقة " في معايير الصدق والعدل.

وحول التفوق التكنولوجي الذي اظهرته حرب الخليج يقول حمدي قنديل خبير الاعلام العربـي : "ان تكنولوجيا الاتصالات هي التي ابرزت تكنولوجيا السلاح، فحرب الخليج تعد بكـل المقـاييس الاعلايم اول حرب تليفزيونية في التاريخ . وكانت الحرب الأولى التي تابعها التلفزيـون متابعـة دقيقة هي حرب فيتنام ولكن حرب الخليج كانت تُشاهد على الهواء مباشـرةً ولـم يعتمـد علـى تسجيلها ثم اذاعتها فيما بعد كما حدث بالنسبة لحرب فيتنام، فقد احتكرت الصورة المسرح تمامـاً في الحرب الاعلامية المصاحبة لازمة الخليج ".

ويضيف حمدي قنديل قائلاً : "ويرجع التفوق التكنولوجي في مجال الاعلام وخاصة فـي مجـال استخدام الصورة إلى نوعين من ا لتكنولوجيا:

الاول : اقمار اتصالات الفضاء .

الثاني : محطات الارسال المحمولة والمتنقلة.

لقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يتواجد فيها مراسلو أجهزة التلفزيـون العالميـة فـي ارض المعركة مستخدمين في ذلك سيارات صغيرة مجهزة كمحطات ارسال تتحرك فـي كـل مكـان وترسل رسائلها باستخدام الطبق الهوائي . وهذه الاطباق المحمولة علـى الـسيارات لـم تكـن معروفة من قبل حيث كان الامر مقصوراً على استخدام المحطات الارضية للاتصال التي يـصل قطر الطبق فيها إلى خمسة امتار في وقت كانت تمثل فيه تكنولوجيا متقدمة بينما نجد المحطـات المستخدمة في حرب الخليج صغيرة لا يزيد قطر القرص الواحد عن ١٨٠ سم أو ٢٠٠ سم علـى الاكثر .

ونظراً للتزاوج بين تكنولوجيا الاقمار الصناعية ومحطات الارسال المتنقلـة، اسـتطاع مـشاهدو التلفزيون في العالم ان يتابعوا اخبار حرب الخليج اولاً بأول، وكان (للصورة) الكلمة الاولى فـي سابقة اعلامية لم يشهدها احد من قبل.

لقد حلّت (الصورة) التي تنقلها اجهزة التلفيزيون عبر الاقمار الصناعية في هذه الحـرب محـل الكلمة أو تفوقت عليها، الامر الذي جعل بعض خبراء الاعلام يطلقون على حرب الخلـيج بأنهـا حرب التلفزيون لانها - على حد رأيهم - اول حرب ينقلها التلفزيون نقلاً مباشراً فـي التـاريخ ."[٧٨]

كانت هذه مقدمة لابد منها للحديث عن الادوات الاعلامية التي استخدمت في حرب الخليج .

الأدوات الاعلامية

من الادوات التي استخدمت في معركة اعلام حرب الخليج الاذاعات بشكل عام، ومـن ابرزهـا صوت اميركا واذاعة لندن، وإذاعة مونت كارلو وإذاعة اسرائيل . وكذلك الـشبكات التلفزيونيـة وكانت الكيبل نيوز والمعروفة بشبكة **c.n.n**" هي الاكثر بروزاً والتي صارت الاكثر معرفة من قبل كل مشاهدي التلفزيون في العالم بسبب الدور المتفرد لها في حرب الخليج مما سـنأتي علـى تفصيله بعد قليل . ومن هذه الأدوات كذلك الـصحافة والمطبوعـات والمـؤتمرات الـصحفية والبيانات والندوات والمنشورات أو المناشير وغيرها من الادوات.

---

[٧٨] - الحرس الوطني . المرجع السابق نفسه .

١ ـ الاذاعات.

وهي الاكثر تأثيراً والاوسع انتشاراً بالمقارنة مع محدودية وصول بث التلفزيون مباشرة وكـاملاً . بمعنى ان الاذاعة تستطيع ان تصل برامجها للمتلقّي بالكامل وعلى مـدار الاربـع والعـشرين ساعة بينما هذا غير ممكن لبرامج التلفزيون إلاّ إذا استطاعت احدى الـشبكات ان تـؤمن البـث الكامل عبر قمر صناعي فوق المنطقة كما تم لشبكة الكيبل نيوز التي تغطي بمداها انحاء العـالم كافةً من خلال البث عبرَ الاقمار الصناعية إلى الشبكات التلفزيونية الخاصـة والحكوميـة فـي عموم نصف الكرة الشمالي . وكما توفر الامر لشبكة "تيليفيـزا كوربوريـشن" ومركزهـا فـي المكسيك وهي أكبر مؤسسة اعلامية في العالم الثالث تبث برامجها إلـى كـل البلـدان الناطقـة بالاسبانية حيث كانت تغطي في بثها أمريكا اللاتينية بالكامل.

أ ـ إذاعة صوت أمريكا.

تبث هذه الاذاعة بأربع وثلاثين لغة منها اللغة العربية التي تفرد لها ما لا يقل عن ثماني سـاعات بث يوميا. وفي معرض حديثه عن تحيّز هذه الاذاعـة وازدواجيـة التعامـل بالقـضايا والكيـل بمكيالين عندما يتعلق الامر بالعالم العربي يقول احد العاملين السابقين العرب في هذه الاذاعة :

"في أحد الايام من بداية السبعينات قامت مجموعة انتحارية من الفـدائيين الفلـسطينيين بمهاجمـة طائرة اسرائيلية في مطار نيقوسيا، واوقعوا اصابات بين ركابها وحراسها الامنيين. وكـان علـي ان اترجم الخبر وأحرره للنشرة القادمة وعندما صغته اسميت الفـدائيين الفلـسطينيين، مـسلحين فلسطينيين وكانت الكلمة بالانجليزية (**Guerrillas**) إعترض رئيس التحرير الأميركي وقـال ان ترجمتها هي "ارهابيون" ودار نقاش شديد حول وصف الفدائيين بهذا الوصف . ثم تمّ الاتفـاق على انّه سيرسل برقية لواشنطن (حيث كانت الاذاعة في رودوس فـي اليونـان) ليـسأل كيـف نترجم الكلمة وكيف نقدمها للمستمع العربي . وجاء الجواب معرفاً الارهاب بانه "هجـوم مـسلّح على مدنيين خارج منطقة الصراع".

وقبلنا هذا التفسير على مضض، وعدّل رئيس التحرير الكلمة إلى "ارهابيين" وتمت قراءتها هكـذا في نشرات ذلك اليوم .

وفي اليوم التالي قامت مجموعة من قوات الاحتلال الاسرائيلية بعملية ارهابيـة فـي بيـروت . هاجمت خلالها بيوت ثلاثة من الزعماء الفلسطينيين المدنيين هم كمال ناصر ، وكمـال عـدوان ويوسف النجار في منطقة فردان في العاصمة اللبنانيـة .. وجـاء الخبـر أن قامـت مجموعـة كوماندوس اسرائيلي بهجوم على بيروت.

هنا اعترضنا مرة أخرى وناقشناهم بمنطقهم بأن الارهاب هو "هجوم مسلّح على مـدنيين خـارج منطقة الصراع، ولكن لم يسمعنا أحد ، وبقـي الفلـسطينيون ارهـابيون، وبقـي الاسـرائيليون كوماندوس حتّى الآن في اذاعة صوت أمريكا.

وهذا يذكرنا مرة أخرى بالازدواجية في التعامل، والكيل بمكيالين عندما يتعلـق الامـر بالعـالم العربي ".[٧٩]

وفي حرب الخليج كما لم تستطع محطات التلفزيون العالمية ان تلغي رغم تفوقهـا فـي مجـال "الصورة" ـ وجود محطات الاذاعة التي كان التنافس بينها على اشده مـع محطـات التلفزيـون ومع بعضها البعض، حيث كانت تبذل كل جهد للبحث عن الجديد والفوري في أخبـار الحـرب، فإن صوت أمريكا كان لها دورها هي الاخرى ضمن جوقة الاذاعات. حيث كان كل إنسان علـى ظهر المعمورة متعطشاً لمتابعة الحقائق التي قد تصله من صوت أمريكا أو اذاعة لندن أو مونت كارلو بالاضافة لاذاعته المحلية.

ب ـ إذاعة لندن

تعتبر اذاعة لندن التي تبث بعشرات اللغات منها اللغة العربية الرائدة في هذا المجال وهـي وان كانت وزارة الخارجية هي التي تُنفق عليها إلاّ أنها ـ وكما تزعم ـ فإنهـا لا تُـسّير سياسـتها، فهي هيئة عامة مستقلة تقوم بنقل ما تراه صالحاً للجمهور بموضوعية كما يُعلن أصـحابها منـذ انشائها من حوالي نصف قرن !!

وقد اكتسبت هذه الاذاعة شكلاً من أشكال المصداقية التي اعتمدت على سرعة نقل الخبر وعلـى التحاليل الاخبارية التي تسعى لتقديمها من قبل اشخاص يعتبروا بالنسبة إلى الجمهـور محايـدين، وهي "شعبية" تستند بالاضافة إلى ما تقدم إلى تسخير خبرة وذكاء عقود من السنوات مـع أخـذها بالاعتبار مستويات وثقافات الجماهير التي تبثّ اليهم. وهذا ما جعلها فـي حـرب الخلـيج مـن الاذاعات ذات الحظوة إلا انها لم تستطع كما يبدو ان تُرضـي الفرقـاء والاطـراف المختلفـة. وللتدليل على ذلك سنأخذ مثالين الاول يمثل وجهة النظر المؤيدة للعراق والآخـر يُمثّـل وجهـة النظر المعارضة:

يقول محمد امين في كتابه صدام حسين الارادة العربية والاسلامية : "في فترة حرجة من تـاريخ القضية الفلسطينية بدأت اسرائيل تهيء زعماء جدد في الداخل لتمثيل الشعب الفلسطيني صـورياً وتصفية القضية الفلسطينية حين اخترعت روابط القرى، في هذا الوقـت تـزامن تـصاعد قـوة منظمة التحرير الفلسطينية عسكرياً في لبنان وتسلم ارئيل شارون وزارة الـدفاع الاسـرائيلية ..

---

[٧٩] - الحرس الوطني . المرجع السابق نفسه .

ووُصف شارون وقتئذ بأنه "معركة تبحث عن ميدان" وكان يبحث عن مبرر أمـام الـرأي العـام العالمي لاجتياح لبنان وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية، لـضرب معنويـات وارادة الـشعب الفسلطيني ليذعن للمخطط الصهيوني.

وتهيأ له المبرر حين قيلَ إن فدائياً فسلطينياً اطلق النار على القنصل الاسرائيلي في لندن فأصـابه في رأسه وراح في غيبوبة يعالج منها في احد مستشفيات لندن .. وبالفعل قام شارون بغزو لبنـان وطارد المنظمة حتّى البحر بعد صمود طويل وقتال شرس استمر ثمانين يوماً ..

إذاعة لندن بثّت خبراً في وقت لاحق عن وفاة زوجة حاكم دبي في نفس المستشفى الـذي يعـالج فيه (ارغوف) القنصل الاسرائيلي : وجاء في الخبر (أن حاكم دبي تبرع للمستشفى بمليوني جنيـه استرليني. وأضاف الراديو .. أن هذا المستشفى يعالج فيه القنصل الاسرائيلي الذي اطلـق عليـه النار الارهابيون العرب).

لقد وصلت الصفاقة بإذاعة لندن ان وصمت كل العرب بالارهاب في هذا الخبر، ومن ضـمنهم من أحسنَ إلى موظفين وأطباء وممرضين بريطانيين بمليوني جنيه استرليني . فهـل بعـد هـذا الحقد حقد ؟؟ وهل هناك أبشع من هذا التشويه للوجه العربي ؟؟".

وأما وجهة النظر المعارضة فتظهر بما نشرته مجلة الحرس الوطني السعودية في مقال الاعـلام في زمن الحرب وتحت عنوان فرعي (سقوط الـ بي بي سي) فتقول : ".. ولكن يبـدو أن حـرب تحرير الكويت قد كشفت ما كان مستوراً بما يظنه الناس حياداً طـول الوقـت فقـد اتـضح أن الاذاعة تتلون حسب توجهات مذيعيها ومواقفهم من قضية معينة وظهر هذا مـع بدايـة أزمـة الخليج ومعالجات اذاعة لندن لها عندما اتخذت الاذاعة موقفاً مؤيداً للعراق فقدت به مـصداقيتها أو حيادها المزعوم !" وتتابع المجلة لتأكيد هذه النقطة بالاستشهاد بالدكتور عبد المنعم مـصطفى الخبير بالمركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج بالكويت حيث يقـول : ".. ولا أسـتطيع أن أصف هذه الاذاعة بأنها اذاعة مغرضة تحاول تمزيق العرب وتوسيع الهوّة بينهم وأكبـر دليـل على ذلك موقفها من أزمة الخليج ومحاولة تمزيق الصف العربي وتهجم المتحدثين فيهـا علـى الدول المؤيدة للكويت"[٨٠] وكان تركيز الهجوم على القسم العربي في الاذاعة هي الاخرى قامـت بدورها ضمن جوقة الاذاعات والى جانب الادوات ووسائل الاعلام الاخرى التي خاضت معركة الاعلام في حرب الخليج جنباً إلى جنب مع المعارك الاخرى في هذه الحرب.

ج ـ الإذعات الاخرى .

[٨٠] - الحرس الوطني . العدد نفسه .

بالاضافة إلى صوت أمريكا واذاعة لندن فقد كانت هناك اذاعة "مونت كارلو" الفرنسية والتي كما يقول مؤلف كتاب صدام حسين الارادة العربية الإسلامية :
والتي وصل بها التمويه إلى حد إذاعة الاناشيد الوطنية الفلسطينية قبل نشرات الاخبار ثم عادت إلى لونها الاستعماري المناهض للأمة العربية بعد أن اسقطت هذه الحرب العراقية الامريكية قناع الزيف عن الوجه الغربي " [81]
وبالاضافة إلى اذاعة مونت كارلو اذاعة اسرائيل في مقدمة الكورس الاعلامي التي لا تتوقف عن حربها الاعلامية النفسية بالكلمة والخبر والتعليق والتقرير والبرامج المختلفة ومن خلال خدمة متصلة ليل نهار - على مدار الساعة - وسوف نتعرف على هذا الامر - بشكل اكثر تفصيلاً عند الحديث عن دور اسرائيل في معركة الاعلام في حرب الخليج.
ورغم وضوح دور كل من هذه الاذاعات في معارك امتنا بحرب الخليج وقبل حرب الخليج فإن المواطن العربي ما زال ضحية لهذا الاعلام الغربي المعادي ولادواته: الاذاعة والتلفزيون والصحافة وغيرها. وهنا يبرز التساؤل : لماذا اذن يتهافت المستمع العربي في بعض المراحل من تاريخ بلاده أو امته على الاستماع إلى هذه الاذاعات ؟ والجواب على التساؤل :
"... بسيط للغاية .. وهو أن العيب في صورتنا الشاملة .. فنشأتنا الحديثة دولاً وشعوباً، وما فرض علينا من فرقة وتمزق، واصطناع خصوصيات لكل قطر من الاقطار، وخلق التناقضات بين هذه الاقطار وتعميقها لتصل حد العداوة احياناً، والخوف المستمر من بعضنا الذي يغذيه الغرب مما افقدنا الثقة بأنفسنا وبأخوتنا وأشقائنا .. كل ذلك جعلنا امام ان نخفي الحقائق بحجة الامن الوطني ، أو الامن القومي ، أو بسبب الخشية من ان ننشر حقيقة تخلق حساسية لبلد شقيق نعتمد عليه، أو تربطنا به مصالح حيوية، هذا العيب جعل وسائل اعلامنا بدون لون وطعم أو رائحة. وتركنا كل الحقائق .. ليفترس بعضها الاعلام الغربي المعادي وينسج فوق اجزاء الحقيقة جبالاً من الزيف والكذب والتشويه .. لدرجة أننا نقدم في إذاعاتنا برامج جاهزة ليستخدمها راديو اسرائيل بقليل من المونتاج ليردح بعضنا للبعض الآخر، أو يكذبه، أو يشوهه .. فالاعلام في العالم العربي صورة حقيقة صادقة للتناقضات السياسية التي تعيشها امتنا.."[82].

---

[81] - محمد أمين . المرجع نفسه

[82] - نفس المصدر .

٢ ـ الشبكات التلفزيونية:

بالاضافة إلى محطات الاذاعة فقد كانت الشبكات التلفزيونية العالمية تعمل بما لديها من طاقات وامكانات لا تجارى، مسخرة جميع تلك الامكانات لدعم قرار الحب والاستقرار فيها حتّى آخر الشوط تحت مظلة كبيرة من الدعاية والاعداد النفسي لدرجة تنزوي معها الاصوات المعارضة لقرار الحرب في أضيق الحدود وبحيث تكون ردود الفعل داخل التحالف وخارجه ضمن حدود السيطرة عليها والتعامل معها.

من أبرز الشبكات التلفزيونية الشبكات الامريكية وعلى رأسها شبكة أي بي سي **(AB C)** ورئيس مجلس ادارتها لوفورد كوادسن، وشبكة سي بي اس **(CBS)** ورئيس مجلس ادارتها جيمس روزنفيلد، وشبكة ان بي سي **(N.B.C)** وهي تابعة لشركة آرسي أي **(RCA)** ورئيس مجلس ادارتها ديفيد سارفون وهو يهودي ومساعدي رئيسي مجلسي ادارة الاي بي سي والسي بي اس يهود كذلك، فهم الذين يتحكمون في ادارة هذه الشبكات الرئيسية وهم اصحاب القرار فيما يراه المشاهدون وفيما يسمعونه . هذا بالاضافة إلى الشبكة الاكثر نيوعاً وشهرة والتي اصبحت الاعظم انتشاراً وهي شبكة السي إن إن **(CNN)** الكيبل نيوز الامريكية والتي سيطول الحديث عنها، علماً بأنها تابعة لمؤسسة "تيرنر" الاذاعية .

ومن الشبكات البارزة عالمياً ايضاً قناة التلفزيون البريطاني آي تي في **(ITV)** والبي بي سي **(BBC)** ، وقد خصص التلفزيون الانجليزي القناة الثالثة للارسال طوال الـ ٢٤ ساعة، أما القناة الاولى بي بي سي إي وهي القناة الرسمية البريطانية فقد كانت مخصصة بصبغة تامة للحرب. هذا بالاضافة إلى القناة الفرنسية الثانية وهي محطة تلفزيونية حكومية رسمية.

ولأهمية دورها فسوف نعرض بشكل مفُصّل لدور الكيبل نيوز السي أن أن **(CNN)**.

شبكة التلفزيون الامريكية **(CNN)**

كانت محطة السي أن أن هي الجهة الابرز في الاعلام الغربي اثناء ازمة الخليج بحيث يمكن القول أنها احتكرت الاعلام عن الحب اربعاً وعشرين ساعة في اليوم وذلك بسبب تغطيتها للمنطقة بالمراسلين الذين استوعبوا منطقة الشرق الأوسط بالكامل إبّان حرب الخليج وبسبب استخدامها للتقنيات الحديثة بما فيها الاطباق (الصحون) الصغيرة المحمولة على السيارات، وهي هوائيات لا يزيد قطر القرص الواحد منها على ١٨٠ سم أو ٢٠٠ سم على الاكثر حيث تُستخدم معها السيارة كمحطة ارسال متحركة بدل الاعتماد على المحطات الارضية للاتصال بالاقمار الصناعية . والسبب الثالث الذي جعلها كما قيل عنها:

"الصحيفة الالكترونية" ان العراق عندما ابعد المراسلين الاجانب لم يستبق سوى شـبكة الـسي أن أن ومراسلها "بيترآرنت" فكانت الجهة الوحيدة التي تنفرد بنقل اخبار العراق مـن داخلـه وعبـر الاقمار الصناعية من خلال محطاتها الصغيرة المحمولة المتحركة والى العالم كله، حيـث كـان مركز الشبكة في أتلانتا بالولايات المتحدة الامريكية فهناك محطة آسيا (سـي أن أن اسـيا) تبـث إرسالها من الاخبار والتقارير على مدار الساعة إلى آسيا منذ عـام ١٩٨٢ ، (أمـا سـي أن أن) الدولية ومديرها الحالي بيتر فيسي فقد كانت ترتبط مع مراسليها في المنطقة في بغداد، الريـاض ، البحرين، الظهران، تل أبيب حيث تمكنّت الشبكة في أمريكا من استقبال رسـالة منـدوبها فـي بغداد يوم العدوان ١٧ / ١ / ١٩٩١ مؤكداً على كثافة القصف الجوي ثم انتقلت الكـاميرا إلـى الظهران حيث شوهد الطيارون الامريكيون والبريطانيون وهم يعودون إلى قواعدهم والابتـسامة تعلو وجوههم لتنفيذهم مهامهم في ضرب العراق وشعبه .

عمر الشبكة عشرة اعوام حيث اسسها صاحبها "تيدتيرنر" في مطلع الثمانينات واحتفلـت بعيـدها الخامس عام ١٩٨٥ م ، وقد نمت بصورة مذهلة وأصبحت عملاقة في عقد من الزمن. تم تكـريم "تيدتيرنر" واعتباره (رجل عام ١٩٩١) الذي اختارته مجلة "التايم" الامريكية ووصفته بأنه اميـر (القرية العالمية) باعتباره صاحب اكبر واشهر شبكة تلفزيونية في العـالم التـي أسـرت مئـات الملايين في بيوتهم إبان حرب الخليج حيث كانت تنقل علـى الهـواء مباشـرة وعبـر الاقمـار الصناعية (مسلسل الحرب) أولاً بأول. كان لهذه الشبكة نشاطات أخرى كنقل انقـلاب موسـكو في آب ١٩٩١ وكنقل وقائع مذبحة ساحة "تيانا نمين" في بكين وبعد ذلك نقل وقائع مؤتمر مدريـد للسلام اواخر عام ٩١ ومطلع عام ١٩٩٢ فكانت مصدر معلومات (٤٦٠٠) صـحفي ومراسـل كلفوا بتغطية المؤتمر . كل ذلك من خلال طاقم موظفيها (١٧٠٠) ومراسليها (٩٥) مراسلاً فـي مختلف أنحاء العالم. وقد كان لهذه الشبكة في حرب الخليج أثرها لدرجة ان "بوش" قال لرؤسـاء بعض الدول : "لقد علمت من السي . أن . أن أكثر مما علمتـه مـن المخـابرات المركزيـة" ، ولدرجة ان "وليام وبستر" مدير وكالة المخابرات المركزية اتصل بمستشار الامن القومي "برنـت سكوكروفت" قائلاً له : "افتح السي . أن . أن لترى اين سيسقط الصاروخ " بعدما تلقى معلومـات عن طريق الأقمار الصناعية تفيد بان العراق اطلق صاروخ الحسين.[٨٣]

قبل بداية الغارات على العراق بثلاثة أيام نقلت الشبكة مراسلها من تل ابيب إلى بغـداد ونقلـت مراسلها في بغداد إلى تل ابيب . وكان المندوب في بغداد يرسل يومياً تقريره بحريـة مطلقـة . وعندما اندلع القتال وبدأ القصف على بغداد ليلة ١٧ / ١ / ١٩٩١ دمرت كل مراكز الاتـصالات

---

[٨٣] - اللواء ، عمّان ، ٢٢ / ١ / ١٩٩٢ .

السلكية واللاسلكية ومرسلات الاذاعة والتلفزيون ومحطات الاقمار الـصناعية . كـان منـدوبو السي . أن . أن لديهم طبق / قرص للاتصالات الهاتفية، أي محطـة أقمـار صـناعية صـغيرة متنقلة في فندق الرشيد ببغداد وكانوا ثلاثة هم "جون هوليمان" و "برنارد شـو" و "بيتـر آرنـت" والاخير هو الذي نُقل من تل ابيب قُبيل القصف.[٨٤]

دور السي . أن . أن في حرب الخليج وفي توجيه القصف على بغداد

منذ بداية القصف ليلاً كان المراسلون الثلاثة على اتصال مع مركز الشبكة في أتلانتا بالولايـات المتحدة، بالهاتف عن طريق محطتهم الصغيرة وخارج إطـار الاتـصالات العراقيـة : وكـان العراقيون تحت وطأة الصدمة الأولى غير منتبهين لما يجري من خلال هذه المحطـة الـصغيرة في الدور التاسع من فندق الرشيد.

كانت تقاريرهم تبث مباشرة على الهواء في مختلف انحاء الولايات المتحدة والعالم .. بأصواتهم، وصورة ثابتة لهم على شاشة التلفزيون وعبارة (بث حي من بغداد). كانوا يراقبون كـل المواقـع التي تقصف من فندق الرشيد وكانوا يصفون كل شيء ويحددون المواقع التي تضرب، والتي لـم تضرب بعد.

كانت تقاريرهم عبارة عن حوار بينهم وبين المذيع الرئيسي في اتلانتا حول مـا كـان يحـدث .. وفيما يلي بعض من هذا الحوار:

مذيع المحطة: ماذا ترى من مكانك؟

المراسل هوليمان : أرى قصفاً كثيفاً لمناطق عديدة من بغداد.

المذيع: سمعت ان الرئس صدام وجّه رسالة للشعب !

المراسل : نعم سمعت كذلك انه كان في التلفزيون في الرابعة وعشرين دقيقة من صباح اليوم.

المذيع : هل مازال الرئيس صدام في مبى التلفزيون

المراسل : لا اعرف ولكن سمع بعض الفنيين معنا أنه كان هناك في الرابعـة وعـشرين دقيقـة وسجّل كلمة للشعب العراقي.

المذيع : هل سيعود الرئيس إلى مبنى التلفزيون اليوم مثلاً ؟

المراسل : لا أدري قد يعود.

المذيع : سمعنا ان القصر الجمهوري تعرض للقصف ؟

---

[٨٤] - محمد أمين . المرجع السابق نفسه .

المراسل : الذي أراه ان المنطقة المجاورة للقصر على اليمين هي التي ضربت، قد يكون القصر هوالهدف لكن من كثافة النيران يبدو ان الطائرات لم تحكم اصابتها .

المذيع : القصر لم يضرب بعد ؟

المراسل : أعتقد ان المنطقة المجاورة هي التي ضُربت.

المذيع : صف لي المواقع التي ضربت.

المراسل : القصف في كل مكان .. المناطق البعيدة إلى الجنوب تتعرض لقصف عنيـف، نيـران المضادات تشعل السماء مثل شجرة عيد الميلاد . اعتقد ان المركز الرئيسي للاتصالات ضرب.

المذيع : هل انتم في خطر ؟؟

المراسل : نحس كذلك .. ولكن قد نغادر المطار ظهراً .. إذا وجدنا طائرة.

المذيع : هل المطار ما زال سليماً ولم يقصف ؟

المراسل : لم يقصف بعد، وإذا بقي سليماً حتّى الظهر ووجدنا طائرة سنغادر.

المذيع : هل تستطيعون معرفة اين الرئيس صدام حسين الآن ؟

هل هو في القصر ؟ أو في اجتماع للقيادة ؟ أو في التلفزيون ؟

المراسل : لا ادري الآن بالتحديد .. ولكن إذا عرفنا سنخبرك .

المذيع : سنبقى على اتصال وانتبهوا لسلامتكم.

هذا الحوار كان يدور على مدى عدد من التقارير التلفزيونية المباشرة ما بين الـساعة الخامـسة صباحاً في اول يوم للغارات وحتى الساعة العاشرة من نفس ذلك الصباح ولم يـأتِ مـساء ذلـك اليوم إلا والمطار ضُرب ومبنى التلفزيون دمّر، وحتى القصر الجمهوري والاحياء القريبة منه.

نترك الحكم للقارئ عن دور هؤلاء المراسلين، وهذه الشبكة البريئـة (!!) التـي تنقـل الحقيقـة بموضوعية ومصداقية من أجل العدالة وخير الإنسانية !! حين يدمع المراسل نفسه ويدين شـبكته ويعترف بأنه كان الطابور الخامس داخل بغداد خلال الحرب . لقد ابلغ العـراق بمـا يقـوم بـه مراسلو شبكة الـ سي أن أن في اليومين الاول والثاني لاندلاع القتال .. وكان المـسؤولون فيـه قد افاقوا من هول الصدمة الاولى ، فاتخذوا اجراءً باخراج كل الصحفيين الاجانب مـن بغـداد خلال يومين وبأن تعرض كل المواد التي لديهم خلال هذه الفترة على المـسؤولين فـي الاعـلام العراقي لمراجعتها. وابقى العراق فريقاً من بضعة اشخاص من شبكة الـ ـ سـي أن أن فقـط، وخص بالبقاء فقط مندوبهم (بيترآرنت) الذي كان في اسرائيل قبل بدايت القتال. الخطـوة ليـست مستغربة ولا محيرة، واغلب الظن أن فريق الشبكة احس بأن العراق انتبه لمـا كـان يقـوم بـه الفريق، فأصابه الرعب، وخاصة (بيترآرنت) الذي كان مراسلاً في تل ابيب، لـذلك كـان يقـوم

بطواعية - في وقت لاحق - بنقل البيانات العراقية ووجهة النظر العراقية طبعاً مع الاشارة في تقاريره بان المسؤولين العراقيين ابلغوه هكذا، وأخذوه إلى المناطق المدنية المقصوفة وشاهد كذا .. الخ.

لكن عندما خرج كل من المراسلين برنارد شو وجون هوليمان من العراق إلى الاردن. صرحا للصحفيين بأنهما لاقيا مشاق هائلة في الطريق إلى عمان - داخل الاراضي العراقية - وعندما وصلا مقر شبكة الـ سي أن أن في اتلانتا استضافهما "لاري كنج" في برنامجه، واعترف هوليمان بأنه كان يقدم معلومات للطائرات المغيرة على بغداد .. حين سأله لاري كنج قائلاً:

هناك اتهامات بأنك كنت تقدم معلومات لطائرات الحلفاء من خلال تقاريرك في اليومين الاولين للحرب هل هذا صحيح ؟

أجاب هوليمان: إذا كان التفسير كذلك، نعم كنت اساعدهم وأقدم المعلومات لهم !!

وفي نهاية الاسبوع الاول لقصف بغداد والمدن العراقية وفي مؤتمر صحفي عسكري عقده رئيس هيئة أركان سلاح الجو الامريكي في الرياض صرّح بأنه شاهد اشرطة الفيديو المسجل عليها تقرير الـ سي أن أن عن قصف بغداد واستفاد منها، وقرر حتّى ان يضع جهاز تلفزيون في مكتبه فوراً وهو يدير العلميات، طبعاً هذا التصريح ليس اعترافاً كاملاً، والقصد منه حماية مراسلي الـ سي أن أن .

حتّى وزير الدفاع الامريكي (ديك تشيني) اعترف هو أيضاً بأنه كان يتابع عمليات قصف بغداد من تقارير الـ سي أن أن .

وعليه فإن هناك روابط غير عادية بين وزارة الدفاع الامريكية والاجهزة الاستخبارية الامريكية وبين الـ سي أن أن فبالاضافة إلى ما ذكرته سابقاً .. عينت هذه الشبكة الأميركية مندوبها (مراسلها) الذي كان يعطي احداثيات القصف للطائرات الأميركية وهو في بغداد .. عينته بعد عودته إلى الولايات المتحدة مراسلها في وزارة الدفاع الامريكية وهو (جون هوليمان) وكان له اول تقرير من البنتاغون في ٣ / ٢ / ١٩٩١ .

وهناك موضوع آخر لابد من ذكره في هذا المجال. وهو ان مراسل الشبكة المذكورة الذي بقي في بغداد بعد اندلاع الحرب، أجرى مقابلة تلفزيونية مع الرئيس صدام حسين في اليوم الثالث عشر للحرب، المقابلة أجريت تحت القصف المتواصل الذي لم يتوقف لحظة منذ بداية القتال. وفي مثل هذه الظروف لا يستطيع مندوب الشبكة ارسال المقابلة عن طريق محطته للاقمار الصناعية الصغيرة الموجودة لديه، لان المحطات العراقية البكيرة قد دمرت، لذلك اتصل بمقر الشبكة لتسهيل امر بث المقابلة من بغداد وأجرت الـ سي أن أن اتصالاتها مع (البنتاغون)

وزارة الدفاع الأميركية، وطلبت وقف القصف لبغداد وأجرت الـ سـي أن أن اتـصالاتها مـع (البنتاغون) وزارة ا لدفاع الأميركية، وطلبت وقف القصف لبغداد لمدة ثلاث ساعات هو الوقـت المطلوب لبث المقابلة .. وفعلاً أوقف البنتاغون القصف عن بغداد للفترة المطلوبة !!
طبعاً سيتساءل القارئ عن حماس وزارة الدفاع لاخراج المقابلة من بغداد وعرضها على الشعب الأميركي . لماذا؟ والرئيس صدام حسين يتحدث ضد الادارة الأميركية ويفضح مخططاتها.
الحماس مرده ان اجهزة الاستخبارات الغربية لم تنجح في زرع أي جاسوس داخل العراق لنقـل معلومات ذات قيمة عما يدور في اوساط اتخاذ القرار العراقي . فبعد ان اعـدم العـراق آخـر جاسوس بريطاني (بازوفت) وهو من اصل ايراني قبل عام من بدء الحرب .. تعـرف الاوسـاط الغربية بأن العراق ليس سهلاً ولا يمكن اختراقه ، لذلك فانها (في اغلب الظن) تعتمد على نتـف من المعلومات الخارجة من بغداد عن طريق وسائل الاعلام . فكل وضع نفسي للـ رئيس صـدام يهم هذه الاجهزة .. وخاصة في تلك المرحلة ، وكان الهدف دراسة المقابلـة نفـسياً، وسياسـياً، ومتابعة ردود فعل الرئيس على اسئلة معينة وكذلك مراقبة حركاته الجسدية اثناء الحوار ليـصلوا إلى معلومات من خلال ردود فعله عن الوضع النفسي والقيادي للرئيس العراقـي .. وهـذا مـا جعلهم يسهلون خروج المقابلة من بغداد، غير انهم في كل مرة يراقبون ويحللون فيها مقابلة مـن مقابلات الرئيس صدام، يصطدمون بحائط رهيب من الهدوء النفسي، والايمان المطلق بكل كلمـة يقولها، ولم يتوصلوا إلى أي نتيجة بأن وراء الكلام أو الحضور الذي يـشاهدونه علـى الـشاشة شيءً آخر غير ما يسمعون أو يشاهدون.
وقبل ان نترك موضوع الارتباط لهذه الشبكة مع الاجهزة الامنية والاستخبارية الغربية، لابد مـن معرفة المرامي التي تريدها هذه الاجهزة من الاعلام الغربي ، الواقع انها تريده إقناعـاً للجبهـة الداخلية في الغرب بعدالة شعارات السياسيين والقضايا التي يروجـون لهـا: وكـذلك لتطمـين المجتمع الغربي بأن العسكريين الذين امرهم السياسيون بتنفيذ اهدافهم يقومون بعملهم خيـر قيـام وحسب الخطة المرسومة .. عادلة، وتصويره بالوحشية والارهـاب، وانـه سيخـسر معركتـه ويتفوق عليه السوبرمان الأميركي ذو القيم والفضائل الإنسانية !!
وهذه الاهداف هي بالفعل التي كانت تروّج لها هذه الاذاعـات والمحطـات التلفزيونيـة .. لقـد اعتادت شبكة الـ سي أن أن خلال الازمة وقبل الحرب استضافة عشرات الخبراء من سياسـيين واقتصاديين من مختلف الاتجاهات سواء اكانوا مـن الاميـركيين أو الاميـركيين العـرب، أو بالاتصال بالخبراء العرب في الشرق الأوسط، لكن بطبيعة الحال كانت نسبة العدد فـي الخبـراء الذسين يؤيدون وجهة النظر الأميركية أعلى بصورة ملحوظة.

لكن منذ أن بدأت الحرب أخذت الأمور تختلف وأصبحت جهات النظر كلها مدروسة ومبرمجـة ولها اتجاه واحد هو الخط العسكري والسياسي للادارة الاميريكية، ووصل الحـد فـي اسـتدراج الخبرة لتوعية الاميركيين ان اصبحت الـ سي أن أن تعرض تعليقاً اخبارياً.

وهنا أود ان اوضح للقارئ ، بان التعليق غالباً ما يكتب في الصحف، وأحيانـاً فـي دول العـالم الثالث تقدمه اذاعة ذلك البلد حول قضية معينة يحمل وجهة نظرها .. ولكن حتّـى فـي الـدول النامية لا يعرض حالياً تعليق تلفزيوني، ومع هـذا تعـرض الآن شـبكة الـسي أن أن تعليقـات عسكرية وسياسية.

والذي لوحظ خلال الايام الاولى للحرب ان خبيراً عسكرياً واحداً يتكرر ظهوره بـشكل ملمـوس على الشاشة اسمه الجنرال المتقاعد (بري سميث) ، وصار يظهر اكثر من مذيعي الشبكة، يفـسر ماذا يحدث عسكرياً ، ويجد الفتاوي العسكرية لكل اخفاق اميركي في الجبهة، ويعلق كل خطـوة قد تكون فاشلة ويقلل من اهمية القدرة العربية في العراق .. ويقدم على انّه خبير محايد .. طبعـاً الشبكة تريد ان تقول بأنها موضوعية .

وفجأة ظهر علينا الجنرال (وأشك انّه متقاعد) في يوم ٣ / ٢ / ١٩٩١ يقرأ ملاحظات مـن ورقـة بصورة تعليق يبرر فيه ضرب المدنيين العراقيين. إذ قال إنه إذا ضرب احد من المـدنيين فلـم يكن ذلك متعمداً نظراً لاسباب عديدة. منها فرق الزاوية عند الاطلاق لاي سلاح من الطـائرة أو البحر فهناك نسبة خطأ قد تحرف السلاح إلى مواقع مدنية وكذلك بسب الاحوال الجوية فالقـصف من فوق الغيوم ليس كالقصف اثناء جو صاف .، وشكك أيضاً فـي روايـات العـراقيين حـول ضرب المدنيين المتعمد.

هنا (النكتة) عقب مذيع الـ سي أن أن على هذا التعليق بأنه لا يمثل وجهة نظـر الـشبكة وانمـا يمثل وجهة نظر الجنرال سميث .. السؤال هنا (من ضربكم على ايديكم) لاحضاره؟ قـد يكـون البنتاغون.

ومع ان هذا التعليق لم يمثل وجهة النظر للشبكة فقد عرض للمرة الاولى ظهراً بتوقيـت عمّـان، وُأعيد عرضه مساءً في السابعة والربع من ذلك اليوم. وبعد الاعادة لم يعلّق مذيع الـ ـ سـي أن أن عليه مطلقاً، فليس هناك مبرر لأي شيء قد يقوله".

وللتعرف على اسلوب هذه الشبكة نستعرض بعض الامثلة من الاقتباس نفسه [٨٥]:

"كانت شبكة الـ سي أن أن تضع بين تقاريرها الاخبارية ملاحظات مكتوبة بالابيض على خلفيـة سوداء صامتة تقول : "بأن الشبكة تعمل على ان تقدم لكم تغطية اخبارية كاملة بقـدر الامكـان.

[٨٥] - محمد أمين . المرجع نفسه.

وتلفت الانتباه إلى ان السعودية والعراق واسرائيل تفرض رقابة على الانباء التي تصدر عنهـا .
كما ان القوات الأميركية والبريطانية تفرض بعض القيود على أنباء معينة أو مواقع محددة.
هنا يجب ملاحظة الفرق بين (تفرض رقابة) وهي رقابة مطلقة، وبين (بعض القيود علـى انبـاء معينة أو (مواقع محددة) .. حتّى لو وضعوا اسرائيل بين العـراق والـسعودية فالمقـصود هنـا (الاخبار العربية).
كذلك حين كان يخرج تقرير من اسرائيل مثلاً على شاشة الـ سي أن أن كان يكتب على الـشاشة مع التقرير (اجيز من السلطات الاسرائيلية) بينما يكتب على التقرير الخارج من بغداد (أجيز مـن قبل الرقابة العراقية).. والفرق واضح بين الجملتين .
كذلك يخصون القترير الوارد من بغداد بمقدمة لا يقولونها قبل تقرير آخر وارد من اسـرائيل أو السعودية يقول فيها المذيع قبل تقديم التقرير للمشاهدين :
"أود ا، احذركم بان مراسلنا في بغداد غير حر في لختيار المادة التي يريـدها : إذ ان الـسلطات العراقية تراقبه، وتحدد له المناطق التي يزورها وتزوده بالمعلومات والبيانات وكـل مـا يقولـه يراقبه مراقب عراقي يقف بجانبه .
أي ان المذيع يقول سلفاً لمشاهديه لا تصدقوا ما يعرض في تقرير مراسلنا من العـراق، وبعـد انتهاء تقرير المراسل في بغداد يعيد المذيع نفسه المقدمة بحيث يؤكد التشكيك فـي المعلومـات الواردة في التقرير.
وقد وقعت الشبكة المذكورة في مشكلة يوم ٧ / ٢ / ١٩٩١ إذ كانت قد قدمت تقريراً من البيـت الابيض ينقل عن الرئيس الامريكي تكذيبه للبيانات العراقية التـي تتحـدث عـن اصـابات بـين المدنيين، ويقول فيه ان اسلحتنا تحظى بتقنية عالية وتصيب اهدافها بدقـة، وإذا اصـيب مـدنيون يكون بسبب وضع العراقيين الطائرات والاسلحة في المـدارس والمـساجد حـسب المعلومـات المتوفرة.
وبعد ذلك اتصلت الشبكة في حوالي الثالثة بعد الظهر بمراسلها (بيترآرنت) ليقدم تقريره حياً مـن بغداد، كالعادة قدموا للتقرير العبارة الخاصة بالرقابة، وكتبـوا علـى الـشاشة نفـس الـشيء، واستضاف آرنت في تقريره المدعي العام السابق الأميركي "رامزي كلارك" وهو مـن رجـال القانون المرموقين في الولايات المتحدة، وتصادف وجوده في بغداد حين استأذن وزير الخارجيـة العراقي ان يصطحب معه مجموعة من الصحفيين الاميركيين المحايدين لنقـل صـورة محايـدة للشعب الاميركي، وكان السيد كلارك قد شغل منصب وزير العدل في واشنطن كما انّه حقق في فضيحة ووتر جيت الشهيرة.

المهم.. في هذا التقرير استضافه آرنت وبدأ يتحدث كشاهد عيان محايد عن الدمار الـذي لحـق بالمنشآت المدنية في العراقن وعن اصابات المدنيين. وفيما يلي ترجمة لما دار من حـديث فـي هذا القترير.

آرنت : سيد كلارك لقد زرت البصرة يوم أمس وكان قصف شديد هناك ماذا وجدت؟

كلارك : في البصرة هناك دمار اكثر مما هو في بغداد، القصف مستمر علـى مـدار الـساعة. وهناك كثير من الاصابات، والقصف في البصرة عشوائي، وقد قمت شخـصياً بزيـارة اربعـة احياء سكنية حيث قتل فيها اكثر من مئة شخص. ومن ضمن المباني التي قصفت مدرسة ثانويـة اصيبت مباشرة ، كما لجأ الناس هناك إلى مسجد تم قصفه أيضاً وتهدم باسـتثناء المئذنـة التـي بقيت واقفة باعجوبة. وانتشلوا من ركام المسجد عشر جثث وبقي اثنان في عداد المفقودين.

الماء والكهرباء مقطوعان منذ فترة طويلة عن المدنيين من جراء القصف، والاصـابات المدنيـة عالية جداً .. وخلال تجوالي في المدينة لليومين الماضيين، لم اجد فيها اهدافاً عسكرية قصفت.

آرنت: شكر للسيد رمزي كلارك ان كان معنا في هذا التقرير.

وتوجه آرنت للمذيع في المحطة الرئيسية في واشنطن لشبكة الـ سي أن أن يسأله ان كـان لديـه اسئلة لهذا اليوم.

المذيع: وانت لديك السيد كلارك وزار البصرة التي تعرف بأنها ا لمركز الرئيسي لقيادة مـسرح العلمليات العراقي في الكويت . وقال انّه لم يجد موقعاً عسكرياً مضروباً، هل يمكن ان تسأله كـم موقعاً عسكرياً سمحوا له بزيارتها في البصرة ؟؟

آرنت : اعتقد انك سمعت السؤال سيد كلارك .

كلارك: لقد سمحوا لي بالتجول بالسيارة اينما اريد وبحرية، وقبل يومين كنا نعمـل مـع الـدفاع المدني في انقاذ المدنيين، كنا ننزل في الشيراتون ونزلت قربنـا قـذيفتان، دمرتـا نـاديـاً ليليـاً، وانفجرتا على بعد مئة وخمسين ياردة من مستشفى بيتر، الذي اصبح معطلاً عن تقـديم خدماتـه الطبية منذ اسبوع، لقد تجولنا في المدينة لمدة يومين ولم أر أي موقع عسكري قد ضـرب، ولـم أر أن فيها مراكز عسكرية حقيقيةن لقد رأيت ضحايا مدنيين، ورأيت النـاس يبكـون، وعنـدما زرنا المستشفى العام شاهدنا الاطفال الذين قطعت القذائف اطـرافهم يحـاولون التحـدث اليـك والدموع في عيونهم.. ولقد ابلغني اليوم رئيس الصليب الاحمر في العراق بأن هناك آلافـاً مـن الضحايا المدنيين مثل هؤلاء في مختلف انحاء العراق.

المذيع : كنت أن حاول ان أسألك (آرنت) ان كنت قد رأيت أي موقع عسكري كما قال قبل قليـل ..

كلارك (مقاطعاً) لقد قلت بأني جبت المدينة طولاً وعرضاً، ولم اجد أي معـدات عـسكرية قـد ضربت ، يجب ان تسمع ما اقول (وهنا احتد السيد كلارك) واربك المذيع .

المذيع : اعتقد انني سمعت بالضبط ما قلته . ولا اريد ان اجادلك الآن .. وانني كنت الاول.

كلارك : كان يجب عليك ان لا تسأل نفس السؤال مرة أخرى.

وهنا اختصر المذيع النقاش وعاد إلى آرنت ليسأله الأسئلة المعتادة بعد التقرير اليومي.

وأخيراً .. لابد من الاشارة هنا إلى ان الاسئلة التي تلي كل تقرير يومي لمراسل الـ سـي أن أن في بغداد تكون مُعدّة سلفاً، وطابعها عسكري امني .. مما يظهر ان الهدف للشبكة المذكورة ليس التقرير بحد ذاته بل اجابات الاسئلة التي تطرح على المراسل والمعدة سـلفا . ومـن هنـا تبـدو استماتة الاجهزة الأميركية للحصول على أي معلومة استراتيجية بأي وسيلة ممكنـة، كمـا يـدل على مناعة الجهاز الامني العراقي وصعوبة اختراقه . فالاقمار الصناعية وتـصوير الطـائرات والتنصت على الاتصالات لا يُغني عن عميل مزروع في الداخل يزود بمعلومات يحصل عليهـا أو يكون شاهد عيان موثوق لما يحدث، إذا استطاع ذلك، واعتقد ان آرنت لـم يـستطع افـادتهم بالكثير ..."[٨٦] وهكذا يتضح لنا دور أبرز الشبكات التلفزيونية الامريكية في اخطر حرب وقعـت في المنطقة، وهو بالاضافة إلى الدور الاعلامي المغرض ، فإنه دور تجسسي مائة بالمائة .

٣ ـ وكالات الانباء

أما وكالات الانباء فهي بالاضافة للوكالات الدولية كوكالة الانباء الصينية وغيرها فإن الوكـالات الغربية هي المسيطرة عالمياً، وكل وكالة دولية أخرى انما تستقي الاخبار منهـا، وهـي رويتـر والفرانس برس ثم اليونايتد برس والاسيوشـيتد بـرس. ولهـذه الوكـالات فروعهـا ومكاتبهـا ومراسليها في جميع انحاء العالم وهي تغذي الاذاعات والصحافة بمادتها الاخبارية عاكسة وجهة النظر الغربية أولاً ثم انها في عمليات التعتيم أو التلميع تعكس أيضاً وجهة النظر الغربية .

٤ ـ الصحافة

وكما في سيطرة الاذاعات وشبكات التلفزيون ووكالات الانباء عالمياً، فإن الصحافة هي الاخرى صحافة غربية عالمية لها هيمنة على مستوى العالم أجمع فلو أخذنا أمريكا وهـي رأس التحـالف الغربي في حرب الخليج سوف نجد أ، الصحف والمجلات الامريكية تـوزّع ٦٢ مليـون نـسخة وهي في مجلمها أو ما يساوي ٩٧ % تتحكم بها شخصيات يهوديـة . منهـا النيويـورك تـايمز

[٨٦] - محمد أمين . المرجع نفسه .

والواشنطن بوست والنيوزويك والتايمز وغيرها بالاضافة للصحافة البريطانيـة "كالايكونومـست" و "الديلي ميرور" لصاحبها اليهودي "ماكسويل" ، وكذلك الصحافة الفرنسية .[87]
وفي حرب الخليج كانت الصحف والمجلات الغربية تؤدي دورها إلى جانب شـبكات التلفزيـون ومحطات الاذاعة لخدمة أهداف الحملة الغربية ضد العراق بحيث كانت جميعهـا تعـزف لحنـاً واحداً ضمن اوركسترا كبيرة يديرها الغرب بتنظيم محكم، وان اعتراها هي الاخرى ما اعتـرى تلك الادوات من الاذاعات وتلفزيونات من التعتيم والرقابة الغربية الصادقة، لانه حتّى حتل هـذا التعتيم انما كان يخدم اغراض الحملة الاعلامية الغربية .
٥ ـ المؤتمرات الصحفية العسكرية والبيانات بما فيها التصريحات والايجازات **Briefing**
أثناء الحرب وفي كل يوم وفي حوالي السادسة مساء كان هناك (**Briefing**) لأحد الجنـرالات يلقي فيه بيانه عن عدد الطلعات الجوية، وكم كان عدد الطائرات والصواريخ والدشـم العراقيـة التي دمرت ويدعم ذلك بخرائط وبيانات وصور جوية من الطائرات التي قصفت اهدافها.
دائما يحاول الجنرال المناوب تعظيم القدرة الأميركية والتقليل من شأن المقاومة العراقية حتّى ان الغطرسة أخذتهم بعيداً ليقللوا من شأن حلفائهم في نفس المعركة حين كان يكرر في كل مـؤتمر صحفي بان ٨٥ % من العمليات الجوية تقوم بها صحيحاً ولكن التكرار له مـدلول واحـد هـو التقليل من الاهمية لاولئك الاتباع.
من خلال هذه المؤتمرات الصحفية يشعر المراقب الخبير بأن الصحفيين الذين يطرحون اسـئلتهم مبرمجون على ايقاع الصورة التي يجب رسمها للحالة العسكرية في ذلـك اليـوم .. لدرجـة ان الانسان يشك في أنهم اجروا بروفة على المؤتمر الصحفي قبل بداية بثه حياً على الهواء.
ومن الامثلة على محاولاتهم من خلال المؤتمرات الـصحفية العـسكرية والايجـازات لتـشويه الحقائق والكذب المتعمد والالتفاف ما يلي :
أ ـ طائرة (بي ٥٢) العملاقة التي سقطت على فم الخليج وهي عائدة إلى قاعـدتها فـي دييجـو غارسيا يوم ٣ / ٢ / ٩١ بعد قصفها الكويت .. اعلن الجنرال (روبرت جونستون) انّـه ربمـا ان يكون سبب سقوطها خلل ميكانيكي.
ب ـ قوات البحرية الأميركية (المارينز) قتل منهم احد عشر جندياً في بداية عملية الخفجي علـى ايدي القوات العراقية ؛ طلع علينا الجنرال نفسه (جونستون) في مـؤتمره الـصحفي يـوم ٣ / ٢

[87] - ارجع إلى كتابنا (الحرب النفسية الاسرائيلية) والى كتاب زياد ابو غنمية : (سيطرة الصهيونية على الصحافة العالمية).

بقوله ان التحقيق يجري الآن في احتمال اصابة عربة سبعة منهم بنيران صـديقه (يعنـي نيـران اميركية بالخطأ).

ويريد هنا أن يحرم العراقيين حتّى من أنهم أوقعوا اصابات بالجنود الاميركيين ..

ج ـ عندما ازدادت الاصابات المدنية في المدن العراقية، سأل الصحفيون الجنرال عـن أسـباب ذلك ، حاول التعليل لكنه فشل، فقام إلى نجدته احد الصحفيين الذي قال له :

أليس من المتوقع أن تكون الصواريخ العراقية المضادة للطائرات التي تطلق بكثافة تـسقط علـى الأرض مرة أخرى وقد تأخذ في طريقها مدنيين . الا نتوقع ذلك ؟

أجاب الجنرال .. هذا احتمال وارد.. وقد يكون السبب في اصابة المدنيين.

د ـ والحادثة التالية .. تظهر عجز الجنرالات عن إيجاد مبـرر ذكـي يغطـي كـذب البيانـات الأميركية أو الاعلام الأميركي لقصف المدنيين في العراق من جراء الضربات العشوائية التـي استهدفت قتل الابرياء وتدمير المنازل السكنية وصهاريج الماء وحتى بيوت الشعر :

ففي المؤتمر الصحفي العسكري الذي عُقد في الرياض مساء يوم ٤ / ٢ / ٩١ وعندما سئل عـن اصابة الاحياء المدنية داخل بغداد اصابات مباشرة من جراء القصف الجوي والصاروخي حـاول تبرير ذلك بالطقس وسوئه، أو بعدم وضوح الرؤية من جراء تكاثف الغيوم. وهنا تبرع صـحفي لانقاذه وإكمال الدور المرسوم .. وتساءل .. هل تعزو سبب اصـابة الاحيـاء المدنيـة إلـى ان العراقيين بدأوا يضعون الطائرات في المدارس والمساجد ويجعلون منها مراكز قيادة لأننا اعلنـا اننا لا نضرب المدنيين.؟؟

كان جواب الجنرال روبرت جونستون .. محتمل ان يكون الامر كذلك !!

السخرية التي تجاوزت كل حدود هي ان هذا جنرال يعرف أن الطـائرة لا توضـع فـي صـف مدرسي ولا تتسع لها ساحة مدرسة وليس من السهل سحبها في الشوارع لوضعها هنـاك أو فـي مسجد . والسخرية أيضاً من تجهيله للآخرين حول حقيقة ان القواعـد الجويـة لا تكـون داخـل المدن، أو حتّى قرب المدن والمناطق السكنية !!

والسخرية الامر من ذلك انالرئيس الأميركي بوش حاول تقديم ذلك كحقيقة للـشعب الأميركـي يوم ٦ / ٢ / ٩١ حين كان يدافع في تصريحاته عن قصف الاحياء المدنيـة . حـين قـال : " أن هناك معلومات تفيد ان العراقيين يضعون أسلحتهم ومعداتهم في المدارس والمساجد .. ومن أجل ذلك يصاب المدنيون العراقيون".[٨٨]

---

[٨٨] - محمد أمين . المرجع نفسه .

وللحقيقة والانصاف وفي معرض الحديث عن المؤتمرات الصحفية العسكرية لابد من القول فـي مقابل الاسلوب العراقي الذي اعتمد البيانات العسكرية المرقمة واستخدم التصريحات والرسـائل الاعلامية المطاولة فقد كانالاسلوب الامريكي لا يعتمد البيانات ولكنه اعتمد على جلسات الايجاز الحيّة للصحافة والاعلام واعتمد فيها على التلقائية والايجـاز والمباشـرة . ومـن **Briefing** الامثلة على تطوير الاسلوب الاعلايم وبنائه على الاجاز والبساطة كما في البلاغات حـول بدايـة العمليات أو انهائها، ويمكن الاستشهاد على هذا المنحى في رسالة "بوش" إلى الـشعب العراقـي والتي كانت مدتها ٦ دقائق فقط مما سمح باذاعتها في العالم كله عدة مرات . فـي حـين كانـت رسالة الرئيس صدام إلى الشعب الامريكي ٧٥ دقيقة مما حال دون بثها كاملة ومما ترك الامـر للاعلاميين الغربيين لكي يلخصّوا الرسالة كما يشاؤون مما يخدم اغراض الحملة الامريكية . [٨٩]

٦ ـ الندوات التلفزيونية والاذاعية والصحفية

وهذه الندوات لعبت دوراً كبيراً هي الاخرى في حرب الخليج حيث كانت تقوم بتحليل الاوضـاع ووضع الاحتمالات والتكهنات كما سيحدث واستقراء الوقائع للخلوص منها إلى النتائج المحتملـة. وهي كأداة اعلامية وكأسلوب اعلامي نابع عن تلك الادوات فهو ايضاً كان هائلاً بالقـدر الـذي كانت فيه ادوات الحرب هائلة من حيث التحكم بها ومن حيث مدى الرقابة عليهـا فهـي تغطّـي جميع أنحاء المعمورة اولاً ثم انها لا تسمح إلاّ بالرأي والتحلي الذي سيخدم الحملة اولاً واخيـراً. فالتكنولوجيا الالكترونية الحديثة كانت تسخّر الندوات وآراء ما يُفترض انهم أشـخاص محايـدون والبيانات والمعلومات والمقابلات لخدمة الحملة الاعلامية التي هي بدورها فـي خدمـة الحملـة العسكرية.

وللوقوف بدقة على نمط واسلوب هذه الندوات سنورد مثالاً واحداً عنها كما أورده وزير الاعـلام الاردني السابق السيد مروان دودين. [٩٠]

يقول وزير الاعلام الاردني السابق :

"دعتني هيئة الاذاعة البريطانية / البرنامج الثاني بالتلفزيون ، للمشاركة في نـدوة مذاعـة علـى الهواء في مساء يوم ١٥ / ١٢ / ١٩٩٠ بعنوان "هل نسير إلى الحرب ونحـن نـائمون ؟ بـادارة المدير العام لاذاعة الهيئة المشهورة.

أستمحيكم عذراً في اعطاء بعض التفاصيل عن هذه الندوة فان فيها مثلاً ممتازاً لوصـول اعـلام التحالف إلى درجة رفيعة من الكفاءة في توظيف البيانات والمعلومات والمقابلات لتحقيق اهـداف

[٨٩] - الرأي . عمّان مقال د . فهد الفانك : (الخطاب الاعلايم في ازمة وحرب الخليج) .

[٩٠] - اللواء . عمّان ٣١ / ٧ / ١٩٩١ . من مقال (ونجحت خطة إعلام التحالف).

هذا الاعلام، المشاركون، : بالاضافة لي، نائب بريطاني عائد من لقاء مع الرئيس صـدام حـسين ومعروف بتفضيله اعطاء الفرصة للمقاطعة دون الحاجة للحرب خبير عـسكري امريكـي مـن مدرسة زبغنيو بريجنسكي معارض للحرب محذراً من مخاطرها وداع إلى الاخـذ بأيـة بـدائل أخرى ، سفير سابق لدى الاردن والعراق يدعي بأن هدف الحملة هو اخراج العراق من الكويـت فحسب وينكر وجود (الاجندة السرية) ويتعهد بالتالي الا تهاجم العراق إذا انسحبت، رجـلا ديـن كبيرين احدهما يمثل الكنيسة الانجليكانية (الانجليزية) وآخر يمثل الكنيـسة الكاثوليكيـة (ايرلنـده الشمالية) الاول مع الحرب والثاني ضدها . مارشال جو بريطاني يرى ضرورة خوض معركـة محدودة لاخراج العراق من الكويت على ان تتعداها إلى عمق احتيـاطي معـين داخـل حـدود العراق بهدف تحطيم ما يمكن تحطيمه من القوة العراقية واخيراً وليس آخـراً الـدكتورة رشـا الصباح نائبة رئيس جامعة الكويت وابنة شقيق حاكمها.

وقد حشد مدير الندوة للمشاركة مع المتحاورين جمهوراً من بينه ارملة جميلة فقدت زوجها في حرب الفوكلاند، وطبيبة بريطانية فلسطينية المولد، وسوري مقيم في لندن يـدعي انّـه صـحفي، مفاخر بموقف سوريا ومصر ومشاركتهما في الحملة لتحريـر الكويـت، مـع مجموعـة مـن البريطانيين معظهم واصل للتو من الكويت والعراق بعد التحـرر مـن (الاستـضافة) العراقيـة المشهورة، والتي عرفت بقضية الرهائن، بدأ مدير الندوة، وهو من أبرز قيـادات الـ BBC ، واكثرهم اطّلاعاً بعرض سريع لمجريات الاحداث مركزاً على احتلال الكويت، وعلـى احتمـال امتداد الحرب للسعودية ودول مجلس التعاون ثم عرض ما وصفه بنتائج استبيانات عـن الـرأي العام البريطاني وموقفه من الحرب، اجرتها جهة متخصصة، تظهر أن ٦٧ % مـن البريطـانيين مع خيار الحرب لفترة غير محدودة.

ولكم أن تتصوروا كيف سار (الحوار) على مدى حوالي الساعة، ولكم ان تتمتعوا في الامكانيـات الهائلة التي وظفت لساعة بث واحدة على الهواء. أما بالنسبة لـي فقـد ذهلـت بـذكاء العمليـة واسلوب التوظيف والتنوع الظاهر في آراء المتحاورين والمصداقية في شكل الطرح وحيـويتهن ورغم ان احداً من المتحاورين لم تتح له اية فرصة معقولة لاستكمال وجهة نظره، الا ان النتيجـة كانت واضحة بالنسبة للجمهور البريطاني المستهدف بالعملية :

اولاً : لابد من اخراج العراق من الكويت .

ثانياً : إذا اختار العراق ان ينسحب فهذا يمكن ان يؤجي إلى تجنـب الحـرب، ولكـن (المجتمـع الدولي) ملزم بوضع ترتيبات امن جديدة في المنطقة تضمن عدم تكرار ما وقع .

ثالثاً: ليس هناك مبرر اخلاقي أو ديني يمنع استخدام القوة لاخـراج العـراق مـن الكويـت إذا اصرت على البقاء فيها، وبالتالي فان مشاركة بريطانيا في العمل العسكري هـو امـر مـشروع ويترتب قبوله من المكاف البريطاني.

وقد ضاع صوت الطبيبة الفلسطينية البريطانية الذي حاول الربط بين هـذه المـسألة والاحـتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة، لم لا .. والصورة الشمولية للموقـف العربـي صـورة منقسمة على نفسها، ولا أدل على ذلك، من تباين واضح بين مالستطعت ان اشارك فيه مـن رأي ، وبين ما طرحته الدكتورة الصباح، وبين ما تفوه به من ادعى انّه صحفي سـوري مقـيم فـي لندن.

والسؤال هو : هل كانت أمريكا والقوى المتحالفة معها بحاجة إلى كل هذا التنظيم الاوركـسترالي لحملة اعلامية كفؤة ومعقدة وباهظة الكلفة؟

والجواب : نعم .. هكذا يجري الاعداد للقرارات الخطيرة، في عالم النظام الدولي الجديد ، وليس القرار هنا خطير لانه قرار حرب فحسب، وانما لانه يجب ان يتم الوصـول إليـه تحـت مظلـة كبيرة من الدعاية والاعداد النفسي بحيث تنزوي الاصوات المعارضة له فـي اضـيق الحـدود، وبحيث تكون ردود الفعل سواء في داخل معسكر التحالف أو خارجه ضمن حدود السيطرة عليها والتعامل معها كآثار جانبية محدودة الاثر وقابلة للنسيان".

٦ ـ المناشير (المنشورات)

استخدمت المناشير في حرب الخليج. وقد ألقت قوات التحالف برئاسة أمريكـا المناشـير علـى الجنود العراقيين في الكويت لدفعهم إلى الاستسلام كما يتضح لنا في النماذج التالية :

الفصل السادس

الاعلام الاسرائيلي في حرب الخليج

في هذا الفصل سوف نستعرض الدور الاعلامي الاسرائيلي في حرب الخليج، وسـوف نتنـاول هذا الدور من زاويتين : الاولى نتحدث فيها عن الموقف الاسرائيلي من حرب الخلـيج والثانيـة نتناول فيها الحملة الاعلامية الاسرائيلية في هذه الحرب.

ومن البديهي ان تسارع اسرائيل امام مثل هذه الازمة المروعة إلى عمل كل مـا مـن شـأنه ا، يخدم اغراضها ويساعد في دعم اهدافها الاستراتيجية في البقاء والتوسـع وابتـزاز أي طـرف للحصول على الدعم المادي والتسليحي والبشري.

والمتتبع لحرب الخليج سوف يجد ان الاعلام الاسرائيلي والدعاية الصهيونية كانا منسجمين إلى اقصى درجة مع حملات الاعلام الغربي فالمصالح المشتركة واحدة كما ان العدو المشترك واحد.

الموقف الاسرائيلي من حرب الخليج

يمنكن تفسير الموقف الاسرائيلي من حرب الخليج بأنه كان عملية استغلال إلى ابعد الحدود ومن جميع الجوانب كما سنرى في أبعاد هذا الموقف :

١ - استغلال اسرائيل حرب الخليج للتأكيد على دورها الحيوي بالنسبة لامريكا ومصالحها في المنطقة ومن ثم لتعميق التعاون مع أمريكا خاصة ومع العرب عامة.

فقد وجدت الاوساط الرسمية الاسرائيلية في ازمة الخليج فرصة كبيرة لتحقيق المزيد من المكاسب السياسية والعسكرية والتي تتركز على الدور الاسرائيلي في المنطقة بشكل عام، ومساهمته في حماية المصالح الارميكية والدول الغربية، وقد نشطت وسائل الاعلام الاسرائيلية وامتداداتها على الساحة الامريكية في جهودها للتذكير بهذا الدور وما يوفره من تكاليف على الولايات المتحدة تترتب على حضورها المباشر إلى المنطقة لحماية مصالحها. يقول "فرانك لوتنبرغ" عضو مجلس الشيوخ الامريكي بالاذاعة الاسرائيلية :"نشهد في الولايات المتحدة تغييراً في الرأي العام لصالح اسرائيل وان العديد من الامريكيين باتوا يفهمون الآن أهمية اسرائيل بالنسبة لواشنطن في هذا الجزء من العالم" وذلك في بداية الازمة وعزفاً على وتر أهمية اسرائيل لأمريكا.

كما استغلت اسرائيل الموقف المستجد في منطقة الخليج العربي في محاولة لاستثماره ضمن الاطر المتفق عليها في اتفاقياتها مع الولايات المتحدة الامريكية، وبما يخدم مصالحها الاستراتيجية في المنطقة حيث تمّ التركيز على ضرورة تعميق التعاون الاستراتيجي بين اسرائيل وامريكا مع مواصلة التذكير بخطورة التهديدات العراقية. يقول "ديفيد ليفي" في بداية اندلاع الازمة :"ان اسرائيل اكثر من أي وقت مضى هي ورقة استراتيجية بالنسبة للولايات المتحدةز لان العراق لا يهدد بلادنا فقط وانما أيضاً الدول العربية المعتدلة في المنطقة مثل العربية السعودية والعالم الحر بمجمله". [٩١]

كما عمدت اسرائيل وفي المجال نفسه ولتحقيق هدفها إلى التذكير بالتكاليف والتبعات المترتبة على بقاء القوات الامريكية في الخليج، وذلك بغية توضيح اهمية الدور الاسرائيلي المستمر في

---

[٩١] - القدس ٢ / ٨ / ١٩٩٠ .

حماية المصالح الامريكية والغربية في المنطقة خاصة بعد انتهاء الدورالاسرائيلي التقليـدي فـي الوقوف امام المدّ والنفوذ الشيوعي في المنطقة العربية.

وهكذا فقد اتخذ التعامل الاسرائيلي مع احداث الكويت هذا الاتجاه الذي يركز على ضرورة بيـان اهمية اسرائيل لامريكا ومن ثمّ ضرورة تعميق التعاون مع التذكير المستمر بخطورة التهديـدات العراقية لاسرائيل انطلاقاً - بالنسبة للنقطة الاخيرة من ان نتيجة المواجهـة سـتحدد مـستقبل الجبهة الشرقية ضد اسرائيل مما دفعها لطلب دور في الحرب حتّى لو كان - كما حدث - على مستوى التعاون الاستخباري، ومما دفعها في تلك المرحلة المتقدمة من الازمة إلى التنديد علـى ما كانت تسميه بالتعاون الاردني - العراقي كما كثرت الاشارات الاسرائيلية إلى مينـاء العقبـة في اطار الحديث عن الحصار الامريكي للموانئ والحـدود العراقيـة ممـا يـستوجب اتخـاذ الاجراءات نفسها بالنسبة لميناء العقبة !

٢ - استغلال اسرائيل حرب الخليج لابتزاز أمريكا والغرب بالمال والـسلاح والرجـال. وقـد إتبعت لذلك اساليب منها:

أ - المبالغة في إبرازالقدرات التسليحية والتكنولوجية لبعض الدول العربيـة وبـشكل خـاص العراق، والتذكير بنوايا العراق المعادية لاسرائيل، وبالتلاي ايصال الرأي العام الامريكـي إلـى مرحلة المناداة وبالحاح بزيادة قدرات اسرائيل الاقتصادية والعسكرية.

ب - كما عمدت إلى تضخيم حجم الدمار والخسائر التي مُنيت بها بسبب الحـرب فقـد ثـارت الضجة الاعلامية الاسرائيلية الغربية لافهام العالم بأن هذه اسرائيل المـسكينة تُـضرب وتهـدم منشآتها دون ان ترد على النار بالمثل ولم تحرك ساكناً وتتبع سياسـة ضـبط الـنفس وان هـذه السياسة المتبعة من أجل مصالح الولايات المتحدة وهي تتحمل الضربات لكي لا ينفرط التحـالف حتّى ضمنت اسرائيل لنفسها (١٣ مليار) دولار ثلاثة منها لتعـويض خـسائرها بـسبب الحـرب العراقية الامريكية وعشرة مليارات لتأهيل المهاجرين من السوفيات وحصلت من المانيـا علـى (١٦٠) مليون دولار بالاضافة إلى ٦٥٠ مليون دولار اسـلحة فـي ٣٠ / ١ / ١٩٩١ وجـسر جوي من المساعدات العسكرية تشتمل على بطاريـات البـاتريوت ودبابـات ونخيـرة واخيـراً طائرات حديثة. كما تبرعت هولندا ببعض بطاريات باتريوت بالاضافة إلى بطاريـات بـاتريوت الامريكية والمشاركة في مشروع صاروخ آرو "السهم" الاسرائيلي.

ولهذا حققت اسرائيل هذه المسرحية الاعلامية للكـسب مـن النـاحيتين الاعلاميـة ، والفائـدة العسكرية والاعلامية بين دول العالم .

في دارسة الباحثة الامريكية "غريس هالسيل" بعنوان (علاقة اسرائيل بالصدام الارميكي العراقي) تُقرر ان نتيجة الحرب كانت بالنسبة لامريكا : "... ربما انتصرت عسكرياً في الحرب ولكنها منيت بأكبر هزيمة اخلاقية . وكانت اسرائيل هي المستفيد الوحيد من الحرب بكل المقاييس ، ومع ذلك فثمة مفارقة مثيرة وهي ان اسرائيل تطالب أمريكا بـ (١٣) مليار دولار لأنها لم تشارك في الحرب - رغم ان مريكا خاضت الحرب عملياً لاجلها - بينما تطالب أمريكا اليابان بنفس المبلغ لانها لم تشارك في الحرب !!!)[٩٢] .

٣ - تحريض أمريكا لضرب العراق، وتصعيداً للازمة باتجاه الحرب . استغلت اسرائيل الازمة منذ ساعاتها الاولى لتصعيدها باتجاه تحريض أمريكا لضرب العراق. ويحسن بنا هنا ان نذكر مرة أخرى بالحملة الاعلامية الصهيونية الاسرائيلية - الغربية المشتركة التي بدأت منذ توقف الحرب العراقية - الإيرانية وحتى نشوب ازمة الخليج يوم دخل العراق الكويت في ٢ / ٨ / ١٩٩٠ وهي الحملة التي فصلنا القول فيها بالفصل الاول في هذا الكتاب حيث تناولنا ابرز ملامح الحملة الاعلامية قبل ازمة الخليج والتي كان محورها تضخيم حجم القوة العراقية وان العراق بات يمتلك اسلحة الدمار الشامل وانه قلب موازين القوى في المنطقة والتي كانت من قبل محسومة لصالح اسرائيل بحيث اصبحت في صالحه وانه اصبح يهدد وجود اسرائيل على نحو خطير مما يتطلب إيقافه وتدمير كل ما يمتلك من قوة وسلاح.

ومنذ نشوب الازمة مجدداً في آب عام ١٩٩٠ حاولت اسرائيل وبشتى الوسائل دفع الادارة الامريكية إلى السرعة في اتخاذ قرار الحرب ومهاجمة العراق وبالتالي تحقيق احد الاهداف الاسرائيلية الحالية بتحطيم كامل البنية العسكرية العراقية . فقد امتلأت الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون الاسرائيلية بالاحاديث والتعليقات والدراسات المستفيضة حول هذا الموضوع، إذ حظيت قدرات العراق العسكرية بأكبر قدر من الاهتمام حتّى على صعيد التصريحات الرسمية للقادة الاسرائيليين فقد وصف قائد سلاح الجو الاسرائيلي العراق بأنه اصبح دولة مكبرى يملك مليون جندي في الخدمة النظامية وبحوزته طائرات يفوق عددها عدد الطائرات التي بحوزة بريطانيا والمانيا الغربية مجتمعه . كل ذلك بهدف تضخيم القوة العراقية لتبرير ودفع الولايات المتحدة والغرب معها لضرب العراق، وملاحقته بعد ذلك للاجهاز على كل ما يتبقى لديه من قوة بعد الحرب .

قالت تاشر في صحف يوم ٣٠ / ١٠ / ١٩٩٠ :"حتّى إذا ما تمّ استخدام القوة فإن الحظر يجب ان يستمر على ا لعراق لتحديد قدرته العسكرية والتسليحية مستقبلاً " وفسّر بيكر وزير الخارجية

---

[٩٢] - الدستور ٣ / ١١ / ١٩٩١ وأسرار جديدة حول علاقة اسرائيل المباشرة بالصراع الامريكي العراقي.

الامريكي يوم ٣٠ / ١٠ هذا بقوله : "أنه حتّى إذا ما وافق صدام على الانسحاب من الكويت فـان المجتمع الدولي يجب ان يبحث في الابقاء على العقوبات ولاسيما الحظر على صادرات الـسلاح إلى العراق لمنع العدوان في المستقبل"[٩٣] . وهذه التصريحات الاوربوبة الامريكية انمـا كانـت تنسجم تماماً مع تصريحات اليهود الخارجة من اسرائيل ومع تصريحات الـوبي اليهـودي فـي أمريكا الذي كان هو بدوره يقرع طبول الحرب ضد العراق منذ توقـف الحـرب العراقيـة - الإيرانية قبل الثاني من آب ١٩٩٠ بعامين كما تؤكد ذلك الباحثة "غريس هالـسيل" حيـث أثبتـت دراستها الوارد ذكرها سابقاً [٩٤] وعلى نحو لا يقبل الشك وجود مصلحة جوهرية لاسـرائيل فـي تدمير القدرات العسكرية العراقية . كما بيّنت كيف ان اللوبي الصهيوني اليهودي فـي أمريكـا المتحكم بالكونجرس الاثر الاكبر في قرارات الادارة الامريكية وكيف يحكم قـام بـشن حملـة التضليل في اكبر عملية غسل دماغ شهدتها أمريكا حتّى الآن .

وفي سياق هذا البعد أي تحريض أمريكا لاتخاذ قرار الحرب وضرب العراق، نجد ديفيد وزيـر خارجية العدو في ١٧ / ١٢ / ١٩٩٠ يقول : "ان المليون ونصف المليون جندي عراقي وأسـلحة الدمار التي يملكها العراق تهدد في الدرجة الاولى اسرائيل ".

وإذا كان ذلك في مجال تحريض أمريكا على ضرب الرعاق فان الحملة اتجهت في مسار آخـر إلى تصعيد الازمة باتاه الحرب حيث عمات الحملة الاعلامية الاسرائيلية على تـصعيد الحملـة ضد العراق ورئيسه بشكل محموم . يقول عيزرا شيرازي من اذاعة اسرائيل "لا شك ان الغـزو العراقي للكويت قد وضع العالم الحضاري بأسره في محك اختبار تاريخي ومحك الاختبـار هـذا يمكن فيما إذا كان العالم الحضاري سيكتفي بالاعراب عن صدمته واصـدار بياناتـه المتـضمنة التنديد والشجب، ام سيتكاتف ويُنفذ اجراءاته ليس فقط بإرغام العساكر العراقيـة الغازيـة علـى الرجوع إلى جحورها وانما كذلك للتصدي ولوضع حد للتجاوزات وممارسات الرئيس العراقـي وذلك لكونه وامثاله من الحكام يشكلون خطراً كافياً ليس فقط على عموم شـعوب العـالم وانمـا بالاخص على شعوبهم بالذات . وإذا كانت الدول العربية تعتبر نفسها جزءاً من العالم الحـضاري فينبغي عليها بل وقبل غيرها ان تكون في طليعة المبادرة إلى اتخاذ الاجراءات الدولية المـشتركة للحيلولة دون تفاقم أو استفحال خطر النظام العراقي برئاسة صدام حسين "اذاعة اسـرائيل ٣ / ٨ / ١٩٩٠ .

---

[٩٣] - الرأي . عمّان ٣١ / ١٠ / ١٩٩٠ م .

[٩٤] - الدستور ٣ / ١١ / ١٩٩١ . المقال نفسه للأمريكية "غريس هالسيل".

فالحملة الاعلامية تعمل على زيادة حدة الموقف بالدعوة إلى تدميرالعراق بالقوة لانهـا الـسبيل الوحيد للرد، وتوجيه الانتقادات بوقاحة إلى المجتمع الدولي لعدم اتخـاذه تـدابير خاصـة ضـد العراق، حيث انتقد شامير المجتمع الدولي بشدة لعدم اتخاذ اجراءات ضد العراق قبل ذلك.

تقول اذاعة اسرائيل بتوبيخ شديد للغرب والعالم "أن البيت الابيض سيتفهم بعد الغـزو العراقـي للكويت بأن الخطر في منطقة ا لشرق الاوسط لا يكمن في القضية الفلسطينية وانمـا يـنجم عـن زعماء عرب امثال صدام وحافظ الاسد ومعمر القذافي" اذاعة اسرائيل ٣٠ / ٨ / ١٩٩٠ وتتـابع قائلة "ان اسلوب التخويف لخدمة التطلعات المنطقية المطبقة على ظهر قزم عـسكري معروفـة جيداً. ان صدام انتزع من التاريخ العالمي الورقة التي تصف احداث السنوات الثلاثين في وسـط اوروبا، ونظرة خاطفة على الضحايا المستقبلية لحملة صدام حسين وعلى رأسـها دول الجزيـرة العربية من العدل ان تثير الشكوك حول مقدرة الصمود امام العراق . وتقول هـآرتس: مجلـس الامن يطرد العراق ولن يستطيع انقاذ الضحية من بين مخالبه" ٣ / ٨ ويـضيف تعليـق اذاعـة العدو : "والسؤال هو كما تقول علهمشمار : بأي شكل ستعبر الدول الكبرى بصورة حازمة عـن مطلبها (انسحاب العراق) وتجبر الزعيم المجنون الملطخة أيديه بالدماء علـى التراجـع؟ "اذاعـة اسرائيل في ٣ / ٨ / ١٩٩٠ .

٤ ـ البعد الرابع في الموقف الاسرائيلي من حرب الخليج سوف نجده فـي اتجـاهين الاول فـي استغلال الظروف لقمع الانتفاضة والثاني في استغلال ظروف الحرب لجلب واحـضار المزيـد من المهاجرين اليهود السوفييت واليهود الاثيوبيين إلى اسرئيل . وقد استغل الاسرائيليون موقـف عرفات والمنظمة كما هو موقف بعض الدول العربية في حل الازمة عربياً وعدم تدويلها، كمـا استغلت اسرائيل مشاعر الشعب الفلسطيني في حرب الخليج للتشكيك في المواقف المعلنـة حـول السلام . قال عيزرلشيرازي من اذاعة اسرائيل فـي ٢ / ١٠ / ١٩٩٠ : "... ان أكبـر وأشـرف خدمة بوسع عرفات تقديمها للشعب الفلسطيني هي تقديم استقالته واقناع أوإرغام أدوات منظماتـه على الاستقالة معه والاختفاء عن المسرح".

٥ ـ استغلال اسرائيل للحرب بربط دعايتها مع الدعاية الغربية، فقد اظهرت الحملـة الاعلاميـة في أزمة الخليج ثم معركة الاعلام في حرب الخليج مدى تمازج وارتباط الدعاية الاسرائيلية مـع الدعاية الغربية، لا بل ظهر ارتباط وتمازج الدعاية الغربية الصهيونية مع الدعايـة الاسـرائيلية إلى درجة بلغت فيما بعد وضع الاعلام الغربي نفسه في خدمة التوجهات والمصالح الاسرائيلية.

يظهر تمازج هذه الدعايات : الغربية والصهيونية الغربية مع الاسرائيلية في هذه النماذج :

تقول جين كيركباتريك المندوبة الامريكية السابقة لدى الامم المتحـدة : "ان مناصـري العـراق يتذرعون بحجة غريبة وهي امتلاك العراق لاسلحة نووية وكيماويـة وبيولوجيـة يـوازن قـوة اسرائيل العسكرية ويشيع الاستقرار في المنطقة . ولكن ذلك أشبه بقول القائـل ان الـسلاح بيـد المجرم يوازن السلاح بيد رجل البوليس "!!

اما كسينجر فتقول نظريته في هذا الخصوص "إن أي نتيجة للمواجهة الحالية تنتهي ببقاء الـرئيس صدام حسين وببقاء آلته العسكرية سليمة فإن هذه النتيجة لن تكون سوى فرصة قـصيرة تفـصل بين حربين " [95] والاستنتاج الوحيد هو ان على أمريكا كما تتطلع وتـصرح اسـرائيل ـ تـدمير كامل القوة العراقية تماماً .

وأما الصاندي تلغراف اللندنية فتقول على لسان "بيريجراين وورسـتوم" بمقالتـه (مـاذا ينتظـر جورش بوش؟) : "إذا بقي صدام حسين فإن الرئيس بوش سيموت سياسياً أو على الاقـل يـصبح بطة ميتة"!! فهو تحريض سافر مكشوف يصب في المصلحة الاسرائيلية .

هذا من جانبن ومن جانب آخر فقد بلغ بالاعلام الغربـي الاقتـراب والامتـزاج مـع الاعـلام الاسرائيلي إلى درجة وضع فيها نفسه في خدمة المصالح والاهداف الاسـرائيلية . وهنـا يمكـن التذكير بأن الاعلام الغربي من خلال الصحافة وشبكات التلفزيون ومحطات الاذاعـة ووكـالات الانباء الكبرى كلها تحت السيطرة اليهودية أو الغربية الصهيونية بشكل يكاد يكون كـاملاً تامـاً ففي أمريكا ـ وكما سبق وذكرنا ـ مجموعة عائلة نيو هاوس (٢٠ جريدة يومية منها ٦ جرائـد رئيسة) ثم النيويورك تايمز والواشنطن بوست والتـايمز ، وكـذلك فـي بريطانيـا فـالانجليزي الصهيوني ماكسويل يملك مجموعة "ميرر" الصحيفة وهناك ميردوخ اليهودي ومجموعة (صـن) الصهيونية .. الخ، وعليه فغن هذا التحكم اليهودي، والصهيوني الغربي بأدوات ووسائل الاعـلام الغربية العالمية مهد السبيل لممارسة ديكتاتورية اعلامية تصب في النهاية فـي مجـرى وقنـاة المصالح الاسرائيلية وجعل منها ادوات لخدمة هذه المصالح .

والاقتباس التالي يُلقي الضوء على هذه النقطة :

"اسرائيل .. قام الغرب بالحرب من أجله التدمير القدرة العربية : وتحجيم ارادة هذه الامة، فكـل مقدرات الغرب في خدمة اسرائيل : بما في ذلك الاوركسترا الصحفية والعلامية.

لذلك فان اسرائيل التي تدعي دائماً انها واحة الديمقراطية الوحيدة في الـشرق الأوسـط تعامـل الصحفيين على اختلاف جنسياتهم .. على أساس قاعدة لا تتغير، وهـي إمـا ان يخـدموا أ÷داف

---

[95] - الشعب . عمّان ٢٣ / ٨ / ١٩٩٠ م.

اسرائيل العدائيةن أو انهم ضد السامية ومرفوضون أو تتهمهم بـأن لهـم ارتباطـات ارهابيـة ماركسية.

وغني عن القول ان كل صحفي غربي يحاول العمل في اسرائيل كمنـدوب لـصحيفة أو محطـة اذاعة أو شبكة تلفزيون : اما ان يكون يهودياً بالديانة، أو صهيونياً بالانتماء . وحتـى هـؤلاء .. يقومون أحياناً بهفوات تخرجهم عن الخط المرسوم لهم فينصب الغضب عليهم، ويعاملون معاملة قاسية ويطردون .. وهكذا حدث مع مندوبي الـ (cnn) المعتمدين فـي إسـرائيل عـام ١٩٩٠ حين تحاملا على الفلسطينيين في جنوب لبنان خلال الغارات الاسـرائيلية وكـذلك اثنـاء تغطيـة اخبار الانتفاضة، ولم يكن التحامل والانحياز بالقدر الذي يرضي السلطات الاسرائيلية فطرد كـل من (مايك غرين سبان) و (جف لزين) وحل محلهما (ليندا شيرفر) و (بيتر آرنت) الذي نقـل قبـل الحرب إلى بغداد كما حدث نفس الشئ مع مندوب مجلة النيوزويك الأميركية (ثيودور سـتينجرز) الذي سحب ترخيص عمله في بداية شهر شباط ١٩٩١ بسبب صورة نشرتها مجلته لتل أبيب فـي الليل، ولهب صاروخ "الحسين" العراقي يشق ظلام تل ابيب مثل قـوس قـزح.. ونـشرت هـذه الصورة على صفحتين في عدد المجلة الصادر في ٩١/٢/٤. مع العلم بأن المراسل المذكور لـم يزود مجلته بالصورة هذه ولم تكن حتّى هذه الصورة من تصوير مراسلي المجلة، بل كانت مـن وكالة سيغما.

وهنا لابد من التنويه بالفضيحة الصحفية التي طفت على السطح في عـام ١٩٩٠، حـين نـشرت أنباء في الصحف الاسرائيلية عن ان الكتب الصحفي فـي وزارة الخارجيـة الاسـرائيلية يـدفع رواتب، ويقدم هدايا، وخدمات خاصة للحصفيين الاجانب، ويقوم المكتب بجمعهم اسـبوعياً فـي لقاء يلقنون فيه التعليمات الجديدة في إطار تطورات الخطط السياسية والامنية الاسرائيلية.

ونعود إلى الحرب العربية - الامريكية، لالقاء الضوء على انخراط الصحافة الغربية في مصالح اسرائيل الأمنية.. الذي يظهر بوضوح خلال الهجمات الصاروخية العراقية على تل ابيب.

ففي غارات الصواريخ الأولى كانت شبكة الـ (cnn) تنقل فترة الغارة كاملة حياً على الهـواء: وكان النقل مزدوجاً، أحياناً نكون في تل ابيب على شاشة الـ (cnn) ثم ننتقـل إلـى الريـاض، لأن الانذار يكون من مصدر واحد لكل الحلفاء. ولا يعرفون اتجاه الصاروخ بعـد انطلاقـه الا عندما يسقط على الأرض.. واستمر هذا النقل المباشر لمدة عشر ايام.. كان الهدف منـه كـسب تعاطف الغرب كله مع اسرائيل الضابطة للنفس التي تتعرض للاعتداء وهي صامتة، التي تـدمر احياؤها ويشرد سكانها، ولا تحرك ساكناً.. وهي تقوم بهذا الدور نـم أجـل مـصالح الولايـات المتحدة والغرب وتتحمل الضربات حتّى لا ينفرط التحالف وتنسحب الاطراف العربية منه.

بقيت هذه المسرحية الاعلامية مستمرة عشرة ايام حتّى ضـمنت اسـرائيل لنفـسها (١٣) مليـار دولار.

وبعد أن حققت هذه المسرحية الاعلامية أهدافها بدأت اسرائيل بالتعتيم الاعلامي المطلـق علـى مايجري على أثر اطلاق الصواريخ العراقية عليها ففي غارة مساء يوم ٩١/١/٣٠ بدأت شبكة الـ (cnn) تنقل صفارة الانذار كالمعتاد والمشاهدات من على سطح فندق في تـل ابيـب ثـم لحظات الانتظار، بعد ذلك صدرت تعليمات (حسب قول المراسل للشبكة) من الرقيب العـسكري الصحفي الاسرائيلي بوقف البث وانتقل المراسل إلى المركز الرئيسي، وبعد ذلك لم تـتم تغطيـة أي حادثة لسقوط الصواريخ العراقية على تل ابيب، إلا بتقارير مختصرة جداً أو اخبـار قـصيرة يسربها الصحفيون الغربيون كما يعطيها لهم الرقيب العسكري، وبدأوا يسربون اخبـاراً عـن ان هذه الصواريخ تسقط في الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، للتقليل من قيمة هذه الـصواريخ ودقتها: ولضرب معنويات المواطنين في الاراضي المحتلة، وسلخ تأييدهم عن العراق وقتل كـل أمل لهم بالتحرر من الاحتلال الصهيوني وكذلك محاولة هز ثقة العراق بسلاحه.. وبـالرغم مـن هذا الظلام الاعلامي لم تجرؤ أي شكبة تلفزيون اميركية أو غربيـة أو الـصحف أو محطـات الاذاعة ان تذكر شيئاً عن تلك الاخبار، أو عن هذا التعتيم كما يتهمون العراق صباح مـساء بأنـه يفرض رقابة مشددة على الصحفيين وتحركاتهم.

وبهذه المناسبة يجب ان اذكر حقيقة واضحة لا أهدف من وراءها اثبات ما هو مثبـت للقـارئ العربي، ولكن لتعزيز المعرفة.. ففي خلال الهجمات الاولى للصواريخ العراقية على تل ابيـب.. تحول توجه الماكينة الاعلامية الغربية كلياً لاسرائيل، ونسيت أولادها (غـزاة الـصحراء) ومـا ينتظرهم من مستقبل، وتكيفهم مع اوضاعهم الجديدة، وبريدهم، وما يجب أن يقدم لهم وخططهـم لتوسيع غزوهم.. نسيتهم أجهزة اعلامهم كلياً على مدى ثلاثة أيام وكسرت ورقها وبثها للحـديث عن اسرائيل، خسائرها، موجات التعاطف معها، التبرعات التي انهالت عليها؛ دفاعها عن نفـسها، هل ستثأر أم لا، المبالغ اللازمة لتعويضها، تصريحات زعمائها، مستوى المبعوث الـذي يرسـل لها، كيف يقضي الاسرائيليون ليلتهم في الملاجئ أو الغرف المحكمة الاغـلاق وهـم يـسلبون كماماتهم.. " [٩٦]

---

[٩٦] محمد أمين. المرجع السابق نفسه.

□ الحملة الاعلامية الاسرائيلية في حرب الخليج

بعد أن تعرفنا على أبعاد الموقف الاسرائيلي من حرب الخليج وهي الابعاد التي تشكّل الارضـية لحملتها الاعلامية يمكننا هنا ان نتعرف على أبعاد الحملة الاعلامية التي عملت بانسجام كبير مـع جوقة الاعلام الغربي.

أبعاد الحملة الاعلامية الاسرائيلية في حرب الخليج:_

١_ تركز البعد الاول في الحملة المسعورة التي حاولت اقنـاع العـالم وامريكـا علـى وجـه الخصوص ان العراق يهدّد الوجود الاسرائيلي أي وجود وبقاء واستمرار اسرائيل مما يـستوجب تدميره، تركز هذا البعد على ضرورة تدمير العراق وانهاء نظام الحكم والرئيس صـدام. كمـا عملت الحملة على أن تحدد الطريق لذلك بحيث يقتنع المتلقي لهذه الحملات الاعلامية النفـسية ان المشكلة لا تُحل إلا بالتخلص من الرئيس العراقي وتدمير كامل العـراق ممـا يحقّـق الهـدف الاسرائيلي أولاً ومما يعمل كعنصر تأديب لأي جهة أخرى تحدّث نفسها بـأن تفعـل مـا فعلـه العراق وخاصة الدول العربية. ولذلك نجد الاعلام الاسرائيلي والاعلام الصهيوني الـذي يـدور في المدار نفسه يركز على هذه القضية بالأخبار وبالتحليلات أو اقوال المسؤولين أو مـن خـلال الندوات وغيرها وكلها سعت إلى التعريض بالرئيس العراقي وتشويه شخصيته.

يقول عيزرا شيرازي من راديو تل أبيب ٨/٣/ ١٩٩٠ :" هنالك من يقـول ان الـرئيس العراقـي صدام حسين لجأ إلى البطش والبلطجة العسكرية... والمشكلة تكمن فـي جوهرهـا فـي معـدن الرئيس صدام واحلامه بالأمبراطوريات"!!

٢_ البعد الثاني في الحملة الاعلامية الاسرائيلية كان التركيز على إظهار الجانب العربي وكأنـه يتبنى سياسة العنف وعدم احترام المواثيق والعهود. وكذلك عدم جديته في أطروحـات الـسلام. وكما رأينا فقد استغلت اسرائيل مشاعر الشعب الفلسطيني وموقف عرفات تجاه عدم تدويل أزمـة الخليج من بدايتها وحلّها عربياً بحيث صارت تعلن أن عرفات والمنظمة يشكلون عقبة في طريـق السلام.

٣_ كان التركيز في البعد الثالث على فشل نظرية الحدود السياسية بين الدول وتعزيـز النظريـة المنادية بضرورة الحدود الطبيعية الامنة استناداً إلى سقوط الحدود العراقيـة - الكويتيـة خـلال ساعات، الأمر الذي يعزز نظرية الأمن الاسرائيلية حول الحدود الآمنة.واستناداً مرّة أخرى إلـى ان العراق وعلى رأسه صدام الذي يملك كل تلك الاسلحة يُهدد اسرائيل.

٤_ البعد الرابع يكمن في الالتفاف على النزاع العربـي الاسـرائيلي وعلـى جـوهر القـضية الفلسطينية ومحاولة تحجيمها و "حشرها" في دائرة ضيقة واعتبار ان النـزاع هـو بـسبب عـدء العرب لاسرائيل ولا يوجد مشكلة أو نزاع حقيقي بين اسرائيل والفلسطينيين!!!
القطاع والجولان ولبنان وقام هذا الاعلام بتصوير هذه المبادرة على ان المقصود منهـا الخـداع وتضليل الرأي العام العالمي عما يُبيت له العراق.
قالت دافار ان خطوة صدام "تستهدف دق إسفين بين الدول التي تفرض عليه الحـصار بـاقتراح سحب قواته من الكويت مقابل انسحاب اسرائيل من المناطق" اذاعة اسرائيل ١٩٩٠/٨/١٣.
يقول مستشار رئيس وزراء العدو لشؤون الأمن "ان صدام يحاول بمبادرته _١٩٩٠/٨/١٢ _ إلهاء الرأي العالم العالمي عن حقيقة أن دولة كبيرة اقتلعت جارة صغيرة بخطة عدوانية وبـدون أي تحرج، وان صدام يحاول بكل طريقة ممكنة إبعاد الجيش الدولي الذي يفرض الحصار عليـه" اسرائيل _ ١٩٩٠/٨/١٣.
وفي هذا الصدد نفسه نجد الاعلام الاسرائيلي يستخدم قضية الحرب العراقيـة _ الإيرانيـة بعـد دخول العراق الكويت مباشرةً لتقويض المقولات العراقية حـول الـسلام وأن وراء المقـولات الظاهرة مقاصد خفية عدوانية توسعية. فكما جاء في الاذاعـة الاسـرائيلية يـوم ٨/٢١ بعنـوان ملاحظة ويكتبها عزرا شيرازي:" ... ركوع الرئيس صدام حسين وخـضوعه لمطالـب حكـام طهران وتقهقره إلى نقطة البداية لحربه المجنونة ضدهم بعد أن جاب للشعب العراقـي الـويلات والنكبات طوال ثمانية أعوام ..."
ومنذ بداية الأزمة صار الاعلام الاسرائيلي يتباكى على ضـحايا الحـرب العراقيـة الإيرانيـة والخسائر المادية وذلك بهدف تكبير صورة كاريكاتيرية ترسمها تلك الاجهـزة الاعلاميـة لمـا سموه "بالمزاجية" في اتخاذ القرارات المصيرية من قِبل العراق خاصةً عندما أعلن العـراق فـي يوم ١٩٩٠/٨/١٥ قبوله لإتفاقية الجزائر ١٩٧٥ مع إيران بهدف تصفية آثار الحرب التي اسـتمرت ثماني سنوات وحتى يُفوّت الفرصة على الاعداء حتّى لا يدفعوا بإيران فـي مثـل هـذه الأوقـات الحرجة للوقوف إلى جانبهم فيأمن العراق على الاقل حيادها في هذه المنازلة الهائلة. ولكن الاعـلام الاسرائيلي ضرب صفحاً عن كل ذلك ليؤكد فقط على أن هذا القـرار العراقـي: "مأسـاة بـشرية ومأساة سوداء بالنسبة للشعب العراقي" [٩٧] وأن العراق باعلانه هذا يكون في الواقع قد أعلن [٩٨]:_

---

[٩٧] اذاعة إسرائيل ١٩٩٠/٨/١٥.
[٩٨]

"بكل بساطة وبدون أي تأنيب ضميران مئات الآلاف من القتلى وأضعاف هذا العدد من الجرحى ومشوهي الحرب من أبناء الشعب العراقي الذين ذهبوا ضحية حرب الثمانية أعوام ضد إيران ذهبوا في حقيقة الواقع ضحية نزوة من نزواته أي نزوات صدام حسين وذهبوا ضحية خطأ بسيط في حساباته وباعلانه من صباح اليوم يكون الرئيس صدام حسين قد اعلن في الواقع بدون أي حرج وبجرّات قلم ان آلاف الملايين من الدولارات التي هدرها في حربه المجنونة ضد إيران ذهبت سُدىً في ادراج الرياح وعلى مذبح نزواته وأحلامه بالأمبراطورية وبات العراق مثقلاً بالديون الخارجية بمبلغ ٨٠ بليون دولار حسب تقديرات متحفظة بعد أن كان في بحبوحة مالية واقتصادية ويتمتع باحتياطي ضخم من العملات الصعبة.
أجل ان ما اعلنه الرئيس صدام حسين صباح اليوم هو في الواقع اعترافه على مسمع من العالم أجمع بان الانتصار العظيم والنصر المبين الذي تبختر به وتظاهر حتّى الآن بتحقيقه ضد إيران على جثث أبناء الشعب العراقي هو نصر أجوف ووهمي ولم يكن سوى انتصار شخصي له ولأعوانه بأنهم بقوا في دفة الحكم".[٩٩]

وهكذا نجد ان الحملة الاعلامية الاسرائيلية كانت أحياناً تقود من موقع المقدمة وأحياناً تسير جنباً إلى جنب مع معركة الاعلام الاغربي في ما يتعلق بمسألة تشويه المبادرات والطروحات العراقية وتفريغها من مضامينها بقصد إسكات أو تشويه صوت الحقيقة والمطالب العادلة التي يريد ان يوصلها إلى العالم بهدف تمريرهم للخطط الغربية الصهيونية الاستراتيجية في إبادة العراق وتدمير قوته إبادةً وتدميراً كاملين.

٦_ تبرير اسرائيل لاعتداءاتها على الدول العربية والتملص من طروحات السلام.

وأما تبرير اعتداءاتها فجاء مصداقاً للقول الشائع (عذرٌ أقبح من ذنب) فهي تقول عبر اعلامها ان ما كانت تقوم به إنما كان يهدف إلى وضع حد لمثل الزعامة العراقية العدوانية، وأن سياستها "العدوانية" إنما كانت بقصد تجنيب المنطقة الكثير من مآسي التطرف العربي والارهاب العربي. ولا شك ان مثل هذا الطرح (المقلوب) إنما تلاقى مع الطرح الامريكي نفسه في أن العدوان والحرب إنما هو الأداة للسلام في المنطقة!! فبدون ضرب العراق وشل قدراته وتحطيم قواه فإنه سيدُمر سلام المنطقة وسلام العالم!!

ومرة أخرى نعود للاستشهاد بما قالته "جين كيركباتريك" المندوبة الامريكية السابقة لدى الأمم المتحدة: "ان مناصري العراق يتذرعون بحُجة غريبة وهي امتلاك العراق لأسلحة نووية وكيماوية وبيولوجية يوازن قوة اسرائيل العسكرية ويشيع الاستقرار في المنطقة ولكن ذلك أشبه بقول القائل

---

[٩٩] اذاعة اسرائيل ١٩٩٠/٨/١٥.

ان السلاح بيد المجرم يوازن السلاح بيد رجل البوليس" فاسرائيل في هذا العُرف والمعيار الازدواجي المغلوط: رجل بوليس، والعراق هو: المجرم!!

ويتلقف الاعلام الاسرائيلي مثل هذه الاقوال ليبرر الاعتداءات التي ارتكبتها اسرائيل على الأمة العربية وأن كل ما تقوم به هو لحماية العالم من عدوانية العرب وبربريتهم فهي تمثل الوجه التقدمي الغربي الذي يقف أمام الهمجية العربية! ويذهب الاعلام الاسرائيلي إلى ما هو أبعد من ذلك في اتجاهين: الأول في اتجاه اقناع العرب أنفسهم ان مثل هذه المواقف والاعتداءات إنما تأتي أحياناً لحماية العرب أنفسهم من أنفسهم ومن حكامهم، فهذا الصحفي اليهودي "أ.م. رونزنثال" وهو يكرر الدعوة لتدمير العراق منذ بداية الأزمة "يطالب الحكومة الأمريكية ووزارة الخارجية الأمريكية بأن تُفهم العرب جميعاً بأنالخطر الدائم عليهم لا يأتي من اسرائيل كما يدعون وإنما يأتي من حكامهم الديكتاتوريين."[100]

وأما الاتجاه الثاني فيكمن في محاولة اسرائيل وبناءً على مثل هذه الطروحات التملص من قضية السلام بالكامل، وذلك أن العرب بمثل هذه العدوانية وهؤلاء الزعماء لا يمكن الركون اليهم في مسألة السلام وهذا اليهودي "داني روبنشتاين" في "هآرتس" يقول:" في كل مرة كان يظهر فيها زعيم عربي متطرف كان يهم اسرائيل أن تُبرز كي تحظى بتأييد الرأي العام العالمي وان تُظهر للجميع لماذا لا تستطيع التنازل!"[101]

٧ - وتأسيساً على البعد أعلاه تستمر اسرائيل في الطريق نفسه ليضطلع الاعلام بدور نقل رسالة التهديد الاسرائيلي للعراق وللعرب بما فيهم الأردن.

وكانت التهديدات الاسرائيلية التي وجهت للعراق ثم العرب الذين يساندون العراق أو يقفون على الحياة تدخل تحت المعطف الامريكي وتتذرع بالتصريحات الامريكية فهذه اذاعة اسرائيل تقول "أفادت صحيفة الواشنط بوست صباح يوم ٨/٦ بان الرئيس بوش أصدر تعليماته لوكالة الادارة الامريكية بما فيها المخابرات لتخطيط عمليات سرية بهدف زعزعة نظام الرئيس صدام والاطاحة به. وذلك عندما انذرت المخابرات (سي. آي. إيه) الرئيس بوش بأن صدام يفضّل جعل العراق دولة عربية عظمى وأن مكانته تتيح له التلاعب بأسعار النفط بالأسواق الدولية. وان صدام بات يشكل تهديداً يتجاوز حدود الأزمة الكويتية للمصالح الامريكية بعيدة المدى. مما دفع بوش لهذا

---

[100] مقال حسني عايش_ الرأي في ١٩٩٠/٩/٤

[101] الدستور، عمّان، ١٩٩٠/٨/٢١.

الاجراء وتخصيص جهود مكثفة لخنق الاقتصاد العراقي والتسبب في غليان الجيش العراقي للتمـرد ودعم تنظيمات مقاومة سرية دلخل العراق وخارجه" راديو اسرائيل ١٩٩٠/٨/٦.

كما لم تنسَ اسرائيل في حملتها بالتلويح بالقوة وبالتخويف بتهديد الاردن مراراً كما جاء على لـسان رئيس وزرائها اسحق شامير "نتوقع من الاردن ان يتصرف بصورة تتسم بالمسؤولية والحـذر ودون الانسياق إلى المغامرات الخطيرة لجاره الشرقي"[١٠٢]

وصدرت العديد نم التصريحات على ألسنة الاسرائيليين تهدد الاردن في حالة دخول قوات عراقـي إلى أراضيه. وبلغ بهم الحد إلى درجة قال فيها موشي آرنز وزير الدفاع "ان الملك حـسين أصـبح خبيراً في الاخطاء. لقد سبق وأخطأ في الماضي لكن هذا الخطأ الأخيـر يمكـن أن يكـون قاضـياً بالنسبة إليه"[١٠٣]_

أما ليفي وزير الخارجية فقال عازفاً على النغمة نفسها "ان لا مصلحة لاسرائيل في زعزعة النظـام الهاشمي ونأمل في أن يتخذ الملك موقعاً اكثر تعقلاً يتيح له الحفاظ على عرشه!!"[١٠٤] مهدداً في هـذا السياق من أي مبادرة اردنية تتيح للعراق القيام بعمليات عسكرية انطلاقاً من الاراضي الاردنية.

٨ - التخويف من زيادة التعاون الامريكي - العربي عندما قامت أمريكا وقوى التحالف علـى جـر العرب معها إلى حفر الباطن لتدمير العراق بحجة الشرعية الدولية والامن والسلام العالمي ممارسةً أقصى انماط الازدواجية الحائرة، خشيت اسرائيل حتّى من هذا الدور الذي انجر له العرب رَغَبـاً أو رَهَباً وقد عبّر عن هذه الخشية "أبا إيبان" وزير الخارجية الاسبق بقوله في "هآرتس": -

"نجاح "بوش" المفاجئ على الصعيد العربي ولّد نوعاً من الإحباط لدينا نحن الاسـرائيليين، أوسـاط اسرائيلية ويهودية اصبحت في حيرة وارتباك حول ما تقدمه واشنطن لكل من مبارك والاسـد وفهـد كمكافأة لهم على وقوفهم معها في جبهتها المعادية للعراق؟ هذا الامر سيفرض وجوده موضـوعياً في المراحل القادمة وبالطبع ستقوم الولايات المتحدة بردّ الجميل اليهم وسيكون هذا الجميـل علـى حساب اسرائيل، هذا الأمر يجب تعبيراً له في وسائل الاعلام الغربية"[١٠٥]

٩_ تشويه الشخصية العربية وتشويه الإسلام والمسلمين. وهي حملة مستمرة إنما كانت تركـز مـع حرب الخليج على تشويه الشخصية العربية عموماً والـسخرية منهـا واظهـار العـرب بمظهـر الارهابيين اسقاطاً على العراق وعلى الرئيس العراقي كمـا صـورته وسـائل الاعـلام الغربيـة

---

[١٠٢] الرأي، عمّان، ١٩٩٠/٨/١١.

[١٠٣] اذاعة إسرائيل ١٩٩٠/٨/١٦.

[١٠٤] اذاعة مونت كارلو ١٩٩٠/٨/١٥.

[١٠٥] صحيفة صوت الشعب، عمان، ١٩٩٠/٨/٢٧.

الصهيونية والاسرائيلية على حدّ سواء وانهم يجب إيقافهم عند حدهم فهم خطر على السلام والأمن الدوليين!! فالاعلام الاسرائيلي كان يتقدم أو يسير مع المجموعة الاعلامية الغربية الصهيونية التي تعمل على إظهار العرب والأمة العربية والاسلامية أنها أمة عداونية بربرية تنزع للحرب ولا تريد السلام لا لنفسها ولا لاسرائيل ولا للعالم كله.

فهذه الجيروزالم بوست الاسرائيلية تقول:" أثبتت أزمة الخليج ان العرب يرون في القيم الامريكية نقيضاً أخلاقياً للسلام، في حين ينظر الامريكيون إلى العرب على انهم متخلفون وبرابرة، فهم معادون لأمريكا وارهابيون وغير قادرين على التكليف مع الحضارة الحديثة"[106] وهذا الكلام هو ترجمة حرفية للنظرة الغربية _ الصهيونية التي كرّست العرب باعتبارهم ارهابيون متخلفون بالفطرة!

أما الكتاب اليهودي "جادي يتسيف " فقد كتب في صحيفة "عل همشمار" في السياق نفسه ولكن تحت ستار التحذير وعازفاً على نغمة التخويف من البديل الإسلامي الذي يهدد الحضارة الغربية مؤكداً على أنه لا يوجد بديل ايديولوجي وسياسي وحيوي قائم في قلوب ملايين البشر ويستطيع أن يقف في وجه النموذج الليبرالي الغربي غير البديل الإسلامي الذي يشكل نظاماً اجتماعياً وانسانياً متكاملاً قادراً على التحدي[107] وإذا كانت هذه كلمة حق أُريد بها باطل فهي كما قلنا تقع تحت باب التخويف من الإسلام وأهله. في عام ١٩٨٤ أوضح "ليون أوريس" ان الهدف من روايته "الحاج" هو تحذير الغرب من "ثور هائج قوامه بليون نسمه على هذه البسيطة وإذا ما عوملوا بطريقة خاطئة فسيفتحون طريقاً ثانية إلى "هرمجدون" ويقصد بهم المليار مسلم!![108]

الفصل السابع

الإعلام العربي في الخليج

- الاعلام العراقي

لدراسة الاعلام العراقي دراسة واعية عميقة سوف نلجأ إلى النظر من خلال منظارين اثنين:

١ - منظار اولئك الذين تعاطفوا مع العراق

٢ - منظار الآخرين الذين وقفوا ضد العراق

ومن خلال المنظارين سوف نتفحص ثلاثة محاور في الاعلام العراقي:

---

[106] الشعب، عمّان، ١٩٩٠/١١/٤.

[107] اللواء،. عمّان، ١٩٩١/٩/١١.

[108] حرب العالمين الأولى الأرض للنشر، ترجمة صبحي حديدي، قبرص، ١٩٩١،

١- المنطلقات والمقولات السياسية للحرب، وتلك الدوافع التي قادت إلى إثارة أزمة الخليج ثـم قادت إلى الدخول في الحرب.

٢- المضامين الاعلامية العراقية

٣- الأساليب الاعلامية العراقية

١ - المحور الأول.

وهو يدور حول المنطلقات والمقولات السياسية للحرب، والدوافع التي قادت إلى إثارة أزمة الخليج ثم إلى دخول الحرب.

انقسم الرأي في الاعلام العراقي حسب الرأي في سياسته ومواقفه. فالذين تعاطفوا مـع العـراق شادوا بمصداقية اعلامه وثبات مقولاته، سواء أكانوا أفراداً أو هيئات أو دوائر إعلامية حكوميـة أو غيرها. والذين وقفوا ضد العراق بالكلمة أو بالمال أو بالسلاح والرجال أو بكل ذلك معاً فقـد رأو في إعلام العراق اعلاماً هشاً مهزوزاً متناقضاً فهو (دعاية بعثية) وهـي دعايـة الـديكتاتور التي أتى من خلال الدعائم الأيديلوجية للحزب. وهم يذهبون الى ما هو أبعد من ذلك إلـى درجـة وصف الهدف من الحرب لدى الرئيس صدام باعتباره مشابهاً للهدف الذي كان لدى هتلر عنـدما فكّر في المجال الحيوي لألمانيا على حساب جاراتها ومن هذه المقارنة تم كـذلك مقارنـة نتـائج الحرب النفسية والاعلام الالماني كما جاء ذلك على لسان رئيس تحرير مجلة الدفاع العربي فـي افتتاحية المجلة لعدد شهر حزيران ١٩٩١ عندما قال: ".. وهذا النجاح الواضح لـسلاح الاعـلام الغربي ليس بالأمر الجديد، فقد سبق أن قام بدور فعال في تحقيق النصر لقـوات الحلفـاء فـي الحرب العالمية الثانية إذْ تفوقت الخطة الاعلامية الغربية الذكية، بعلى الجهاز الاعلامي الالماني النازي، الذي سقط في الرمال المتحركة لأساليب "الدعاية الفجـة"[١٠٩] أي أن الـسياسة العراقيـة خانها الحظ كما خان السياسة النازية بل وان اعلامها كالاعلام النـازي لاقـى المـصير نفـسه، بمحاولة ماكرة للربط بين الصورتين كما رسمها اعلام التحالف الغربي _ الصهيوني سابقاً.

وربما كان الاقتباس التالي هو الأبلغ في بيان صورة هذا الجانب - الذين وقفوا ضـد العـراق - فهو يُلخص المقولات والطروحات التي اعتمدها الاعلام العربي في رسم ملامح صورة العـراق كما تلقّتها شعوبها ومن بلغهم إعلامها:

"لا يمكن لعملية غزو عسكري ذات بعد سياسي واستراتيجي، على النطاقين الاقليمي والـدولي - مثل غزو العراق للكويت - إلا ولها أهداف سياسية واستراتيجية محددة ومخطط لها من قبل وتـمّ الاعداد لتنفيذها من قبل ذلك بسنوات؛ لذاك لم يكن من المعقول منطقياً قبول الادعاءات العراقيـة

---

[١٠٩] الدفاع العربي. حزيران ١٩٩١.

بأن الغزو العسكري الذي جرى على هذا النحو من الضخامة في القوات البرية (حوالي فـ رقتين مدرّعة وميكانيكية معززتين بإسناد جوي وقوات كوماندوز) مجرد وليد ظروف استثنائية تتعلـ ق باستنزاف الكويت لحقل نفط الرميلة وما ترتب على ذلك من انخفاض اسعار الـ نفط، ولا قـ ضية مطالبة الكويت للعراق بديونها، أومجرد الرغبة في تأجير جزر بوبيان ووربة لايجاد منفذ بحـ ري للعراق على مياه الخليج.. الي غير ذلك من الدعاوي العراقية التي لم تكن تعـ دو كونهـ ا ذرائـ ع لتبرير العدوان ولخداع الرأي العام العربي والعالمين عن حقيقة الاهداف والنوايا العراقية التـ ي تتمثل في رغبة صدام حسين الجامحة ابتلاع الكويت، تلك (الكعكة الذهبية) التي طالما سال لعابـ ه لما تحتويه من حقول ومنشآت نفطية تضخ قرابة ٨ مليارات دولار، سنوياً في خزانتهـ ا، وتملـ ك ساحلاً واسعاً على الخليج وبُنية اساسية متطورة، ويعتبر احتواء العراق للكويـ ت بمثابـ ة مرحلـ ة أولى في المنظومة الاستراتيجية العراقية بعيدة المدى، يتبعها مراحل أخرى من العـ دوان علـ ى باقي دول الخليج العربية، بهدف بسط الهيمنة العراقية على كل منطقة الخليج، ليـ صبح العـ راق وحاكمه هو السيد الاوحد المطاع والمسيطر على منطقة الخليج سياسياً واقتـ صادياً وامنيـ اً، ثـ م ليبسط نفوذه بعد ذلك على كل من الاردن ولبنان، وتمتد هيمنته على المـ شرق العربـ ي بحكـ م الجوار الجغرافي. ومن خلال تغلغل نفوذ حزب البعث العراقي في باقي الدول العربية، خاصـ ةً مصر والسودان وبلدان المغرب العربي الافريقية، يمكن ان ينشئ دولة العـ راق البعثيـ ة كقـ وة اقليمية عظمى في منطقة الشرق الأوسط التي تسيطر على ٦٠% من انتـ اج واحتيـ اطي الـ نفط العالمي، وتتقدم للعالم كقوة دولية مهابة وقادرة على فرض ارادتها دولياً."[١١٠].

بالمقابل فان الذين تعاطفوا مع العراق أشادوا كما قلنا بمصداقية إعلامية وبثبات مقولاتـ ه التـ ي تتلخص في أن العراق كان مُستهدفاً من قبل القوى الغربية وعلى رأسها أمريكا ومن حالفهم مـ ن العرب الذين خدعتهم امريكا وهي التي كانت تخطط لاحتلال منابع الـ نفط،[١١١] والاسـ تفادة مـ ن الحرب لاسقاط ديونها ولضخ المزيد من الثروة في خزينتها الخاوية وإبقاء الشرق الأوسط مجزّءاً ضعيفاً مفككاً وسوقاً لبضائع مصانعها التي تشكو الخـ سارة الماليـ ة بـ سبب المنافـ سة الالمانية واليابانية وغيرها، ومما يساعدها في تحجيم النمـ ر الاقتـ صادي اليابـ اني والاوروبـ ي ويُمكّنها من تحجيم اوربا الموحدة وكل ذلك يهئ لامريكا استمرار الهيمنـ ة والتفـ رد العـ المبين ويُطيل من عمرها مع اقتصادها الآخذ في الضعف والركود المُفضيان إلى انهاير محترم.

---

[١١٠] الحرس الوطني. تشرين "نوفمبر ١٩٩١ . مقال اللواء الركن حسام سويلم ادارة الأزمات صنع القرارات.

[١١١] يمكن الرجوع لما قاله وزير الدفاع الفرنسي السابق شيفنمان، وقد أثبتناه في الفصول السابقة، ويؤكد فيه على تصميم أمريكا المسبق لتوريط العراق وضربه.

مقولة أخرى ثبت لعبها الاعلام العراقي وهي انّه طالما كان مُستهدفاً من قبل الغرب وعلى رأسه أمريكا ومِنْ قبل اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية وقد أُريدَ له الموت والانهيار عندما زُج به في حرب الثماني سنوات مع إيران فخرج منها سالماً مُعافى فكان عليه ان يعمل على حماية نفسه ومنجزاته التي هي منجزات للعرب جميعاً وجعلت من العراق قوة إذا اضيفت لها القوى العربية الاخرى فإنها ستُخل بميزان القوة المحسوم في المنطقة لصالح اسرائيل.

كما كانت المقولات الاخرى تتضح في أن العراق كان له حق وواجب تطوير قدراته لتحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع المجالات بما فيه مجال المعدات والاسلحة بكافة اشكالها ومستوياتها هذا التطوير هو ايضاً يصب في المصلحة القومية للعرب جميعاً ويأتي ضمن آمالهم وطموحاتهم الاساسية.

ومن الثوابت العراقية التي دافع عنها كا دافع عنها الذين وقفوا الى جانب العراق والاعلام العراقي هو حقه وتطلعاته في تحقيق التضامن العربي ورفعه إلى درجة الوحدة ليكّون من خلاله قوة تحمي نفسها وتدافع عن كيانها وتطالب بحقوقها ويكون لها كلمتها المسموعة في صنع سياسية المنطقة - منطقتها. وذلك كله ينعكس استقلالاً حقيقياً للاوطان والمواطنين العرب جميعاً ويخرج بهم من دائرة التبعية إلى دائرة السيادة الحقيقية في القرار الثروة والمقدرات الاخرى. وينعكس كذلك أمناً واستقراراً ورفاهاً كما ينعكس استقراراً عالمياً بسيادة أهل البلاد عليها وبإطفاء بؤرة التوتر في المنطقة من موقف الحرية والاستقلال الحقيقيين.

والاقتباسات التالية توضح هذه الطروحات من وجهة نظر هذا الجانب الذي يوصف بأنه المتعاطف مع العراق : -

".. ليس من الإنصاف المقارنة إعلاميا بين المعسكر الأميركي الذي يسيطر على وكالات الأنباء والإذاعات ومحطات التلفزيون والصحافة والأقمار الصناعية والمعلومات، وبين المعسكر العراقي الذي كان يعتمد على إذاعة صغيرة تحملها شاحنة متنقلة، ونفر من الموظفين الذين يعملون من الملاجئ دون وسيلة لتصال لا مع العالم ولا مع المسؤولين في بلادهم ولا مع بعضهم البعض.

ومع ذلك فإن الطرح العراقي فيما يخص الوحدة العربية ورفض السيطرة الأجنبية،وعدالة توزيع الثروة، والقضية الفلسطينية، حقق نجاحاً وحرك الجماهير العربية في معظم الأقطار العربية، ولكننا يجب ان نعترف ان رد الفعل في الشارع العربي كان دون المستوى، وفي الشارع الإسلامي (عدا الأردن والجزائر) شديد التردد. وفي العالم الثالث شبه معدوم."[١١٢]

---

[١١٢] صحيفة الرأي. مقال د. فهد الفانك في زاوية "رؤوس أقلام" الخطاب الإعلامي في أزمة وحرب الخليج.

"أمران إثنان تعتبرهما الولايات المتحدة الأمريكية أساسين في استراتيجيتها اتجاه منطقة الشرق الأوسط المهمة بموقعها على مقربة من الإتحاد السوفياتي وبين أوروبا وآسيا وافريقيا: -
الأول: سلامة "إسرائيل" وبقاؤها وقوتها.
الثاني: بقاء النفط العربي الخليجي بمنابعه وممراته تحت السيطرة الأمريكية[١١٣] على أساس هذين الأمرين تبني الولايات المتحدة الأمريكية سياستها اتجاه المنطقة العربية فمصير، "إسرائيل" مرتبط بحركة التاريخ في هذه المنقطة، وبالتحديد فإنه مرتبط بحركة الوحدة العربية التي تتجسد فيها حركة التاريخ. ولذلك فإن السياسة الأمريكية، إمتداداً للسياسة الإستعمارية التقليدية، تحارب الوحدة العربية بكل الوسائل والإمكانات. كذلك مصير النفط العربي الخليجي مرتبط ايضاً بحركة التاريخ التي تتجسد في نضال الأمة العربية من أجل وحدتها التي تشكل الضمانة لحماية ثرواتها واستثمار مواردها في المجالات التي تفتقر اليها وتعود بالنفع على جماهيرها.
ومن أجل تضمن الولايات المتحدة الإمريكية سلامة "إسرائيل" وبقاء النفط العربي الخليجي وفق ما تريد فإنها لا تريد لحركة التاريخ إن تتحرك وتندفع، وبالتالي فإنها لا تطيق أن ترى بلداً عربياً من بلدان الكثافة السكانية بشكل خاص، تتولى أمره قيادة طموحة غير فاسدة تكرس وقتها للعمل البناء وتجيد لاستثمار الموارد والأدمغة والعلم ومختلف الكفايات البشرية في عملية بناء ضخمة تهدف إلى إختصار الزمن وتنفيذ سلسلة مترابطة من المشروعات الإنشائية والتنموية والعمرانية والصناعية والتكنولوجية والإنتاجية التي تؤدي في مجموعها إلى إقامة قاعدة الإنطلاق لحركة التاريخ التي تتولى إزالة المعوقات التي صنعتها إرادة المستعمرين في المنطقة العربية بهدف تسهيل مهمة نهب ثرواتها وإبقاء شعوبها خلف قضبان التخلف.
ولو أن قيادة العراق انكفأت على ذاتها بعد حربه مع إيران واشغلت نفسها بشؤون العراق وشجونه وبإعادة بناء اقتصاده، وأكتفت بالمزايدات الكلامية باسم القومية والوحدة وبشعارات التحرير والحرية، وعمدت في ظلها إلى تنظيم الإتصال وتنسيق المواقف مع أجهزة الإدارة الأمريكية، لكانت هذه القيادة استأثرت بكل انواع الدعم منها بيت الطاعة الأمريكي علناً أو تلك التي يسمح لها بالمزايدة من داخل هذا البيت المشبوه. ولكن.. شاءت القيادة العراقية ان تكون مجسدة لارادة الشعب وآمال الأمة العربية بمصداقية، ليس بالقول فقط، وإنما بالقول والفعل معاً، وكان هذا يعني بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وقوى الرأسمالية والصهيونية العالمية

---

[١١٣] بالرجوع إلى اعتراف وتأكيد "نيكسون" في كتابه اغتنموا الفرصة وهو الرئيس الأميركي السابق وذلك على مسألتي النفط واسرائيل كأهداف أمريكية استراتيجية وبالرجوع إلى تأكيد "شيفنمان" وزير الدفاع الفرنسي السابق.

التجديف الأعظم الذي لا يجوز السكوت عليه، والكفر الذي يجب محاربته، والتحدي الذي يجـب التصدي له بكل اموال النفط العربي وأسلحة الدمار الشامل التي كانت معـدة لمحاربـة الإتحـاد السوفياتي وحلف وارسو ايام كان الإتحاد السوفياتي نداً للولايات المتحدة وحلف وارسونداً للحلـف الأطلسي."[114]

والإقتباس التالي للجانب المتعاطف يؤكد على هذا المجال نفسه، مجال المقولات الـسياسية التـي أعتبرها العراق دوافع الأزمة فالحرب.

"الحملة الإعلامية ضد العراق":[115]

الحملة الإعلامية ضد الأمة العربية لم تتوقف: ولكن اشتدادها يتناسب طردياً مع وحـدة الـرفض العربي للهيمنة الغربية، والإعلام هو امتداد للسياسة، فعندما ينتهي السياسيون مـن عملهـم يبـدأ عمل الإعلاميين. وقد بدأت الحملة الإعلامية المكشوفة ضد العـراق منـذ ان انتهـت الحـرب العراقية الإيرانية وخرج منها العراق بمكسب بارز هو انّه لم يخسر فيها ارضـاً وبنـى آسـساً لنهضة اساسها علمي. لتكون قاعدة للقدرة العربية، والقوة الذاتية التي تحلم بها الأمة العربية.

كان السياسيون في الغرب يتابعون عن كثـب مـسار الحـرب العراقيـة الإيرانيـة ويجمعـون المعلومات ويبنون على اساسها مخططاتهم المستقبلية. وعندما ظهرت نتيجـة الحـرب وخـرج العراق منها عملاقاً قوياً.. بدأ سياسيو الغرب يضعون السيناريو الخاص باجهاض هـذه القـدرة، وكان لابد من تهيئة المسرح للمشهد القادم، وأجهزة الإعلام كفيلة بهذه المهمة.

لقد اشترى العراق بأمواله وجهد شبابه وعرق فلاحيه وثمـن ثروتـه النفطيـة أسـس مقدرتـه العسكرية.. واشترى هذه البنية الأساسية في معظمها من الغرب، واشترى ايضاً المعرفـه، ومـا سمح له ان يشتريه من التكنولوجيا وطور بنفسه ومعرفة علمائه وفنييه مـا اسـتطاع الحـصول عليه من الغرب: أو ما عجز عن شرائه جاهزاً من المؤسسات الغربية.

ولكن لأنه خرج قوياً من حربه، وكان من المفروض (بنظر الغرب) أن يخـرج ميتـاً أصـابت الغرب صحوة مفاجئة مفتعلة، بأن العراق أصبح خطراً على الإنسانية لأنه يكـدس لديـه أسـلحة الدمار الشامل.

وبدأت أجهزة الإعلام تدق الطبول، أحياناً لانه يمتلك اسلحة كيماوية، وأحيانـاً أخـرى جرثوميـة ومرات عديدة انّه يطور أسلحة ذرية. ومَنْ مِنْ الدول الغربية لا يمتلـك الأسـلحة الثلاثـة معـاً وبصور متقدمة تحمل الدمار الشامل الأكيد لكل سكان الكرة الأرضية، هم لهم الحق في امـتلاك

---

[114] د . عودة بطرس عودة. حرب الخليج ثم السؤول، عمّان وكالة التوزيع الأردنية، ١٩٩١.

[115] محمد أمين. صدام حسين: الإرادة العربية والإسلامية. عمّان ١٩٩١.

هذه الأسلحة، لكن بلداً عربياً محرم عليه أن يفكر بها. كانوا يريدون ان يفُني العراق إيران بهـذه الأسلحة أو ان تفُني إيران العراق باسلحة مماثلة عمل الغرب على توفير اسسها لكلا البلدين.

ولم تقتصر الحملة على ذلك بل تطاولت لتشويه صورة الرئيس العراقي، حيث تناولتـه واسـرته، وأتهمته بالديكتاتورية، وتصفية كل من يخالفه الرأي.. ورسمت صوراً رهيبة لرمز من رموز البناء العربي، والقدر العربية الحديثة في زمننا المعاصر. بقصد هدم الرمز للوصول إلى هـدم القدرة والإجهاز عليها.

ثم صدرت تصريحات استفزازية من إسرائيل عن قدرة العراق النوويـة، وان اسـرائيل تعـرف كيف تدافع عن نفسها وان لها خبرة في هذا المجال، تلميحاً لهجوم اجهاضي محتمل كما حدث عام٨١ أو بصورة اوسع ورد الرئيس العراقي على ذلك بقوله .. بانه إذا تعرض العـراق أو أي بلد عربي لاعتداء اسرائيلي سيحرق نصف اسرائيل.

وهنا خرجت الحملة الإعلامية السافرة ضد الرمز العربي. وضد العراق، وضد تنـامي القـدرة العربية والإسلامية.

بدأت أجهزة الإعلام تتابع رجال المخابرات والجمارك في الموانئ والمطارات الغربية كما يتـابع الشخص ظله، احياناً تصور انابيب النفط الضخمة بانها مشروع مدفع عملاق وعنـد مـصادرتها تقيم اجهزة الإعلام الغربية الدنيا ولا تقعدها وكانها كشفت عن فضيحة العصر وكل دول تستورد مثل هذه الأنابيب.. وحتى لو كانت لتطوير أسلحة مِنْ العالم لا يطور قدراته؟؟

وعندما يستورد العراق امصالا طبية، تحُوّل في تلك الأجهزة الإعلامية إلى كميات مـن المـواد الجرثومية للإستخدامات العسكرية وإذا استورد أجهزة علميـة بـسيطة للجامعـات ومختبـرات المدارس تصبح هذه الأجهزة صواعق لقنابل ذرية.

وطبعاً في كل خبر يذيله محرره باستعادة تهديد الرئيس العراقي لإسرائيل بانه سـيحرق نـصفها ويسقط الإعلام الغربي نصف التصريح حين لا يذكر (إذا اعتدت إسرائيل على أي بلد عربي).

وتصاعدت هذه الحملة الإعلامية في الوقت الذي كان فيه الغرب يحضر مسرح العمليـات حـين كان يزود الدول العربية التي كانت تعرب عن خشيتها من تنامي القدرة العراقية بتقـارير زائفـة ومعلومات مغلوطة مضللة عن نوايا العراق وتحثها على التصدي للعراق بضربه اقتصادياً للحـد من قوته وقدراته. وهكذا كانت لعبة اسعار النفط[١١٦].. واستنزاف حقول حدوديه مختلـف عليهـا مما استفز العراق الذي لم يستطع حل الموضوع سلمياً فاختار القـوة لوضـع حـد لمحـاولات تحطيمه اقتصادياً لضرب قدراته الذاتية.. فدخلت قوات الكويت في ١٩٩٠/٨/٢."

---

[١١٦] ارجع لتصريحات وزير الدفاع الفرنسي السابق "شيفنمان" حيث يؤكد إقحام أمريكا للكويت للقيام بهذا الدور.

والفكرة الرئيسة التي أجمع عليها هذا الجانب هي التبييت وسبق الإصـرار والترصـد للإيقـاع بالعراق من أجل الإجهاض عليه وتدميره بالكامل حيث ارتكـب فـي نظـر أمريكـا والغـرب المحرمات والممنوعات التي ستجعل منه نواة استقطاب للدول العربية فالإسلامية وقوة تـضرب جميع المصالح الغربية في المنطقة ومرة واحدة.

ولا يسع المجال لعرض وجهات النظر الغربية والمحايدة جميعها هنا، والتي أيدت هـذا المـذهب وسنكتفي فقط برأي لسياسي بارز وهو وزير الخارجية الفرنسي الأسـبق "ميـشيل جـوبير" فـي حوار اجراه في مجلة كل العرب الذي يقول في معرض حديثه عن موقف اوروبا من الأزمة: -

" ... ناهيك عن التساؤل الفعلي عن مصلحة أوروبا في هذه الحملة؟ وهي تهـدف فـي الأسـاس ومنذ انطلاقتها إلى القضاء على النظام العراقي وإخضاع العراق وان المؤرخين حينما سـيأخذون بكتابة هذه الحقبة لن يتعبوا كثيراً حتّى يثبتوا هذه الحقيقة، وان الأميركيين تـصرفوا عـن سـابق تصور وتصميم، وكانوا يتربصون بالفرصة المناسبة للقيام بمغامرتهم"[117]

٢_ المحور الثاني:

وهو يدور حول المضامين الإعلامية العراقية. وكما رأينا في المحور الأول فـإن الـرأي فـي مضمون الإعلام العراقي انقسم حيث كان للجهات التي وقفت أو تعاطفت مـع العـراق رأيهـا وكذلك للجهات الأخرى رأيها المختلف.

أ_ فالذين وقفوا مع العراق رأوا في مضمون الدعاية العراقيـة أو فـي مـضامينه الإعلاميـة المصداقية والثبات على الطروحات والمبادئ الأساسية بالوحدة والحريـة والإسـتقلال، وبنـاء الأسس للتطور والنمو مما يهّئ الإكتفاء الذاتي في جميع المجالات ويجعل من الأمة العربية أمـة واحدة ذات شأن تأخذ موقعها بين أمم الأرض . ورأى هذا الجانب المتعاطف مـع العـراق أنـه صاحب موقف قومي سليم وأنه كان يدافع عن نفسه وعن العرب أمام حملة استهدفت تدمير بنـاه ومواطن قوته في جميع المجالات حتّى لا تقوم للعرب قائمة. فـالعراق طـرح شـعار التحـرر العربي والقوة العربية والوحدة العربية ومقاومة قوى التسلط والهيمنة الغربية الصهيونية وعمـل على بناء عراق قومي وعلى تقارب عربي كخطوة نحو دخول "البيت العربي الواحـد " .. ممـا جعله هدفاً لحملة إعلامية ومؤامرة عالمية تهدف إلى تدميره وإذلاله وتلقـين " الأخـرين" اينمـا كانوا درساً في عدم التمرد في الخضوع للنظام العالمي الجديد الذي تفرضه أمريكا.

وكان هذا الموقف يُعرب عننفسه ويترجم من خلال المضامين الإعلامية التالية : -

---

[117] كل العرب. العدد ٤٢٠،١٠ ايلول ١٩٩٠. باريس.

١ - سياسة العراق وحقه في الدفاع عن الذات أمام مؤامرة عالمية مهّدت لها حملة جائرة غربية صهيونية بدأت منذ توقف الحرب العراقية الإيرانية وخروج العراق منها قوياً معافى اسـتهدفت تلك الحملة تصعيد العداء الغربي عامة والأمريكي خاصة لضرب العراق[118] وهـذه المـؤامرة كانت الكويت أحد عناصرها وكانت تهدف إلى رفع واستمرار مديونية العراق من خـلال تعـويم سعر النفط والى محاصرته وعدم حل مشكلة حقوق استخراج نفط حقل الرميلة ومشكلة الحـدود المعلقة وعدم تحقيق رغبة العراق في تامين منفذ بحري على مياه الخليج حيث حرم العراق منـه بسبب طريقة رسم الحدود بين البلدين من قبل ممثل الحكومة البريطاني سنة ١٩٢٢)[119]

٢ - سيادة العراق وحقه في بيع النفط بالكميات والأسعار التي تناسبه كما هو كذلك حـق سـائر الدول العربية الشقيقة المصدرة للنفط دون المسّ بهذه السيادة بشكل مباشر أو غير مباشـر مـن قبل الغرب وأمريكا. ويرتبط بهذا توزيع الثروة النفطية العربية توزيعـاً عـادلاً يـضع الـبلاد والمصالح القومية العربية العليا في الإعتبار.

٣ - عدم الإزدواجية في النظر للقضايا والمشاكل الدولية وفي إصدار وتطبيق القرارات الدولية مما يعني إحقاق الحق بالنسبة للإحتلال وبالنسبة لأسلحة الدمار الشامل مما دفع بالعراق لإصـدار مبادرة يوم ١٢ آب بإجبار اسرائيل على الإنسحاب من الأراضي المحتلة وتدمير اسلحة الـدمار الشامل التي بحوزتها

٤ - ابداء الرغبة العراقية في حل المشكلة بالإسلوب الذي يراه مناسباً بما فيـه الإنـسحاب مـن الكويت منعاً لتدويل الأزمة. وكذلك ابداء الرغبة في حل المشاكل المتعلقة والمثيرة للأزمة حتّـى لا يحّقق الغرب وعلى رأسه أمريكا اهدافه الإستراتيجية فـي المنطقـة بـاحتلال منـابع الـنفط وبضرب العراق حماية لإسرائيل.

٥ _ كشف الأسباب الحقيقية وراء مجئ القوات الغربية فبغض النظر عن أسـباب الأزمـة ثـم مبررات العراق في دخول الكويت فإن ذلك كله لا يجيز تجاهل الأسباب الحقيقية لقـدوم الغـرب وهو النفط، وحماية اسرائيل وضرب أي قوة تشّكل تهديداً لهذين الهدفين. وتأسيساً عليه فإن هـذا

---

[118] "وقد أدرك كثيرون في المنطقة، أن إرسال التحالف الدولي لقوات برية وبحرية وجوية كبيرة إلى الأراضي السعودية انما يشكل خطوة كبيرة نحو تنفيذ مخطط يهدف إلى تدمير القدرات العراقية العسكرية والصناعية. وكانت هذه المخاوف قد بدأت تتضح معالمها، من خلال ما تبين انّه حملة منسقة في الإعلام الغربي، امتدت عبر ما لا يقل عن سنتين، قبل نشوب الأزمة، لخلق الإنطباع بأن حكومة العراق تخطط لتصبح القوة المهيمنة في الشرق الأوسط استعدادا لمهاجمة اسرائيل بشكل خاص." ص ٩،١٠/ الكتاب الأبيض (الأردن وأزمة الخليج) عمّان - ١٩٩١.

[119] الكتاب الأبيض (الأردن وأزمة الخليج) عمّان - ١٩٩١.

لا يجيز تدويل الأزمة. وإخراجها من اطارها العربي بأي شكل من الأشكال. فحتـى لـو كـان العراق باغياً فإنه لا يجوز الاستقواء بقوى البغي والاستكبار الأعظم لتدمير العراق فقوة العـراق تظل قوة للعرب أجمعين ويمكن للموقف العربي الموحد وللقوة العربية معالجة الموقـف برمتـه وفي حال الفشل يمكن التفكير بعدها بوسائل أخرى.

ب _ أما الجهات التي وقفت ضد العراق فقد رأت في مضامينه الإعلامية ما إعتبرته مؤشـرات بارزة منها:

١ _ أنها مضامين متناقضة حيث انسحب ذلك عن قضايا كثيرة

٢ _ أنها غير مقنعة وغير مّبررة بشكل جيد

٣ - أنها تفتقر للمصداقية، عاطفية غير عقلانية وتتميز بالمبالغة.

وكان التناقض وعدم الإقناع والتبرير خاصة فيما يتعلق بدخول الكويت هو نفسه المبّرر لاسـتقدام قوى عالمية طلباً "للتحرير" و"للحماية"!!

وكان لتلك الجهات من المضمون الإعلامي العراقي موقفاً فيما يلي:

١ _ ان الإعلام العربي المضاد للعراق كان يريد اظهار العراق والإعلام العراقي بأنـه يـصدر عن فكر حزبي بعثي قومي علماني وأنه لأغراض الخداع والتـضليل كـان يطلـق الـشعارات الإسلامية كالجهاد ضد قوى الشر وضد الشيطان، والجهاد ضد الإستعمار والـصهيونية، وذلـك من أجل تثوير الشارع العربي والإسلامي بهذه الشعارات.

٢ _ انّه ولأغراض الخداع والتضليل وهو النظام الحزبي التسلطي رفع شعارات القـضاء علـى النظم الرجعية العربية في سبيل تحقيق الوحدة العربية، وشعار إعـادة توزيـع العربيـة لتحقيـق المساواة والرخاء.

٣ - عمل الإعلام العربي المضاد إلى تكريس الصورة التي رسمها الغرب للعراق ليخّوف بهـا العرب وخاصة الدول المجاورة في الجزيرة العربية، من خلال نقل تلك الصورة عـن الإعـلام الغربي الحليف وتكبيرها، والتي مفادها أن العراق لم يكن في غزوه الكويت يريـد الـدفاع عـن نفسه وأنما فعل ذلك بهدف احتلال الوطن العربي برمته متحدياً مبادئ القانون الدولي والـشرعية الدولية ورافعاً شعاراته التضليلية حول تحرير فلسطين والوحدة العربية ومقاومة قـوى الهيمنـة الغربية والصهيونية، ولكن طريق فلسطين لا يمر بالكويت.

٤ _ كان الإعلام العربي المضاد يرى في الإعلام العراقي مجرد دعاية بعثية سوداء تقـوم ليـل نهار بتلميع صورة البطل - الطاغية، ومرة أخرى تقوم بنقل وتكبيـر الـصورة التـي رسـمها الغرب للرئيس صدام حتّى أن كتاباً في الموضوع حمل عنواناً هذا نصّه: "هتلر الشرق وبلطجـي

العراق ولص بغداد"[١٢٠] والكتاب من تأليف د. حلمي القاعود وصدر عن دار الإعتصام بالقاهرة. كما كان يوصف بالطاغية: " طاغية بغداد" و" طاغية العراق"، والزعيم الدموي. بالوقت الذي تستخدم الإعلام الغربي في مفرداته الإعلامية عن الرئيس العراقي كلمات وعبارات مثل: مجنون ملتاث، دكتاتور دموي، مستفز، طاغية شرير، وحش مضطرب، نمر هائج.[١٢١]

وكان الهدف كما لا يخفي التشكيك بقدرة ونوايا وقيادته ورئيسه الذي ارتكب "جريمة العصر" في حق الكويت مهدداً من ورائها دول الجوار في الجزيرة.

٥ _ استغل الإعلام العربي المضاد الحرب العراقية الإيرانية للتشكيك في مصادقية الشعارات العراقية في أنه كان يدافع عن البوابة الشرقية للدول العربية ويصد غزوة الفرس الجديدة المتمترسة خلف قناع الأصولية الإسلامية حيث عاد في هذه الحرب ليرفع شعارات الأخوة الإسلامية وحسن الجوار " وقد أبرز الإعلام العربي المضاد ذلك من عدة جهات: -

I- ان إيران كانت في الإعلام العراقي طوال حرب الثمان سنوات فُرساً ومجوساً فإذا هم يصبحون الآن في هذه الحرب - وخاصة مع بداية الأزمة - إخواناً وأشقاء؟

II- ان العراق كبّد البلاد والعباد خسائر فادحة في المال والسلاح والرجال من أجل قضايا حدودية مع إيران عاد ليتنازل عنها كلياً في سبيل كسب ود إيران في أزمة الخليج فماذا ومن أجل من ذهبت كل تلك الضحايا والخسائر وذلك عندما أعلن العراق يوم ١٩٩٠/٨/١٥ قبوله لاتفاقية الجزائر ١٩٧٥ مع إيران.

٦ - رأى الإعلام العربي المضاد ان الإعلام العراقي وظف كل شئ لتحقيق أهدافه فبالإضافة إلى رفع الشعار الإسلامي فإنه "عمل على ترويج مخططه الدعائي الذي يعتمد بالدرجة الأولى على طريق الإستنزاف السياسي والنفسي بالقصف المستمر لصواريخ سكود على إسرائيل بصفة خاصة بهدف إعطاء النزاع طابعاً مختلفاً وللإيحاء بأن غزو الكويت ليس في الواقع إلا وسيلة على الطريق لتحرير فلسطين" !![١٢٢]

- وإستكمالاً لهذا الموضوع لا بد من طرح رؤية الدول التي وقفت مع العراق حول هذه النقاط التي أوردناها آنفاً والتي تعتبر بمثابة الردود على الطروحات الإعلامية للدول المتحالفة فالدول التي وقفت مع العراق كانت ترى في هذه النقاط تناقضاً وتهافتاً مما انعكس على مدى تقبلها واقتناعها باعلام تلك الدول برمته وذلك من خلال الطروحات أدناه والتي ظهرت في

---

[١٢٠] الحرس الوطني. مايو/ أيار ١٩٩١ . موضوع/ الإعلام في زمن الحرب.

[١٢١] حرب العالمين الأولى. ترجمة وتحرير صبحي حديدي شركة الأرض للنشر - ١٩٩١.

[١٢٢] الحرس الوطني، السعودية. يناير/ كانون، ١٩٩٢.



الكتب والصحف والمجلات وعبر محطـات الإذاعـة وشـبكات التلفزيـون ومـن خـلال المحاضرات والندوات والمؤتمرات وكافة أشكال الإتصال الجماهيري:

١ - ان العراق حتّى لو كان بعثياً قومياً علمانياً، وحتى لو كان باغياً فإن ذلـك لا يعتبـر مبّـرراً لضرب قواه التي بذل فيها الغالي والرخيص وأنفق ثروته النفطية في بنائها بالوقت الذي أهـدرت الدول النفطية الأخرى ثرواتها على شهوات الأنفـس والمـشاريع الخاسـرة والتنميـة الـشكلية والإستهلاك المحموم والتي لو انفقت في أوجهها الصحيحة كما فعل العراق لكان للعـرب شـأن آخر وقد كانت اليد كريمة في هذه الثروات للأجنبي وبخيلة للعربي والمسلم.

وتلك القوة العراقية كانت تصب في محصلتها الأخيرة في صالح قضايا الأمـة العربيـة وكـان المستفيد الوحيد من ضربها وتدميرها إسرائيل والغرب.

٢ - انّه لا يمكن تجاهل أن العراق كان مستهدفاً منذ أمد فقط لأنه عمل علـى بنـاء قـوة تُخـل بميزان المحسوم في المنطقة لصالح العدو الإسرائيلي. كما لا يمكن تجاهل الحملة المحمومة التي تعرض لها منذ توقف القتال مع إيران والى أن جُرّ بالمؤامرة إلى دخول الكويت تمهيداً لتدميره.

٣ - ان دخول الكويت حتّى لو كان "جريمة العصر" فإن الخطأ لا يعالج بخطأ أكبـر منـه وهـو استقدام قوى الغرب وتدويل الأزمة. لأنه كان بالإمكان حل الأزمة عربياً ولو ادى الأمـر إلـى حشد قوى عربية لإخراج العراق بالقوة. فلا يمكن غفران استقدام قوى أجنبية تقوم بحجة "تحريـر الكويت" بتدمير العراق كاملاً ثم تستولي على منابع النفط وتمـد اسـرائيل بكـل أسـباب القـوة والتفوق بعد ان قضت على القوة التي تهددها وحتى تقوم اسرائيل بهذه القوة المتعاظمـة بتـدمير بقية الدول العربية ويظل العربي تابعا ذليلاً أو أجيراً تحت أقدام اليهوم والأمريكان.

٤_ ان تاريخ أمريكا وأوروبا حلفاء اليهود الذين جاءوا بهم وزرعوهم جسماً غريباً سرطانياً فـي قلب العالم العربي والإسلامي تاريخ طويل حافل بالأحقاد والأطماع ضد قضايا ومـصالح أمتنـا وهم لن ينقلبوا على أنفسهم وتاريخهم ويتحولوا هكذا فجأة إلى أحباب تهمهم مـصالحنا. ولكنهـا المؤامرة التي دُبّرت لينخدع بها من ينخدع حتّى يدمروا العراق ويـستنزفوا القـوى والثـروات العربية وينهبو النفط والأموال وتظل البلاد العربية سوقاً لبضائعهم، وتظـل إسـرائيل المهيمنـة والمتفوقة والعالم في فصل المشرق العربي عن مغربه والجسم الغريب الذي يحول دون الوحـدة والإستقلال والنهوض الحقيقي.

٥ - ان الأمر عندما يتعلق بالكفر والإيمان فإن القضية تصبح أشد هشاشةً وأضعف من أن تقـف أمام نقد الشعوب العربية والإسلامية عند تحليلها خاصة عندما يتعلق الأمـر بعمليـة " تحريـر الكويت" على يد الأمريكان والصهاينة. فحل النزاع ولخراج الفئة الباغية - ان كان الأمر كـذلك

لا يكون باستقدام الأجنبي (الأمريكان والغرب وفي قواتهم من هم يهود) والتي تم تمريرهـا ثـم تبريرها بإصدار الفتاوي الشرعية المتهافتة حيث كانت الجهات نفسها قد أصدرت فتـاو تحّـرم فيها دول الأجنبي إلى أرض الجزيرة ولو كانت صفته تاجراً أو زائراً أو خادماً وأباحت الفتـاوي الجديدة دخول القوات المسلحة بما فيها من اليهود لتقتل وتُدمّر الشقيق المسلم مما لا يجوز حتّـى لو كان عاصياً باغياً.

ففي فتوى أحد علماء الجزيرة المعروفين والتي نشرت في الرأي يوم ١٩٩٠/٩/١٧ عـن مجلـة الفرقان العدد ٩ تموز ١٩٩٠ ما نصه :" لان هذه الجزيرة العربية لا يجـوز ان يبقـى فيهـا الا الإسلام ولا يجوز ان يستقدم لها الا مسلمون سواء كانوا عمالاً أو خدما وسواء كانوا رجـالاً أو نساء لان النبي (ص) أوصى باخراج المشركين من هذه الجزيـرة" بالمقابـل نـشرت صـحيفة الجيروزالم بوست الإسرائيلية يوم الأحد ١٩٩٠/٩/١٦ تقريـراً عـن اليهـود ضـمن الجـيش الأمريكي وقال (ان تقدير الحاخامين في أمريكا بأن عدد اليهود الذين استدعوا للخدمـة وأرسـلوا إلى السعودية لا يزيد عن مائتي يهودي هو تقدير سخيف "أي أنه أكثر بكثيـر " ويقـول التقريـر (قبل ثلاثة اسابيع انطلق حاخام الجيش الأمريكي بنيامن رومـر بالطـائرة مـن قاعـدة فـورت ستيورات في جورجيا إلى السعودية) و(أنه تم تبليغ حاخـامين اضـافيين وحاخـام بحـري تـابع للأسطول للسفر إلى السعودية)!![123]

فبينما وجود الكفار محرم بجوار الكعبة وقبر الرسول (ص) فإنه جائز للجنود والحاخامات اليهود يقيمون هنالك صلواتهم بكل حرية وأمان بحجة استقدامهم لحماية الأراضي الإسلامية المقدسة!!!

وعند الحديث عن الإعلام العربي المضاد وفي معرض الكلام عن التناقض سـوف نـأتي علـى ذكر الفتاوى الشرعية التي صدرت لتّبرر استقدام الأجنبي كما سنقوم بعرض بعض الحدود علـى تلك الفتاوي.

٦ - ان جماهير العرب والمسلمين ولو ان حركتها كانت تبدو مكبوتة إلا انها كانت تتميّز قهـراً وغيضاً وهي ترى أملاً من آمالها يُدمّر ويساعد في ذلك عرب ومسلمون، ثم وهي تـرى الغُـزاة يمعنون في إذلال العراق واذلال كل مواطن عربي مسلم. وفصلت الجماهير بين قـضية دخـول الكويت وبين قضية جديدة بلورتها مرحلة قدوم القوات الأجنبية تحتل وتُدمّر وتنهب.

وباختصار فقد اعتبرت هذه الجماهير والدول المتعاطفة مع العراق انّه إذا كان دخـول العـراق للكويت مصيبة فإن تدمير العراق من قبل الأجنبي المحتل جريمة اكبـر وهـي بحـق "جريمـة العصر" وقد اعتبرت هذه الجماهير ان الوقوف مع العراق انما كان وقوفاً ضد النظام العالمي

[123] الرأي، عمّان، ١٩٩٠/٩/١٧.

الجديد وهو النظام الغربي الصهيوني الذي تقوده وتقف على رأسه الولايات المتحدة الأمريكية والذي يسعى بمخططاته إلى إبادة الشعوب ونهب ثروات بلادها والحاقها بثقافة الغرب الإستهلاكية التي تجعل منها عبيداً وجواري لسادة القرن العشرين الكبار.

٧ - ان الجماهير والمحللين تبينوا حقيقة أن الإعلام المضاد للعراق وإن وجد أذناً صاغية عند الحديث عن تهافت المبررات العراقية لدخول الكويت فإنه وجد آذاناً صمّاء مغلقة عند الحديث عن مبررات استقدام الأجنبي.

فإذا كانت نقطة الضعف الرئيسة في الإعلام العراقي في تبرير دخول الكويت فإن نقطة الضعف القاتلة في الإعلام المضاد كانت في تبرير استقدام الأجنبي ودفع نفقات احتلاله وتدميره لكامل قوى العراق ثم الإستمرار بدعمه ومطالبته بالإجهاز على كل ما تبقى من نظام العراق وقيادته باستمرار محاصرته وتجويعه ولو أفني جّراء ذلك الشعب العراقي برمته.

٨ - أما حجّة مَنْ الذي استقدم أمريكا وحلفائها ولولا دخول العراق الكويت لما جاءوا فإن التاريخ الإسلامي فيه الرد الفاصل:

يروى في الصحاح ان الرسول (ص) قال عن عمار بن ياسر: ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية وتستمر هذه الرواية مكتومة في صدور الحفاظ من الصحابة الكرام إلى أن جاءت معركة صفين بين علي كرم ا وجهه وأتباعه من جهة ومعاوية وأتباعه من جهة اخرى، حيث شارك عمار بن ياسر في القتال إلى جانب علي بن ابي طالب ونظراً لان الكثيرين من الصحابة كانوا في حيرة من امرهم نتيجة الفتنة الكبيرة، ولم يدروا على أي مرسى يرسون، فقد كان حديث الرسول المتعلق بعمار بن ياسر ملاذهم الوحيد، فتربصوا وترقبوا حتّى يعرفوا من هو الذي سيقتل عماراً بن ياسر بسهام صحب معاوية، فتبين الجميع ان فئة معاوية هي الفئة الباغية، فانضموا إلى صف علي كرما ا وجهه ، لكن دهاء معاوية وقدرته على التلاعب بالألفاظ وتحميلها المعاني التي يريدها، دفعته أن يخرج من ينادي في الناس قائلاً: قتلت عمار الفئة التي اخرجته ولما كانت الفئة التي اخرجته هي فئة علي، ففئة علي إذن هي التي قتلته، وبالتالي فهي الفئة الباغية التي عناها الرسول في حديثه. وهذا يعني انّه كان على عمار وفق منطق معاوية الا يخرج مع علي لمقاتلة البغي فيتسبب في الضرر، وعلي هو الباغي لأنه لو لم يقاتل البغي لما مات مسلمون كثيرون، أي لوان علياً ترك البغي يستفحل حماية لدماء المسلمين الأنية لكان محقاً ولا سترضى عليه القوم ممن سار في فلك معاوية إلا ان ا انطق علياً بالحق بعد ان سمع قول معاوية ليكون

رد علي على مر الأزمان هو الرد القاطع على كل من يحاول ان يـزوّر الحقـائق كمـا فعـل معاوية، فقال علي كرم ا وجهه: إذن رسول ا (ص) هو الذي قتل حمزة"[١٢٤]

٣_ المحور الثالث

وهو يدور حول الأساليب الإعلامية العراقية.

أ - عند استعراض وجهة نظر الدول التي وقفت مع العراق بالنسبة لأساليب الإعـلام العراقـي نجد أنها بنت إجماعاً أو شبه إجماع على أنه كان يتحلى بالمصداقية والثبـات علـى الطروحـات والمبادئ الأساسية بالوحدة والإستقلال والتحرر وتطوير القدرات. ورغم ضـآلة حجـم الأدوات الإعلامية العراقية أمام أدوات الإعلام الغربية التي تعتبر كاسـحة ومـستحوذة، ورغـم تقلـص حجمها كذلك بعد ضرب شبكات الإتصال لديه وخطوط المواصلات وجميع المرافق والمنـشآت بما فيها الصحفية والإعلامية، رغم كل ذلك فقد استطاع عبر ما بقي له مـن وسـائل الأمريكيـة السي أن أن (cnn) أن يّبلغ رسالته الإعلامية إلى مواطنيه وأمته العربية والإسـلامية والعـالم ومن خلال أساليب إعلامية مقبولة. ورغم موقف المؤيدين للعـراق مـن مـضامينه الإعلاميـة وطروحاتهم فإنهم لم يبخلوا عليه بالنقد الموضوعي خاصة فيما يتعلق الأمر بأساليبه التـي هـي امتداد وجزء من الأساليب الإعلامية العربية التي ما زال فيها الخطاب الإعلامي النفسي يـراوح في مكانه ويتعثر احياناً إذا ما شرع في المسير.

فما زال أثر "الكلمة" لدينا في الميزان الإعلامي أكبر من أثـر "الـصورة" ومـا زال الإسـلوب الخطابي المطول يفشل علينا إبلاغ رسالتنا الإعلامية إلى الملتقي من أقصر طريق وفـي أسـرع وقت ومع أقل جهد. ومن الأمثلة على ما نشر حول اساليب الإعلام العراقي من نقد موضـوعي لجهات متعاطفة مع العراق فيما تعرض له في حرب الخليج نورد الإقتباسات التاليـة والتـي لا نظن انها بحاجة إلى التعليق والشرح : -

" ولكن عدم التوازن بين وسائل الإعلام العراقية التي تفتقر إلى كل المقومات والموارد ووسـائل الإعلام الغربية والصهيونية التي تملك كل شئ لا يُفسّر وحده الفشل فقد كانت هناك اخطاء قاتلـة في الخطاب الإعلامي العراقي تستحق التامل.

فقد اعتمد العراق اصدار البيانات العسكرية المرقمة وهو اسلوب عفا عليه الزمن ولا يجدي فـي عصر التلفزيون في حين اعتمد الغرب على جلسات الإيجاز الحية للصحافة والإعلام مـن قبـل ضباط مدربين يتحلون بالخبرة والذكاء واللباقة.

---

[١٢٤] أسامة عكنان. إعصار الخليج. عمّان تشرين١٩٩٠.

واعتمد الخطاب العراقي على التطويل الممل والحشو بدلا من الطرح المباشـر فرسـالة بـوش التلفزيونية إلى الشعب العراق كانت مكثفة في ست دقائق مما سمح باذاعتها في العالم كله عـدة مرات في حين كانت رسالة صدام إلى الشعب الأمريكي في ٧٥ دقيقة مما حـال دون اسـتيعابها وبثها كاملة وترك الأمر للإعلاميين الغربيين لكي يلخصوا الرسالة بمعرفتهم.

وعندما كان العراق يصدر بيانا أو خطابا كانت الصفحات العديـدة الأولـى مليئـة باسـتعراض التاريخ والتطورات التي يعرفها الجميع بحيث يضع الجوهرة في اكوام من القش من حـين كـان خطاب بوش بمناسبة شن الحرب العدوانية مختصرا إذ قـال (بـدأت حـرب تحريـر الكويـت) وبمناسبة انتهاء الحرب قال (هزم العراق تحررت الكويت إنتهت الحرب) في حين ان الخطابـات المقابلة كانت محشوة باستعراض التاريخ واقحام العبارات والشعارات التي يحفظها النـاس عـن ظهر قلب وليس لها علاقة مباشرة بالأوضاع الراهنة الخطاب الإعلامي العربـي كلـه بحاجـة لاعادة نظر فلا مجال للعموميات واللغو ولا بديل عن اقتحام الموضوع بشكل مباشر ومقنـع والا فإننا نخسر اعلاميا ونحن أصحاب الحق"[١٢٥]

* " الإعلام العراقي على المحك.

وللحق فقد كان الإعلام العراقي في مقابل ذلك كله دون المستوى المقبول يلهث وراء الأحـداث وتضعف ادواته فلا تصل العراقيين انفسهم فكيف بالعالم الخارجي الذي سيطرت عليه كليـا آلـة الإعلام الغربي مما افقد المتعاطفين مع الشعب العراقي في العالم المرجعية المطلوبة من إعـلام عراقي مواكب للأحداث قادر على الوصول إلى الناس في أوسع دائرة خارج العـراق. وللحـق كذلك فإن الأيام الأربعة الأولى من اجتياح الكويت شهدت تخبطـا عراقيـا واضـحا فـي ادارة المبررات العراقية للجوء للخيار العسكري.

اذن فقد اضاف إعلام الغرب لسطوة الته وتفوقها التقني قوة جديدة ذات اثر نفسي كبيـر لتبريـر الحشد العسكري ضد العراق ورغم تفوق أي من الدول الكبرى الثلاث أمريكا وبريطانيا وفرنسـا وقدرتها مجتمعة أو حتّى منفردة على اخراج القوة العسكرية العراقية من الكويت وهـو الهـدف المعلن للحشد فان الإعلام الغربي كشف الهدف المعلن أو ما عُـرف بـ (الأجنـدة الـسرية)

---

[١٢٥] الرأي الأردنية. زاوية رؤوس اقلام بعنوان (الخطاب الإعلامي في أزمة وحرب الخليج) مقال. د. فهد الفانك.

للتحالف وهو القضاء على القوة العسكرية للعراق (وتدميرها) كلياً والإطاحة بنظام الحكـم فيـه واقامة نظام جديد يقبل بـ (اصول اللعبة) وشروطها في اطار النظام العالمي الجديد"[١٢٦]

ورغم هذه الإنتقادات فإن الإعلام العراقي حظي من حيث الأسلوب بالإطراء من قبـل الجهـات المتعاطفة معه، فلا ينسى ان يذكر هؤلاء بالدور الذي لعبته خطابات الرئيس العراقي في نفـوس الجماهير العربية والإسلامية، كما لا تنسى التذكير بدور السفراء العراقيين في الخـارج والـدور الإعلامي البارز والمقتدر الذي نجحوا به في ايصال الرسالة الإعلامية المطلوبة وان المـصداقية العالية التي تحلّت بها القيادة العراقية انما تعزّزت وارتفعت في نفوس الجماهير وترسـخت مـع أطلاق وضرب أول صاروخ عراقي على اسرائيل ليصيب هدفـه وذلـك مـع فجـر الجمعـة ١٩٩١/١/١٨، ومعلوم في الإعلام النفسي أن المصداقية الأصيلة انما تنبني وتتكرس مـن خـلال (اقتران القول بالعمل) فهذا المبدأ أخذ موقعه على أرض الواقع بإنفاذ العراق لوعيده في ضـرب اسرائيل في حال تعرض العراق للعدوان كما استطاع العراق واستخدام الأثر النفـسي لعـرض الطيارين الأسرى عبر شبكات التفازيون وشجبهم للعدوان على العراق.

كما نجح العراق في استغلال حقيقة ارقام عدد الأسرى وسقوط الطائرات المعادية إلـى جانـب الدبلوماسية العراقية التي طالبت بأن يعترف الأعداء بعدد الإصابات لتطبيـق اتفاقيـات جنيـف الخاصة بالأسرى.

كما نجح تحويل غرفة العمليات الإعلامية المضادة لصالحه وجعلها تصب مجبـرة فـي النهايـة لمصلحة العراق وذلك بنقل احداث القصف العراقي الصاروخي والآثار النفسية المترتبـة عليـه ولا شك ان استخدام الصواريخ ضد اسرائيل فإنه بالإضافة إلى ما بناه وعـززه مـن مـصداقية الوعود العراقية امام الجماهير العربية الإسلامية، وما كان يهدف منه إلى جرّ اسرائيل وبالتـالي اجبار العرب على اعادة الإصطفاف أمام ضغط جماهيرهم إلى جانب العراق فإنه ورغـم كـل ذلك فقد اثر الضرب الصاروخي على اسرائيل بنواح منها:

١ - ان نجاح ضرب الصواريخ في العمق الإسرائيلي وإصابتها الدقيقة لأهدافها أسـقط نظريـة الأمن الإسرائيلية التي تقول بها كحجة للإحتفاظ بالضفة والجولان.

٢ - التأثير السلبي على معنويات اليهود مما يؤثر على اتجاهاتهم السياسية مستقبلاً بصدد سياسـة التطرف ومما دفع بالمهاجرين اليهود إلى الهجرة المضادة ورفع نسبتها بشكل ملحوظ وقاصّ من اعداد المهاجرين الجدد لإسرائيل

---

[١٢٦] صحيفة اللواء، عمّان، ١٩٩١/٧/٣١. مقال (ونجحت خطة إعلام التحالف) لوزير الإعلام الأردني السابق مروان دودين.

٣ - اهتزاز مكانة الجيش الإسرائيلي داخلياً وخارجياً مع فشل القدرة على إعتـراض الـصواريخ فهو فشل للآلة العسكرية الإسرائيلية برمتها مما أثر على معنوياتهم حيث عـرىّ وهّـز صـورة الجيش الإسرائيلي وأظهر هشاشته من جهة ورفع معنويات العرب من جهة أخرى وأثّـر علـى سمعة الصناعة العسكرية الإسرائيلية وعلى اسواقها وهي أساس مـن اسـس بنيـان الإقتـصاد الإسرائيلي.

٤ - الكشف عن التضارب في الأسلوب الإعلامي بين عرض الوقائع أو حجبها وعن الكذب فـي نجاح "الباتريوت" في اصابة الصواريخ العراقية[١٢٧]

ب - أما إذا استعرضنا وجهة نظر الدول التي وقفت ضد العـراق بالنـسبة لأسـاليب الإعـلام العراقي فإننا نجد إجماعاً تاماً على وصفها باستخدام اساليب (١):_ الزيف والكـذب ممـا أفقـد اعلامه المصداقية، وأنه كان يتصف بالتغيّر والتلوين والتناقض، وأنه عمد إلى اسـتخدام الدعايـة السوداء التي كانت تسعى لجعل الحق باطلا والباطل حقاً خلال اذاعة الزيف والكذب والأضـاليل، وأن الإعلام العراقي ودعايته البعثية السوداء عمدت إلى مخاطبة العواطف والغرائـز كأسـلوب للأستحواذ على مشاعر المتلقين، كما استخدمت اسلوب قذف الإتهامات جزافاً وهو اسـلوب عفـا عليه الزمن وأما الوسائل المستخدمة في بث الدعاوي العراقية فقد كانت _ برأيهم_ متخلفة إلـى أبعد الحدود.

كذلك فقد رأت هذه الدول في اساليب الإعلام العراقي أنها كانت تمثل نمطاً إعلامياً منحرفاً مـن حيث انحطاطه التعبيري الذي يعتمد الكذب البليغ أو بلاغة الكذب لخداع الناس وقيـادة الـشعوب إلى الهاوية على اسلوب جوبلز وزير الدعاية الهتاري في الحرب العالمية الثانيـة. وكـذلك رات في أساليبه الإعلامية لغة غير ناجحة اعلامياً وهي تظهر في الخطابات السياسية حيـث وصـفتها هذه الجهات بأنها لغة الدرواويش وتفسّر ذلك بما تبنته هذه الخطب من "لغة إسلامية بـارزة فـي محاولة لإستمالة الجماهير العربية المتدينة والجماهير الإسلامية بشكل عـام. فهـي لغـة دينيـة مصطنعة في وصف النفس المتدينة والجماهير الإسلامية بشكل عام. فهي لغة دينيـة مـصطنعة في وصف النس أو الأعداء أو إثارة الأمجاد الإسلامية القديمة باسـلوب تخـتلط فيـه الأوهـام بالحقائق أو الأعداء أو إثارة الأمجاد الإسلامية القديمة باسلوب تختلط فيه الأوهام بالحقائق عبـر

[١٢٧] الرأي ٩٢/١/١٦. للمزيد حول فشل صاروخ الباترويت في اعتراض صواريخ سكود التي اطلقها العراق، تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية.

لغة أقرب إلى لغة الدراويش منها إلى لغة الصراع السياسي المعاصر الواضحة القاطعة والحاسمة"[128] مما انعكس حتّى على البيانات السياسية.

وهكذا كما رأينا من خلال استعراضنا للإعلام العراقي في الصفحات الماضية ومحاولتنا الوقوف بموضوعية مطلقة من خلال طرح وجهات نظر الفريقين: الذين وقفوا مع العراق والذين وقفوا ضد العراق في مَحَاوره الإعلامية الرئيسة وهي: مقولاته حول الدوافع الحقيقية للحرب، والمضمون الإعلامي ثم أساليبه الإعلامية. نجد في النهاية أن المتتبع والدارس المنصف سيخرج بنتيجة مؤداها أن الإعلام العراقي في مواطن ضعفه انما كان جزءاً من الإعلام العربي بشكل عام الذي يشكو من ضعف ادواته الإعلامية ومن ضعف الأساليب المستخدمة وأنه في مواطن قوته انما كان ينعكس ذلك من قوّة مواقفه السياسية ودرجة صدقها وانسجامها مع الآمال والطموحات والمصالح القومية العليا ودرجة تناقضها مع مصالح الدول الإستعمارية والصهيونية بما فيها وعلى رأسها أمريكا واسرائيل، مما أكسب اعلامه الضعيف قوة ومصداقية لدى جماهير العربية والإسلامية التي حركّها مبدأ بسيط للغاية عبّر عنه الكاتب طارق مصاروة عندما قال " نحن شرعيون لأننا لم نتكاذب على بعضنا ولم نكذب على أمتنا، لقد طرحنا الحل العربي وما نزال نطرحه، ولقد رفضنا مبدأ "تحري الكويت على يد الأمريكيين والصهاينة وما نزال نرفضه!!"[129]

يقول الشاعر الروسي إيفتيشنكو: (إذا وجدت تسعة وتسعين رجلاً يضربون شخصاً ما فلن أكون أنا الرجل المائة الذي يضربه). وقياساً عليه عندما رأت جماهير الأمة العربية والإسلامية ٢٩ تسع وعشرين دولة تُدمّر العراق رأت أن لا تكون هي الأداة الثلاثين في الإجهاز على العراق وإبادة شعبه!!

- الإعلام العربي:

قراءة متفحصة لما صدر عن الإعلام العربي في أزمة الخليج وحربها الضروس، وقراءة لما كتبناه حول الإعلام العراقي ومواقف الجانبين الذي وقف مع العراق والذي وقف ضد العراق، سوف تفضي بنا إلى تلمس تضاريس الإعلام العربي بشكل عام، وعند الإنتهاء إلى الفصل الأخير الذي نعقده للنتائج والدروس والعبر المستخلصة في هذا المجال سوف يساعدنا ذلك على هذه العملية وتتضح لنا صورة الإعلام العربي كما ظهرت عليها في حرب الخليج. وبحث هذا

---

[128] بتصرف عن الإعلام في زمن الحرب مجلة الحرس الوطني السعودية. عدد شهر مايو/ أيار ١٩٩١.
[129] الرأي الأردنية ١٩٩٢/١/١٧.

الجزء سوف يقودنا مرة أخرى إلى التعرف على إعلام من وقف مع ومن وقف ضـد العـراق لغايات الدرس والفهم بشكل أكبر وعلى نحو أوسع. وعليه سوف نتحدث عـن الإعـلام العربـي بشكل عام، وعن الإعلام المتحالف (من وقف ضد العراق)، وعن إعلام الأردن باعتباره إعلامـاً يمثل الإعتدال والوسطية.

١ - الإعلام العربي بشكل عام.

ان ما يتصف به الإعلام العربي بشكل عام ينعكس بالضرورة على أي إعلام عربي آخر مـع أو ضد العراق في حرب الخليج . وما يدرج أدناه "كمواصفات" عامة لهذا الإعلام لا يعنـي عـدم وجود الإيجابيات ولكن تظل هذه "المواصفات العامة" كمؤشرات ضعف لابد لتطـوير الإعـلام العربي من تجاوزها ومعالجتها.

فالإعلام العربي بشكل عام يتصف بما يلي:

١ - التبعية:

فبسقوط الحواجز أمام تكنولوجيا نقل الكلمة والصورة والـصوت صـارت الـسيادة الإعلاميـة للأقوياء وأضحى الإعلام في العالم العربي لا يملك إلا تأثيراً محـدوداً ضـمن حـدود اقطـاره المجزأةّ ولا يملك من ادوات التأثير خارج اقطاره سوى النذر اليسير، لا بل سـاعد ذلـك علـى غزو العالم العربي في عقر داره بإعلام كاسح ومستحوذ يرتـدي أرديـة المنطقيـة والواقعيـة والجاذبية فعندما يكون مصدر المعلومات والأخبار من وسائل الإعلام الغربية ووكالات إعلامـه فإن مجال الإنتقاء يصبح محدوداً. وكما يقول أحد الكُتّـاب حـول موضـوع التبعيـة: "الواقـع الإعلامي كله أشبه ما يكون ببحيرة ملوثة فإذا كنا عاجزين، ونحن عاجزون بالفعل، عـن الحيـاة خارج مياه هذه البحيرة وإذا كنا عاجزين، ونحن عاجزون بالفعل، عن تنظيف هـذه الميـاه فـإن الأمر الوحيد الذي يتحتم علينا ان نفعله هو تحسين أجهزة تنفسنا. [١٣٠]

وفي حرب الخليج بالذات ظهر التوافق والإنسجام بين الأقوياء الكبار إلى أبعد الحدود، وتم ذلـك بقيادة الولايات المتحدة التي حرصت كدولة قائدة أن تؤمن المظلة الدولية للحـرب مـن خـلال قرارات مجلس الأمن وأن تؤمن المظلة العربية من خلال جامعة الـدول العربيـة وقـد انـضم الإعلام السوفياتي والأوروبي والياباني والعربي المشارك في التحاليف بإسـلوب "اوركـسترالي" إلى الآلة الإعلامية الأمريكية القائدة، ونشط هذا الإعلام بمجموعه في التحضير لتنفيـذ "الأجنـدة

[١٣٠] مجلة الأسبوع العربي، ١٩٩١/١٠/٢٨ .

السرية" وأصبح الإعلام في بلادنا وبلدان العالم الثالث إعلاماً متلقياً لا يملك من المعلومات إلاّ ما طفحت به وسائل الإعلام المتحالفة. فعلى سبيل المثال فإن إعلام الدول العربيـة المتعاطفـة مـع العراق قد نشرت ما روجّت له ادوات الإعلام المتحالف من معلومات عـن القـوة العـسكرية العراقية بما فيها من بيانات احصائية تفصيلية عن صنوف الأسلحة وطريقة بناء خطـوط الـدفاع العراقية وأنواع التجهيزات العسكرية غير التقليدية من أسلحة كيماوية وجرثومية وصواريخ ومـا اليها، وقد جاءت كل تلك التفاصيل لإيهام العالم بأن حشد التحالف ضروري وله مـا يّبـرره لأن القوة المنوي التعامل معها قوة رهيبة وغير عادية ولأنها في التصرف المطلق لفرد واحـد هـو الرئيس العراقي.

٢_ التناقض:

وذلك على مستوى المضامين الإعلامية ومرّد ذلك إلى أسباب كثيرة قد يكون التخلـف العربـي العام واحداً منها، وغياب الإستراتيجية الواحدة وتحديد الثوابت الـسياسية الواحـدة التـي تُحـدد بدورها الصديق من العدو يعتبر أيضاً واحداً من هذه الأسباب. والأنظمة الـسياسية تـساعد فـي ذلك عندما يكون هدف إعلام نظام معين هو رضا ذلك النظام وتلميع صورته وتبريـر قـصوره وخطاياه ويكون لذلك الهدف الأولوية على الحقائق وعلى أهداف الأمة نفـسها. لهـذه الأسـباب وغيرها تقع صحافتها وإعلامنا العربي في مطّبات التناقض لأن المواقف سريعاً ما تتغير والعـدو سريعاً ما يصبح صديقاً والصديق سريعاً ما ينقلب إلى عدو، والإعلام يلهث وراء ذلك لأنه غالبـاً ما يكون اعلاماً حكومياً ويفتقر إلى الحرية الحقيقية وإلى ممارسة دوره في تكوين الرأي الحـرر الحقيقي وتشكيله، وفي نقل الحدث بموضوعية وبتقديم التحليل العلمي المنطقـي الـسليم بغـض النظر عَمّن يرضى عنه أو يغضب عليه، ويساعد على ذلك كله إنحسار أجواء الديمقراطيـة فـي التعبير. وعليه فإن ضعف المواقف السياسية يؤدي إلى ضعف المواقـف الإعلاميـة فـالإعلام العربي هو انعكاسٌ للأوضاع العربية المتردية وحالة التخلف والتفرق، وبالإضـافة إلـى غيـاب المخططات الإستراتيجية العامة وتحديد الأعداء والأصدقاء _ رغم حركة المصالح_ يؤدي كـل ذلك إلى غياب الخطاب الإعلامي الثابت الرصين ويفضي بالتـالي الـي الإرتجاليـة والتجريـب ويوقع بالتناقض.

٣ - غياب عناصر بناء المصداقية: السرعة، الصدق، الشمولية.

وغياب المصداقية يجعل المواطن العربي يقف أمام إعلامه الوطني موقف المتشكك من حيث أنه تنقصه الحقيقة، مما يلجأ إلى البحث عن الحقيقة في مصادر الإعلام الأجنبية فيقـع فـي الـشرك ويصبح ضحيةً لعمليات غسل الدماغ وآثار الدعايات السوداء والإحباط وغيرها. وهنالـك لعديـد

من الدراسات التي تؤكد على نتائج الإستفتاء التي أجريت على مواطنين عرباً في أقطار مختلفـة وأوقات مختلفة وينتمون إلى ثقافات وأعمار وأجناس مختلفة كذلك وكلها تؤكد علـى أن غالبيـة عيناتّ تلك الإستفاءات تثق في مصادر الإعلام الأجنبية وتلجأ اليهـا لمعرفـة الحقيقـة الفوريـة والشاملة الكاملة، وأن الغالبية منهما لا تجد في مصادر اعلامها الوطني ما يشفُي غليلهـا لبلـوغ ومعرفة الحقيقة. ولا شك ان ما يساعد على ذلك هو عدم اسـتغلال عناصـر بنـاء المـصداقية مثل:_

أ - السرعة، أو "الفورية" حيث يعمد المواطن العربي إلى معرفة ما يحدث من إذاعـات أجنبيـة كإذاعة لندن ومونت كارلو، وحتى الإذاعات العدوة كإذاعة اسرائيل بحجة انهـا تـذيع الأخبـار "فوراً"

ب _ الصدق: أو الايهام بالصدق وإظهار ما يقدّم من أخبار أو تحليلات حولها بمظهر الـصدق ولتحقيق ذلك ثمة أساليب كثيرة معروفة. منها تقديم مجموعة أخبار صحيحة حتّى لو كانـت فـي غير صالح الجهة المرسلة وعلى إثرها مباشرة يتم نقل الأخبار أو المعلومات المطلوب إيـصالها إلى المستمعين لإيهامهم بصدقها وصحتها. أو أن يتم إيراد الأخبار أو المعلومـات مـن خـلال شخصية تحظى بالثقة لدى الملتقي، وغيرها من الأساليب.

ح - الشمولية: أو نشر كل شئ عن الحدث وهو ما يُعرف بقاعدة (التدفق الطبيعـي للمعلومـات) فالإعلام العربي يحاول باستمرار ان يُحدّد سير المعلومات وشكل تداولها حسب سياسـة النظـام ومصالحه مما يدفع بالمواطنين إلى محاولة تلقي هذه المعلومات والأخبار من المصادر الأجنبيـة التي تبثها فوراً وبشكل كامل ويحدث هذا أيضاً بسبب ما يعرف بنظرية (حـارس البوابـة) وهـو المصطلح الإعلامي الذي يشير إلى من يقف ما بين المرسل والمتلقي في عملية الإتصال والـذي يتم وبناءً على قراره تمرير الرسالة الإعلامية أو ايقافها أو تشذيبها وإنقاصها ففي الدول العربيـة هنالك مغالاة ومبالغة في استخدام هذا الدور وهنالك وفرة في عدد حُرّاس البوابة ممـا يعطـل أو يؤخر بلوغ الرسالة كاملة وشاملة كما هي بالأصل لأنها تمر بمراحل مـن التـشذيب والتعـديل لتتوافق مع مصلحة النظام.

٤ - الضعف:

وهو نوعين، ضعف الأدوات وضعف الأساليز

أ - ضعف الوسائل والأدوات: فقد كشفت حرب الخليج عن مدى سطوة الإعلام الغربي وأقرت بعض الحقائق منها ان حرب الخليج كانت أول حرب متلفزة في التاريخ، وإن من يمتلك الإعـلام بوسائله وأدواته يمتلك الحقيقة لأنه سيفرض الحقيقة التي يريـدها علـى أرض الواقـع وسـوف

يصدقه أو يجبر على تصديقه الجميع عندما لا يستطيع عجز الآخرين في إعلامهم الضعيف عـن دحض أكاذيبه وإقرار أو فرض حقائقه هو. كما كشفت حرب الخليج عـن أمـر آخـر هـو أن الإعلام العصري بكل ما تجمّع لديه من وسائل الإنتشار السريع كالأقمار الـصناعية والهوائيـات المحمولة المتنقلة "صار أخطر من أحدث أسلحة القتال بما فيها أسلحة الدمار الـشامل حتّـى أن الحملة الإعلامية الدولية الغربية استطاعت في بضعة أشهر أن تخلـق " نفـسية الحـرب" حتّـى استصدرت من مجلس الأمن قرار شن الحرب وحتى اكتسحت أو ركبت جميع وسـائل الإعـلام في الدول الكبيرة والصغيرة، الغنية والفقيرة، حتّى لم يعد هنالك "رأي آخر". [١٣١]

وقد ظهر ضعف الإعلام العربي انعكاساً لضعف الأنظمة وضعف السياسات والمواقف وضعف القدرة على التنسيق فلا يوجد هنالك وكالة أنباء صحفية عربية مـستقلة موحـدّة، تعتمـد أحـدث وسائل الإتصال العصري كالأقمار الصناعية مثلاً. كما لا يوجد شبكات تلفزيون عربيـة عالميـة مثلاً (على نسق "**c.n.n**") قادرة على إيصال برامجها إلـى العـالم. ولا يوجـد حتّـى مركـز معلومات اومركز دراسات وابحاث استراتيجي موّحد قادر على رفد المراكز الإعلامية فوراً بكل ما تحتاجه لعملها.

ب - ضعف الإسلوب: من صفات الإعلام العربي ضعف الأسلوب، فالأسلوب الإعلامي ينطوي على مجموعه من العيوب منها:

(١) الخطاب العاطفي اللاعقلاني. فهو خطاب يعتمد على العاطفة الجامحة وينزلق فـي مزالـق اللاعقلانية. والعاطفة جانب واحد يجب عدم اغفال جوانباخرى معه لتمرير الرسـالة الإعلاميـة والإقتناع بها عندما تكون الأخبار ذات هدف في تكوين الرأي وبناء الإتجاهات

(٢) ويتبع هذا ما ينجرّ إليه الإعلام عندما يعتمد الخطاب العاطفي من اسـلوب خطـابي ونبـرة حماسية، تجر بدورها إلى منزلق آخر هو المبالغة والتهويل والتـضليل. ولا شـك أن الخطـاب الإعلامي عندما يكون عاطفياً لا عقلانياً،وعندما يكون خطابياً حماسياً يتـسم بالمبالغـة والتهويـل فإنه مرة أخرى سوف ينزلق إلى منزلقات التبجح والإدعاء والكذب لتتكامل عندها فيـه عيـوب الإعلام الذي يصبح أبعد ما يكون عن الإقناع والتقبّل.

(٣) اعتماد فرضية التسليم مقابل الحوار. فاسلوب الإعلام العربي في طرح قـضاياه وأخبـاره يعتمد على فرضية تسليم المتلقي لها وتقبلها هكذا دون مناقشة ولا تفكير، بينمـا الطـرح الـسليم يعتمد اسلوب إجراء الحوار الديمقراطي العلمي والموضوعي بـين المرسـل والمتلقـي دون أن

---

[١٣١] مجلة الدفاع العربي. عدد شهر يونيو حزيران ١٩٩١ .

يفرض عليه شيئاً مما يدفعه إلى تقبله والإقتناع به عن طواعية حيث يحترم فيـه فكـره وعلمـه ومعرفته.

(٤) اعتماد الكلمة مقابل الصورة. فقد أثبتت حرب الخليج أن الصورة كان لها الأثر الأكبر فـي تشكيل الرأي العام والإتجاهات. وقد كان التنافس المحسوم منذ البدايـة بـين الإعـلام العربـي والإعلام الغربي ليس فقط في سطوة الإعلام وإمتلاكه للوسائل والأدوات المتطورة فحسب وانمـا ظهر هذا التنافس بين الاسلوب التقليدي في اعتماد الكلمة لنقل الرسالة الإعلامية مقابل الأسـلوب الحديث في اعتماده الصورة والصورة المتحركة بشكل خاص. وكما ذكرنا آنفاً فقد كانت حـرب الخليج أول حرب متلفزة على مدى الأربع والعشرين ساعة يومياً تعتمـد الـصورة المتحركـة الناطقة دون الكلمة المسموعة أو المكتوبة لوحدها.

(٥) اعتماد الجاذبية والبساطة والوضوح في الأسلوب كعناصـر تـساعد فـي تقبـل الرسـالة الإعلامية وفي عملية الجذب والاستحواذ، هذا الإعتماد كان في الإعلام العربي ضعيفاً وقاصـراً أحياناً.

(٦) ضعف الكفاءات وتدنيها وعدم الإختصاص بالنسبة للعاملين في الحقل الإعلامي.

(٧) تعميم أساليب نفسية تدفع إلى تبني أنماط سلوك خاطئة مثـل اسـلوب التبريـر واسـلوب التحويل. فيعمد الإعلام العربي عادة وبسرعة إلى تلقف مـا يـساعده علـى تبريـر "الهزيمـة العسكرية" مثلاً بعدم وجود (الغطاء الجوي): اين ذهبتم بـالطيران (مـصر ١٩٦٧)، أو تبريـر نواحي الضعف وعدم التطور بسبب (مؤامرات وتخطيط الغـرب.) وكـذلك اسـتخدام التحويـل فالتخلف الإقتصادي سببه (الإستعمار) مثلاً وهذا بدوره سيعمل علـى تحويـل نقمـة الجمـاهير الحقيقية عن المسبب الحقيقي (قصور المسؤولين) وتعليق أخطائهم على شـمّاعات" الآخـرين. أو العكس بخلق المبررات لتحويل نقمة الجماهير عن العدو الحقيقـي (أمريكـا والـصهاينة) مـثلاً وتحميلها على عاتق القادة المخلصين الشرفاء.

٢ - الإعلام العربي المتحالف أو المضاد (مَنْ وقف ضد العراق)

رأى المحللون والدارسون في الإعلام العربي الذي وقف ضد العراق وتحالف مع الغـرب أنـه إعلام بصفات رئيسية ثلاث: التبعية، والتناقض، والكذب.

أ - التبعية: فهو عبارة عن صورة أو مرآة للأعلام الغربي تعكسه وتصب فـي قناتـه وتتفعـل بطروحاته تحقيقاً للأهداف المشتركة في اخراج العراق من الكويت ثم الإنجـرار وراء الغـرب بحجة استمرار وبقاء النظام والرئيس العراقي وذلك لتدمير العراق بالكامل.

وكما سبق وذكرنا فإن التبعية بالأصل في الإعلام العربي عامةً هي تبعية شاملة وذلك بسبب مـن عجز وضعف الأدوات والهيئات والمؤسسات. ومن هنا كانت تبعية الإعلام العربي المتحالف مع الغرب اولاً ثم جاءت تبعيته للإعلام الغربي خاصة في حرب الخليج بـسبب ارتبـاط المـصالح والمصير.

فالإعلام العربي المتحالف مع الغرب جعل دوره في حرب الخليج بشكل خـاص يقتـصر علـى ترديد خطاب الإعلام الغربي وتسويق مقولاته وتحليلاته في الشارع العربي، أي أنه خـرج مـن العام - وهو نقل الخبر مجرداً - إلى الخاص - وهو نقل التحاليل الغربية - فهو إعلام ناقل لمـا تصنع الة الإعلام الغربية من الأخبار وإعلام مضخم حيث يقوم بالنفخ في تلـك الأخبـار حتّـى تظهر بصورة أكبر من حجمها الحقيقي.

والسؤال: إذا كان إعلام الغرب يصنع الحدث لخدمته فما هي مصلحة اعلامنا العربي المتحـالف من إبرازه وتكبيره؟ ذلك ان التوقف عند نقل الخبر ووصف حدث والإستفادة من وسائل الإعـلام الغربي التقنية وخبراته الإعلامية لا يعتبر تبعية، ولكنه يعتبر كذلك عند الإنسياق لمـا هـو أبعـد بحيث يشارك الإعلام الغربي في تسويق رؤيته الخاصة من مواطنينا أو أن يساعده فـي التفكيـر نيابة عنا ويقدم آلة الحوافز التي تلهمه القدرة على مواصلة تفريغ وجداننا من المحتـوى العربـي والإسلامي كما فعل في حرب الخليج عندما أخذ يجتر ما في جوف الإعلام الغربي مـن خبـث وضغينة على الأمة العربية والإسلامية فالإعلام العربي المتحالف كان بعيداً عن الموضوعية في تعامله مع الحث حيث كان يصوغ متابعاته وتحليلاته وفق رؤية خاصـة ضـيقة علـى حـساب الحقيقة وغالباً ما تكون انعكاساً للرؤية الغربية وكان يبتعد عـن الإلتـزام حتّـى بالحـد الأدنـى المطلوب لممارسة دوره كإعلام عربي ملتزم بقضايا الأمة.

ب - التناقض:

١ - ظهر التناقض في الإعلام العربي المتحالف بشكل صارخ في مجموعـة مـن المـضامين الإعلامية فعلى سبيل المثال لا الحصر فإن إيران كانت تحارب العراق تحـت شـعار محاربـة الشيطان الأكبر (أي أمريكا كما سمّاها الخميني) وحليفه العراق ولكن هذا تَنَاقَضَ بشكل صـارخ عند انحياز إيران إلى جانب الشيطان نفسه عندما احتجزت الطائرات العراقيـة وعنـدما سـرّبت مثيري الفتنة في الجنوب ولم يلزمها ذلك الشعار حتّى بالوقوف على الحياد، فقد "كانت إيران قـد تعاطفت ضمنياً مع تدخل الغرب في حرب لخليج، ووجود القوات الأمريكية في المنطقـة" علـى

حد تعبير رويتر من مراسلها في دبي.[132] وحول التقارب الإيراني الأمريكي وعن رويتـر قـال مسؤولون خليجيون انّه "ينبغي النظر بعين الإعتبار إلى تصرفات إيران بما فـي ذلـك جهودهـا لإنهاء أزمة الرهائن في لبنان. وليس إلى شعاراتها المتخلفة عن سنوات حكم الخميني"[133]

وعلى سبيل المثال أيضاً فإن إحدى دول التحالف العربية التـي كانـت ترفـع شـعار محاربـة الإمبريالية والصهيونية لمدة طويلة جداً فإنها في حرب الخليج وقفت في الخندق نفسه معها جنبـاً إلى جنب لمحاربة العراق. أما شعار الإسلام الذي رفعته دول التحالف في الجزيرة والخليج فـلا شك أنه يتناقض مع جواز الإستعانة بالأجنبي على دولة مسلمة شقيقة ولـو جـارت وبغـت لأن الشعار نفسه يلزم باستفراغ الوسع والطاقة فيا لصلح فإذا لم تفئ هذه الفئة إلى الـصلح تُحـارب، ولكن في القوات العربية العديدة الكثيرة ما يغني عن استقدام الأجنبي المتحالف اسـتراتيجياً مـع العدو الإسرائيلي والذي يعمل بين صفوفه يهود.، ثم إذا ماتم إرجاع الفئة الباغية عن غيهـا فـإن ا يأمر بالعدل والقسط وليس من العدل استمرار استعداء الكافر على الشقيق الذي ضربت قواته وحرقت أرضه وجُوّع شعبه البرئ. وأخيراً فإن احدى دول التحالف العربية الأخرى والتي ترفـع شعارات الأخوة العربية والتضامن العربي وغيرها مما سهّل لها العودة إلى الحـضيرة العربيـة والفوز بعضوية مجلس التعاون العربي فإن سعيها في تدويل الأزمة وفتح الباب للتدخل الأجنبـي يتناقض مع تلك الشعارات.

٢ - ظهر التناقض كذلك في بعض المرتكزات أو المقولات التي اعتمد عليها الإعـلام العربـي المتحالف كمقولة الشرعية الدولية. فقد كان المبرر لتسهيل ثم تحويل الوقوف مع قوات التحـالف الغربية بمحاربة العراق هو الوقوف مع الشرعية الدولية في رفض الإحتلال العسكري من قبـل بلد لبلد آخر والعمل على تحرير ذلك البلد المحتل بالقوة. والـشرعية الدوليـة ممثلـة بقـرارات مجلس الأمن هي التي أبرزت استخدام القوة لتحقيق ذلك وهي التـي حـددت اهـداف التحـالف الدولي الثلاثة: " الإنسحاب غير المشروط، وعودة الشرعية، ثم اقرار الـسلام والإسـتقرار فـي المنطقة " والهدف الثالث مفتوح على كافة التفاسير ويسمح بعمل أي شئ لتحقيق أي شـئ تحـت مظلة إقرار السلام!!

وهذه الشرعية الدولية تتناقض مع استمرار الدول العربية في التحالف في القول والعمـل علـى تصفية النظام العراقي وإقصاء الرئيس صدام، كما تتناقض هذه الشرعية المـدعاة مـع رفـض الإحتلال العسكري ومع الوقوف في وجه العدوان وانتهاك حرية الـشعوب ومـع مبـدأ نـشدان

[132] الرأي، عمّان ١٩٩١/١٢/٢.

[133] الرأي، عمّان، عن رويتر "دُبي"، ١٩٩١/١٢/٢.

السلام لأن الهدف كان اخراج العراق من الكويت وقد تم ذلك وما عداه فهو تهديد لسيادة الشعب العراقي وتدخل في شؤون البلاد الداخلية واستخدام للقوة في الإطاحة بنظام حكم شرعي. ومن أجل هذا الهدف الذي يتناقض مع "الشرعية الدولية" فإن الدعاية الدولية والدعاية العربية المتحالفة تستخدم الإعلام في التحريض على الحرب وإثارة التعصب العنصري والديني ونشر الشائعات وتحريف وتزييف المعلومات وخلق المبررات لاستخدام العنف ضد شرعية العراق وسياسته.

٣ - الشرعية الإسلامية. وهذه الشرعية التي اعتمدت واستصدرت الفتاوى لها من أجل إدانة "العدوان الإجرامي على الشعب العربي المسلم في الكويت" ولإدانة تهديده للملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، وانطلاقا من ذلك تمرير استقدام الأجنبي بحجة التحرير والدفاع "تحرير الكويت" والدفاع عن السعودية والخليج. ففي بيان هيئة العلماء في إحدى دول الجزيرة: "لذا فإن مجلس هيئة كبار العلماء يؤيد ما اتخذه ولي الأمر وفقه ا من استقدام قوات مؤهلة بأجهزة قادرة على إخافة وإرهاب من اراد العدوان على هذه البلاد وهو أمر واجب عليه تمليه الضرورة في الظروف الحاضرة ويحتمه الواقع المؤلم وقواعد الشرعية وأدلتها توجب على ولي أمر المسلمين ان يستعين بمن تتوفر فيه القدرة وحصول المقصود."[١٣٤]

وأما رئيس عام ادارات البحوث والإفتاء فيقول :" وأما ما حصل من الحكومة لاسباب هذه الحوادث المترتبة على الظلم الصادر من رئيس دولة العراق لدولة الكويت من استعانتها بجملة من الجيوش التي حصلت من أناس متعددة من المسلمين وغيرهم لصد العدوان والدفاع عن البلاد، فذلك أمر جائز بل تحكمه الضرورة... فلذلك دعت الضرورة إلى الأخذ بالإحتياط والإستعانة بالجيوش المتعددة الأجناس حماية للبلاد وأهلها وحرصاً للأمن وحرصاً على سلامة البلاد وأهلها من كل شر"[١٣٥]

وكما سبق وذكرنا في معرض الحديث عن الإعلام العراقي في المحور الثاني وفي مجال ايراد وجهة نظر الدول التي وقفت مع العراق من مآخذ الدول العربية المتحالفة على المضمون الإعلامي العراقي، حيث ذكرنا كيف ان الفتاوي السابقة على حرب الخليج كانت تُحرّم دخول الأجنبي الكافر لأرض الجزيرة سواء كانوا عُمالاً أو خدماً وسواء كانوا رجالاً أو نساءً فكيف إذا

[١٣٤] جريمة العصر. كتاب صدر عن مجلة الحرس الوطني. الرياض أغسطس ١٩٩٠ . صفحة ٣١.

[١٣٥] المرجع السابق نفسه. الصفحات ٣٦،٣٧.

كانت "جيوشاً" تقتل العباد وتحتل البلاد. وقد سجلنا هنالك نـص فتـوى أحـد علمـاء الجزيـرة المعروفين[١٣٦]

ويحسن بنا هنا أن نورد بعض الردود على هذه الفتاوي التي خلت من الإستدلال بـالقرآن الكـريم أو الحديث الشريف والتي جاءت متأخرة عن استقدام تلك القوات فقد صدرت بعد ان كـان امـر طلب القوات قد حصل أصلاً من هذه الردود ما جاء تحت عنوان " هذا بيان للناس: نظرة علميـة سلفية في الأزمة الخليجية.":_

"ومن المسائل التي تمت لهذا الموضوع بصلة مسألة المستنصر بالكافر على المسلمين فإنه ينظـر فيه، فإن كان قد استحل فعله هذا في نفسه استحلالاً شرعياً وأجازه لسفك دماء المسلمين وإذلالهـم وسلب اموالهم، فهو بهذا كافر، لانه مستحل امراً محرماً. وإن كان قد استنصر بكافر على مـسلم غير مستحل ذلك شرعاً في نفسه على نحو ما سبق بيانه في الحالة الأولى فـإن كـان استنـصاره هذه دفعاً لعدوان ظنه واقعاً به، غير مريد بن قتال المسلمين ابتداء ولا سفك دمائهم ومن خـوف على ماله ونفسه ولم يجد من المسلمين من يحميه من هذا العدوان فهو لا يؤثم بذلك سـواء أكـان قتال أم لم يكن أما إن كان استنصاره بالكافر على غير الحالتين السابقتين، أي غير مـستحل لـه، ولم يكن لدفع عدوان مظنون، فهو بذلك مرتكب كبيرة من الكبائر، تجب به عليه التوبة النـصوح، ولا تتحقق التوبة النصوح إلا بشروطها. وحسن جداً أن إصلاح بـين العـراق وبـين الكويـت، امتثالاً لقوله سبحانه: { وإنْ طائفتان منَ المؤمنين أقْتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بَغَتْ إحداهما علـى الأخرى فقاتلوا التّي تبْغي حَتّى تَفئ إلى أمْر ا فإن فاءت فأصلحُوا بينهما بالعـدل وأقْـسطوا إن ا يّحبّ المُقسطين}.

لكن لا يجوز الصلح بالتجاوز عن معنى هذه الآية كما يدل بظاهرها عليه فالمخاطبون فيهـا هـم المؤمنون فلا يجوز أن يستعان على الفئة التي تبغي من أهل الإسلام بفئة أو بجماعة كافرة مهمـا طال الأمد، فقتال الفئة الباغية انما هو للإصلاح الذي يدخل في باب الأمر بـالمعروف والنهـي عن المنكر، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آداب وأحكام يجب التقيـد بهـا، ومـن هـذه الأحكام أنه إذا نشأت من الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر مفسدة أعظم من المصلحة التـي يحرص عليها، فحينئذ يتحتم العدول عنه، كي لا تقع المفسدة الأعظم."[١٣٧]

---

[١٣٦] الرأي. عمّان، ١٩٩٠/٩/١٧.

[١٣٧] اللواء. عمّان. تاريخ ١٩٩٠/٩/١٩.

والمقال التالي يبيّن بشكل واضح مدى الصحة في الأدلة التي اعتمدت لإصدار الفتوى في مـسألة الإستعانة بالكافرين لمقاتلة المسلمين. وهو بعنوان: " الإستعانة بالكفار لقتال المـسلمين!!" لمـدير شؤون المسجد الأقصى السيد/ رفيق الخطيب.[138]

"ومما لا شك فيه ان حكم الإسلام الحنيف في هذه المسألة واضح وضوح الـشمس فـي رابعـة النهار وان هذا الحكم ليس بحاجة إلى كبير عناء أو مشقة لاستنباطه مـن الأدلـة القطعيـة فـي الكتاب الكريم أو فيما ورد في سيرة المصطفى (ص) فمن ينظر في كتـاب ا وفـي احاديـث الرسول عليه السلام ومن يتتبع مواقفه (ص) في سيرته العطرة يعلم علم اليقين ان حكـم مـوالاة الكافرين والإستعانة بهم واستنصارهم لمحاربة المسلمين اوالمشركين والكـافرين محـرم وذلـك بموجب العديد من الآيات في كتاب ا تعالى التي تعتبر في هذا المجال قطعية الثبـوت وقطعيـة الدلالة على حكمها فلا مجال للإجتهاد فيها لان جمهرة فقهاء الأمة قد اجمعوا على انّه لا اجتهاد في مورد النص.

والنصوص التي تحرم موالاة الكفار أو طاعتهم أو الإستعانة بهم لمحاربة الأعداء أو البغاة كثيرة وكلها يبين منطوقها ومفهومها الحرمة حتّى ولو كان من اشد الناس قرابة للأفراد أو الجماعـات فمن اراد التاكد فلينظر في الآيات التالية:

٢٨ آل عمران٧٦/ النساء ٨٩/ النساء ١٣٩/ النـساء ٥١/ المائـدة ٧٥/ المائـدة ٨١/ المائـدة٣/ الأعراف ٣٠/ الأعراف ٧٣/ الأنفال ٢٣/ التوبة ٧١/ التوبـة ٤١/ العنكبـوت، ٩١ الجاثيـة ١/ الممتحنة. وغيرها من الآيات الكريمة في كتاب ا الكـريم.. ففـي الآيـة ٧٣/ الأنفـال يقـول القرطبي في تفسيره: الكفار بعضهم اولياء بعض يتناصرون بدينهم ويتعـاملون باعتقـادهم قـال علماؤنا في الكافرة يكون لها الاخ المسلم لا يزوجها إذ لا ولاية بينهما ويزوجهـا اهـل ملتهـا ارايت اخي القارئ

وفي قوله تعالى: "يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء أن اسـتحبوا الكفـر علـى الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.".

وقد كان الصحابة رضي ا عنهم على علم بهذا الحكم كيف لا وهم مع الرسول عليـه الـسلام صباح مساء ويشهدون نزول الوحي.. فقد طلب العديدون منهم قتل حاطب بن ابي بلتعة رضـي ا عنه عندما اخطأ وبعث بكتاب إلى قريش يفضح فيه مسير النبي عليه السلام إلى مكة لفتحهـا، فعاتبه عليه السلام واجاب صحابته بما معناه ارتكوه انّه من اهل بدر ولعل ا قد اطلع على اهـل بدر وقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ونزل قوله تعالى:

[138] الرأي. عمّان.غ.م.ت.

" يا ايها الذين آمنوا، لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة، وقد كفروا بما جـاءكم من الحق.." الآيات

وقد رفض الرسول (ص) كما ورد في الصحيح ان يستعين بفارس مغوار من المشركين مـشهور له بالشجاعة والإقدام ضد المشركين من اعدائه وهو في غزوة من غزواته وقال لـه: لا اسـتعين بمشرك على كافر، أو كما قال عليه السلام.

وحرمة موالاة المؤمنين للكافرين والمشركين وحرمة الإستعانة بهم وحرمة طلب النصرة مـنهم معلوم من الدين بالضرورة وهو بدهي من بدهيات هذا الدين الحنيف لا يختلـف عليهـا اثنـان.. وهؤلاء الذين قالوا بالإباحة علموا تلامذتهم عكس الذي قالوا، وافتوا بغير ذلك قبل حـدوث هـذه الأزمة فهم بفتاواهم لسلاطينهم لم يخطئواب فحسب بل افتروا علـى ا الكـذب لمـا وصـفت السنتهم فاباحوا ما حرم ا عز وجل بلا دليل وسقطوا في الإختبار والإمتحان ولم يصبروا علـى البلاء الذي وقعوا فيه. ولو اننا استعرضنا ما اعتمدوا عليه من ادلة إلى ما ذهبوا إليه لوجـدنا ان معظمها في غير موضع النزاع مثل استعانة الرسول عليه السلام اثناء هجرته بمشرك ليدله علـى طريق المدينة ونسوا ان الإستعانة بالخبرات الفنية والإدارية يختلف عـن الإستنـصار بالكـافرين لقتال الأعداء.. وقد راى جمهور العلماء وأئمة الأمة حرمة الإستعانة بالمشركين لقتال مـشركين اخرين أو كافرين... فمن باب اولى تكون الإستعانة بالمشركين لقتال المـسلمين محرمـة وادلـة الذين قالوا بجواز الإستعانة التي ساقوها اما كذلك واما انها لا ترقى إلى المطلوب. ومـن ناحيـة أخرى فقد حاول الكثيرون منهم ان يطوعوا الايات والأحاديث والمواقف إلى رايهـم مـن غيـر دليل اوا ن يحملوا الأدلة ما لا تحتمل، وكل هذا في رأي الفقهاء يعتبر من أعظم المحرمات وانه لا يليق بطالب العلم ان يفعل ذلك على الإطلاق. انهم يعلمون ان ا تعالى قد حذر العلماء مـن مغبة الإفتراء والضلال وبخاصة في قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانـسلخ منهـا فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هـواه فمثلـه كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كـذبوا بآياتنـا فاقـصص القصص لعلهم يتفكرون " الآيات ١٧٥/١٧٦/الأعراف".

وباختصار فإن الشرعية الإسلامية كعنصر أمان لقرار الإستعانة بالقوات الأجنبية لمقاتلة العـراق أو "تحرير الكويت" أو الدفاع عن الجزيرة لم تُجْدِ حين كان يُنظر مـن قبـل الجمـاهير العربيـة والإسلامية "إلى هذه القوات على أنها قوات محتلة للمقدسات الإسلامية، وهو مـا يمثـل تحـدياً لأعمق المشاعر الإسلامية"[١٣٩]

[١٣٩] حقائق الصراع الاستراتيجي في الخليج علي محمد المراشدة. مخطوطة، عمّان ١٩٩٢.

٤ - ظهر التناقض كذلك عندما طرح الإعلام العربي المتحالف قضية جواز الإستعانة بأمريكا ذلك أن أمريكا كما هو معلوم متحالفة مع إسرائيل والعلاقة الراسخة بينهما علاقة عضوية فنسيج البلدين متشابك وشرايين الدم واحدة وبينهما تحالف استراتيجي موّقع من كليهما. يقول الكاتب المصري خالد محمد خالد في معرض دفاعه عن الموقف العربي المتحالف في الإستعانة بأمريكا: " ولوأن الولايات المتحدة هي التي جاءت وحدها لتنقذ الكويت وشعبها ولترد عن السعودية قوى الظلام، لكان الصراخ الصارخين الذين حلت عليهم فجأة الغيرة على المقدسات أثارة من عُذر، نظراً لمواقف أمريكا مع اسرائيل"[١٤٠] فالكاتب يُقّر سلفا موقع التناقض في الإستنجاد بحليف اسرائيل ليدفع عنه تهديداً من دولة شقيقة.

٥ - ظهر التناقض مرة أخرى عندما طرح الإعلام العربي المتحالف مسألة الحرب العراقية - الإيرانية وذلك عندما ذهب العراق صبيحة دخوله الكويت ليمد يد "الأخوة" للإيرانيين "الأعداء" بعد أنْ دُمّر البلدين وأُهدرت طاقاتها وبعد أن أُنفقت المليارات في حرب عدوانية لا جدوى من ورائها يقع هذا الإعلام بالتناقض عندما يعترف بأنه كان شريكاً في الحرب عندما قام بتمويلها، فهذا الكتاب خالد محمد خالد يقول في معرض الإمتنان على العراق: "أليست الكويت والسعودية ودولة الإمارات العربية هي التي أمدتّ الرئي العراقي بالميارات من الأموال في حربه مع إيران؟! فلماذا انقلب عليها وأنشب أنيابه فيها؟؟"[١٤١]

ج - الكذب والتشويه:

اتصف إعلام الدول المتحالفة بهذه الصفة وقد ظهر ذلك أبرز ما ظهر في مسائل مختلفة منها على سبيل المثال:

١ - مسألة تواجد القوات الأجنبية المؤقت وذلك لغايات الدفاع المحض والتدريب المشترك ثم مغادرة تلك القوات فور ما ترغب في ذلك الجهة التي استقدمتها فقد جاء في تصريح رسمي عربي متحالف: "اعربت المملكة عن رغبتها في اشتراك قوات عربية شقيقة وأخرى صديقة حيث بادرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كما بادرت الحكومة البريطاني ودول أخرى بحكم علاقات الصداقة التي تربط المملكة وهذه الدول - إلى إرسال قوات جوية وبرية لمساندة القوات المسلحة في اداء واجبها الدفاعي عن الوطن والمواطنين ضد أي اعتداء، مع التأكيد التام على أن هذا الإجراء ليس موجهاً ضد أحد انما هو لأغراض دفاعية محضة تفرضها الظروف

[١٤٠] جريمة العصر. المرجع السابق نفسه. ص.١١٩.

[١٤١] المرجع السابق نفسه. ص.١٢٠.

الراهنة التي تواجهها المملكة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن القوات التي ستشارك فـي التـدريبات المشتركة بينها وبين القوات المسلحة سيكون تواجدها مؤقتاً على أراضـى المملكـة وسـتغادرها فور ما ترغب المملكة في ذلك"[١٤٢]_فأين هذا من الواقع وأين شعارات الإسلام مـع مـا يـسمى (بصداقة) الغرب وموالاتهم_ وهم حلفاء اسرائيل.

٢ - قضية سرقة حاضنات الأطفال من المستشفيات الكويتية ودفن الأطفال الخداج أحياء من قبـل الجنود العراقيين.

فقد ساعدت شهادة فتاة كويتية عندما قدمتها للجنة حقوق الإنسان التابعة للكـونجرس الأمريكـي عن أن الجنود العراقيين قد انتزعوا عشرات الأطفال من حاضناتهم وتركوهم ليموتوا فـي قبـور جماعية ساعدت هذه الشهادة على حشد وتعبئة التأييد والمساندة لحرب الخلـيج. وكـان قـد تـم ترتيب ظهور الفتاة وشهادتها من قبل مؤسسة كبرى للعلاقات العامـة هـي "هيـل أنـدنولتون" الأمريكية من قبل الكويت "المواطنون من أجل حرية الكويت" أو "لجنة الكويت الحـرة". ولكـن التحقيقات التالية كشفت عن ان الفتاة لم تكن بالكويت ولم تشاهد ما حدث وانما لقنّت الشهادة فهـي إبنة السفيرالكويتي في أمريكا.كما كشفت عن ان رئيس لجنة حقـوق الإنـسان فـي الكـونجرس "جون بورتر" قد تم تضليله عن هوية الفتاة من قبل عضو اللجنة واحد أعضاء الكـونجرس وهـو النائب عن ولاية كاليفورنيا "لانتوس" حيث يتم التحقيق معه في مـسألة التعـاون مـع مؤسـسة علاقات عامة لانتاج شهادة مخادعة في قضية هامة كما قالت "النيويورك؛ تـايمز" وذلـك خلافـاً لقانون يحظر الهبات والمنح (الرشاوي) فكيف يتلقى الرشوة مقابل التستر علـى حقيقـة وصـدق فتاة قدمت شهادة مزورة ساعدت في اقناع الكونجرس واعطائه الموافقة على ضوء ذلـك علـى شن حرب على العراق. وكان بوش قد ذكر القصة في معرض تبرير حربه الدمويـة التدميريـة التي شنها على العراق أمام الشعب الأمريكي. ذلك ان "مكارثر" ناشر مجلة "هاربر" والذي كشف عن هوية الفتاة في مقال النيويورك تايمز الأمريكية قال ان "بوش" استخدم الرواية سـت مـرات في خطبه وان سبعة اعضاء من مجلس الشيوخ ذكروا أنها كانت دافعاً لهـم لاعطـاء الـرئيس تخويلاً بدخول حرب الخليج، أي ان "بوش" قد حرض على استخدام القصة كحقيقة وحـاول مـن خلال هذا الإستخدام حشد الشعب الأمريكي وراء قـراره بالعـدوان بعـد ان اسـتخدمت ابنـة السفيرالكويتي لخداع السلطة التشريعية في الإدارة الأمريكية.

بالإضافة إلى هذا التكذيب الفاضح للرواية الملفقّة التي كانت سبباً في إنفاذ بوش لقرار الحـرب. فقد تم من قبل شبكة الكيبل نيوز "**c.n.n**" الأمريكية كشف حقيقة القبور الجماعية التـي أقامتهـا

---

[١٤٢] المرجع السابق نفسه. صفحة١٢.

حكومة الكويت لهؤلاء الأطفال المدعين وأنها قبور فارغة وقدمت نموذجاً بالصورة لفراغ أحدها. كما عادت الشبكة نفسها وقدمت أحد أطباء الأسنان الذين كان قد شهد برؤية الحادث نفسه ونفى شهادته السابقة وقال أنه لم ير شيئاً وأنه كان كاذباً في شهادته.[١٤٣]

باختصار فإن فضيحة حاضنات الأطفال كانت من أكبر الفضائح التي كشفت استخدام أساليب الكذب والتزوير وتزييف الحقائق من قبل دول التحالف ومن قبل وسائل الإعلام المختلفة لتلك الدول.

ويلحق بموضوع الكذب ويقترن به موضوع التشويه والإفتراء فقد عمد الإعلام العربي المتحالف أو المضاد إلى تشويه الحقائق والى الإفتراء خدمة لأهدافه النفسية والسياسية، ولا يفوتنا (هنا أن نُسجّل تلك الحملة من التشويه والافتراء التي قادها) هذا الإعلام ضد الأردن، حتّى بلغ الإفتراء ببعضهم إلى حد الإدعاء بأن السلطات الأردنية كانت تتعمد الإساءة إلى المواطنين المصريين العائدين من الكويت عبر الأردن وباتجاه مصر، وكانت المقابلات التي تجرى معهم تكّذب ذلك. ولا مجال هنا لتسجيل جميع المفتريات التي جوبه بها هذا البلد الصامد من قبل الدول المتحالفة لا لشئ سوى لوقفته الصادقة ضد الأعداء الأجانب ومؤامراتهم العدوانية الإستعمارية الجديدة.

٣ - الإعلام الأردني في حرب الخليج

للوقوف على معرفة الإعلام الأردني في حرب الخليج معرفة دقيقة لا بد من النظر إلى هذا الإعلام باعتباره انعكاساً لواقع الإعلام العربي اولاً فهو جزء منه.

وباعتباره انعكاساً لواقع الموقف الأردني ثانياً والذي يمكن دراسته من زاويتين: الموقف الرسمي، والموقف الشعبي. واخيراً التعرف على أبرز خصائص هذا الإعلام والتي تقف على رأسها خاصية الإعتدال والوسطية.

١ - الإعلام الأردني انعكاس لواقع الإعلام العربي.

فالإعلام الأردني هو جزء من الإعلام العربي وما ينطبق على الإعلام العربي وما يعتوره من قوة أو ضعف ينطبق على الإعلام الأردني ولكن بصورة جزئية كما سنرى فيما بعد وقد عرفنا عند استعراضنا للإعلام العربي أنه إعلام يتصف - بشكل عام - بالتبعية. وغياب عناصر وبناء المصداقية من سرعة وصدق وشمولية، ثم الضعف وهو ضعف في الوسائل والأدوات من جهة وضعف في الأسلوب أو الأساليب الإعلامية.

---

[١٤٣] صوت الشعب. جريدة. الأردن ١٩٩٢/١/١٩ مقال النيويورك تايمز. الدستور. الأردن ١٩٩٢/١/٨. وفيه تقرير رويتر من نيويورك. الرأي .الأردن. ١٩٩٢/١/١٦ وفيه تقرير وكالة الأنباء الفرنسية.

وتأتي التبعية للإعلام العالمي بسبب ديكتاتورية ذلك الإعلام وشموليته واكتساحه لجميـع أصـقاع الدنيا واحتكاره الأدوات والقنوات بما فيها من وكالات أنباء عالمية وأقمار صناعية ولا شـك ان الإعلام العربي - كما في الشؤون الأخرى - يحاول جاهداً أن يلحق بركب التقـدم التكنولـوجي في مجال الإعلام الذي يقوده ويحكم مسيرته الغرب ولكن المجاراة شبه مستحيلة نظـراً لأسـباب كثيرة معروفة أجملت بما عرف بأزمة الإعلام والذي ظهر من خـلال تفـوق وسـائل وادوات الإعلام الغربي وبالمقابل قصور وسائل الإعلام العربي. وكذلك في التفـرق النـاتج عـن تقـدم الوسائل الذي جعل الإعلام الغربي يعتمد الصورة مقابل اعتماد الإعلام العربي في جُلّ ما يقدمه في مجال صناعة الخبر ونقل الأحداث على الكلمة وعلى ما تأتي به وسائل الإعلام الغربيـة مـن صور وتحاليل إعلامية.

والإعلام الأردني كجزء من الإعلام العربي يعيش في المنطقة نفسها ويتعرض للعوامـل نفـسها فإنه هو الآخر قد تأثر بكل ذلك أو ببعضه وإستطاع ان يخرج نـم دائـرة التـأثر بـبعض هـذه العوامل بجهوده الخاصة وبإمكاناته البسيطة وبوعي أبنائه واندفاعهم نحو تطوير بلادهم فـي شـتى الميادين مما أصاب ميدان الإعلام شئ منه كثير وكبير، حتّى سّدت النوعية نقص الكمية.

٢ - الإعلام الأردني انعكاس لواقع الموقف الأردني

يمكن دراسة الإعلام الأردني باعتباره انعكاساً لواقع الموقف الأردني مـن أزمـة الخلـيج مـن زاويتين، الموقف الرسمي والموقف الشعبي. علماً أن الموقفين كانا متطابقين تماماً

فكان قائداً وحكومة وإعلاماً وشعباً كلها تقف بروح واحدة وقلب واحد ضد الظلم والطغيان الـذي كانت تمثله قوى التحالف وقد جاءت بأساطيلها وطائراتها وجيوشها لتفرض واقعـا جديـداً علـى المنطقة تسيطر على منابع النفط وتتحكم بامداداته واسعاره وتحمي اسرائيل لتظل شوكة في حلـق هذه الأمة واسفيناً غائراً في سويداء قلبها ويظل لها وجود ويـضرب أي جهـة تريـد ان ترفـع رأسها في وجه الظلم السافر. هكذا راى الأردن المشكلة لأنها هي كذلك باعترافات زعمائهم كما عبّر عن ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون عندما قـال: " لـدينا مـصلحتان فـي الـشرق الأوسط: النفط واسرائيل"[١٤٤]

أ - الموقف الأردني الرسمي من الأزمة.

ثمة مجموعة من العوامل بلورت الموقف الأردني من أزمة الخليج منهـا موقعـه الجغرافـي، وعلاقاته الوثيقة مع كل من العراق والكويت والخليج، والإيمان بالأسرة العربية الواحدة ووحـدة

[١٤٤] الدستور، عمّان،١٩٩٢/١/١٤.

الهوية الثقافية ووحدة المصير، وكذلك عضوية مجلس التعاون العربي، ما دفع كل ذلـك الأردن ليلعب دوراً قيادياً لتلافي الصراع[145] وصيانة لآمال الأمة ومصالحها العليا، حيث كان الموجـه الأهم وباستمرار هو اعتبار المصلحة القومية. وعليه فقد حافظ الأردن على موقفه المحايـد منـذ البداية بين جميع الأطراف ليتمكن من القيام بدور الوسيط لحل الأزمة وقد فعل ذلك بين العـراق والكويت قبل ٢ آب ١٩٩٠ كما فعل ذلك مع الدول العربية جميعهـا بعـد ٢ آب، وعنـدما بـدأ الحشد الأمريكي حاول الأردن مع الغرب كذلك ولكن " الجهود التي بذلها الأردن والعرب لوضع حد للأزمة بالطرق السلمية قد أحبطت عن قصد وتصميم "لأن الهدف الحقيقي وراء هذه الحـرب المدمرة، كما برهن على ذلك حجم الدمار هو تدمير العراق واعادة ترتيـب المنطقـة بطريقـة تنطوي على مخاطر اكبر بكثير بالنسبة لحاضر ومستقبل أمتنا من معاهدة سايكس بيكـو"[146] بـل تم تسوية الموقف الأردني وطمس الحقائق وتم "تكريس طاقات الوسـائل الإعلاميـة الأمريكيـة والأوروبية لتشويه الحقائق واسباغ الشرعية والعدالة على حرب مدمرة"[147]

وانطلق الموقف الأردني في نظرته إلى الأزمة من قضيتين الأولى دخول العراق إلـى الكويـت والتي راي فيها ضرورة الحل العربي وعدم تدويلها وإقحام الغرب فيها مما يساعده على فـرض هيمنته وتحقيق مصالحه وإقحام المنطقة كلها في مشاكل كثيرة هي في غنى عنها. والثانيـة هـي قضية الحشد الغربي لضرب العراق تحت ستار تحرير الكويت، وهذه الأخيـرة اعتبرهـا الأردن مسألة مرفوضة ومؤامرة على الأمة لا يشارك فيها الأردن ابدا[148] وعبر عن ذلك سمّو الأميـر الحسن في مقابلة مع التلفزيون السوداني فقال: "ان السبب الظـاهر معـروف احـتلال العـراق للكويت، ولكن السبب الباطني كما اسلفت هو التركيز الكبير على الإرادة العربية والبنية التحتيـة العربية وهذا ما يخيفنا حتّى في هذه المرحلة، ولكن عندما اقول يخيفنا فالحياة مبدأ ونحـن نقـف مع هذا المبدأ لنقدم الغالي والنفيس من أجل ذلك المبدأ"[149]

وفي معرض الحديث من الموقف الأردني الرسمي لا بد من الإشارة بشئ مـن التفـصيل إلـى موقف جلالة الملك الحسين من الأزمة. كان موقف جلالته خلال الأزمة يمثـل مـنهج العقلانيـة العربية المرنة انطلاقاً من الثوابت القومية الراسخة. فقد راى جلالته في الأزمـة التـي اتـسمت

---

[145] الكتاب الأبيض، الأردن وأزمة الخليج. عمّان ١٩٩١.

[146] الكاتب الأبيض ص.٢٤.

[147] هشام خريسات، نقيب الصحفيين الإردنيين. صوت الشعب الأحد ١٩٩١/٩/٢٩ ص5

[148] حقائق الصراع الإستراتيجي في الخليج. علي محمد المراشدة. مخطوطة عمّان ١٩٩٢. ص. ٢٨٢.

[149] المرجع نفسه. ص.٢٨٦.

بالسرعة وبالشمول وخطورة الآثار وعمقها وبالإقتتال أو الإصطفاف العربي راى فيها مـؤامرة كبرى تسعى لفرض الإستسلام على العرب جميعاً ومصادرة حقهم ومنعهم من تحقيق النهـوض والتقدم وكسر ارادتهم واختراق امنهم القومي وعمل جلالته من أجل ذلك على جبهـات ثـلاث: الجبهة الداخلية لتحقيق تماسكها وتمتينها لتتمكن من دعم صمود القوات المسلحة ودفـدها ماديـاً ومعنوياً. كما عمل جلالته من أجل ذلك على الجبهة العربية بهدف حل الأزمة عربيـاً، وعنـدما تفاقم الوضع تميز موقف الحسين بالإستقلالية قولاً وعملاً عندما انحاز إلى جانب الأمـة العربيـة ومصالحها العليا وصان القرار الاردني من التبعية تحت أصعب الظـروف ولحلـك المواقـف ومحاولات الترهيب والترغيب. مما أظهر جلالته كرجل موقف ورجـل كلمـة تطلعـت إليـه الجماهير العربية كمعقل لرجائها واملها في الخروج من الأزمة/ المؤامرة. وعمل جلالته كـذلك على الجبهة العالمية بعزيمة المؤمن الصابر لكي لا يقع الصراع الدموي وعندما وقع الـصراع عمل على محاولة احتوائه ووقفه لتخفيف المعاناة عن العراق والعرب جميعاً وبعد وقف اطـلاق النار استمر بالعمل للتخفيف من نتائج الحرب السلبية خاصة علـى صـعيد التـضامن العربـي المتدهور حيث حاول ايقاف عملية اندفاع الأنظمة العربية وراء التبعية بعد ان لاحـظ التـصدع الذي بات يواجه الأمن القومي العربي مواجها جلالته في جميع هـذه المراحـل وعلـى كافـة الجبهات اقسى امتحان في الموقف وفي الشرف والـضمير، امتحـان الإرادة الـصلبة والكلمـة الصادقة النبيلة والضمير الأمين وتعرض الأردن بسبب كل ذلك مع تلاحـم الموقـف الرسـمي والشعبي الصادق إلى كافة أشكال الضغط بما فيه الحصار وايقاف المساعدات وطـرد العـاملين بل، وتهديد الأردن ككيان سياسي إلا ان جلالته ارتقى لمستوى التحديات بعزيمة المؤمن المثـابر لكسر طوق الأزمة دفاعاً عن الأمة ومستقبلها.

وتجدر الإشارة هنا إلى خطب وكلمات ومقابلات كل من جلالة الملك الحـسين وسـمو الأميـر الحسن إبان الأزمة وحرب الخليج والتي كانت تعبر عن موقف هذا البلد وكانت مثـالاً للإعـلام المتزن العقلاني الرصين، وبل وعملا من خلال تلك النافذة التي حملت قضايا العرب إلى العـالم كله خير معبر عنها بحسن الأسلوب وطريقة العـرض والخطـاب الـسياسي الإعلامـي عـالي المستوى بالإضافة إلى قوة الحجة وتماسك المضمون متانته. مما سـد فـي الإعـلام الـوطني والعربي ثغرة كبيرة. فبالإضافة إلى ازالة الغموض والتشويش المتعمد على الموقـف الأردنـي كان الصوت الذي شرح الأزمة وكشف عن دفعها الدفع المتعمد من قبل الغرب لتأخـذ الـشكل الذي انتهت إليه بصراع دموي وحرب تدميرية رهيبة. كما كانت صوت الحق والـضمير الـذي



ظل طوال الوقت يجلو الحقيقة للعالم وللعرب على كافة مواقفهم حول جوهر العدوان والـصراع واسبابه الظاهرة والكامنة والمخاطر المترتبة على امتدادلته.

ب - الموقف الشعبي الأردني من الأزمة.

وكما سبق وذكرنا فقد كان هذا الموقف مطابقاً للموقف الرسمي ويساعد علـى تفهـم الموقـف الشعبي الأردني الذي استطاع عندما تبلور الصراع بين العراق من جهة وامريكا والغرب ومـن ورائهم الصهيونية من جهة أخرى ان يميّز الخندق الذي يمثل الأمة العربية. وذلك الـذي يمثـل اعداءها،يساعد على فهم هذا الموقف الشعبي معرفة البعد الذي يحكم نفسية الجماهير وهو البعـد الفكري الوجداني بما يجيش به من المشاعر الدينية الراسخة والمشاعر الوطنية الـصادقة والـذي تعمق بدرجة الوعي ودرجة الديمقراطية التي اصابها الشعب، واهم ملامح هذا البعد كانت تتمثـل في اعتبار مصلحة الأمة العليا في الوحدة والتحرر الحقيقي وصـيانة قـوى الأمـة فـي سـائر اقطارها وعمل كل ما من شأنه ان يساعد عى احقاق الحق واعادته إلى أصحابه في فلسطين ممـا ينشر السلام والأمن الحقيقيين على المنطقة ودولها ومما يحق الرفاه والعيش الكـريم لـشعوبها. ومن هذا البعد تحركت الجماهير في الأردن بملء ارادتها الحرة واحساسها بالمـسؤولية لتـدافع عنا لموقف الرسمي الذي وضع مصالح الأمة العليا فوق أي اعتبار ولتدافع عـن ذاتهـا وعـن العرب واقطارهم في العراق والخليج وارض الجزيرة التي نزلت فيها قوى الغرب لتبيد وتـدمر وتنهب، فكان الدعم للموقف العراقي بعد تلك المرحلة انما هو وقوفاً مع ذاتها وأمنهـا وحياتهـا ضد قوى الغرب الإستعمارية الطامعة، مما عكست معه "أصالة الإنتماء الذي وضـع مـصالح الأمة في أسمى المراتب على سلم اولوليات عمـل الأفـراد والجماعـات لحمـل مـسؤولياتهم المصيرية والشعور بقوة العلاقة بين القضية الفلسطينية وأزمة الخليج ورفض التواجـد الأجنبـي على ارض الجزيرة العربية"[150] وساعد على هذه المواقف عمق ايمان الجماهير بعقيـدتها التـي بلورت وأنضجت شعورها الوطني بحيث انصهرت في النهاية ارادة الجمعي _ قيـادة وشـعباً - في انتصارهم لارادة امتهم في بوتقة واحدة هي الوقوف إلى جانب الحق فـي الخنـدق العربـي المواجهه للعدو والصهيوني الإستعماري رغم ما كان سيلاقيه ثم لقاه مـن حـصار اقتـصادي وتهديد امني وهجوم اعلامي نفسي شنته عليه قوى التحالف الا ان الأردن آثر موقـف الـشرف فهو المفضي الي الحياة الكريمة رغم ما في هذا الدرب من تضحيات وبذل. والموقف الاردنـي الشعبيب كان اولا وآخراً هو وقوف مع الذات لان المقياس هو المصلحة العليـا للأمـة العربيـة بأسرها وإن بدا هذا الموقف متعاطفاً ومنحازاً إلى الجهة التي تتعرض للظلـم الأفـدح والبغـي

[150] المرجع السابق نفسه ص٢٩٣

الأكبر والأشرس، وإن بدا كذلك متعاطفاً ومنحازاً إلى جانب يتعرض للإبادة والتـدمير التـامين فهو انما كان يقف بصلابة ورسوخ ضد قوى البغي الأجنبي الذي ما جاء لتحقيق مصلحة عربيـة لجهة معينة وانما جاء بجيوشه لتحقيق مصالحه الإستراتيجية في النفط وحماية اسرائيل وتقـويض أي بنيان عربي يهدد تلك المصالح.

وبفضل حكمة الحسين وحنكته فقد تميز الموقف الأردني بالمـصداقية عنـدما " رفـض حالـة المواقف المزدوجة بين الرسمي والشعبي كما حدث في كثير من الأقطار العربية حيـث وقفـت رسمياً إلى جانب التحالف وشعبياً إلى جانب العراق لتحظى بقبول الطرفين ومن هنا جاء موقـف الحسين متميزاً من بين المواقف العربية جميعاً ومن هنا كانت مصداقيته كاسحة علـى الـصعيد الشعبي العربي"[١٥١] مما عزز الموقف الشعبي تماما وليس من المبالغة في شئ أن نؤكد أنـه فـي أثناء حصار العراق ثم ضربه ضرباً تدميرياً همجياً بشعاً لم تعرف له البشرية نظيـراً، انجـذبت الأمة بجماهيرها عامة - وهي تشاهد الظلم الصارخ - لعقيدتها وهي الحـصن الأقـوى فكانـت العواطف والمشاعر الدينية في الأوج كما هي المشاعر الوطنية والـنص المقتطـف مـن بيـان للأخوان المسلمين في الأردن ادناه يعبر تعبيرا مناسباً عن هذا الموقف وتلـك المـشاعر حيـث تبلور التحيز الغربي والظلم الصارخ الفظيع بعمليات التجويع والرغبة في تركيـع واذلال الأمـة التي رفضت كل ذلك وتمردت عليه عندما تبلوت القناعة بأن الهجمة صهيونية غربية اسـتعمارية جديدة شارك العالم كله فيها بالترغيب والترهيب

" الموقف من أمريكا ودول الغرب الصليبي:

ان موقفنا من أمريكا والغرب الصليبي موقف ثابت تاريخي مبدئي مبني علـى موقـف أمريكـا التآمري العدواني الضالع مع اليهود والمعادي لآمال شعوبنا في التحرر والوحدة وموقفنـا هـذا موقف شعبي راسخ لا يتاثر بالاعيب السياسة والمجاملات وسـوف يـستمر رفـضنا لعـدوانها وتآمرها إلى ان ترحل أمريكا وحلفاؤها عن بلادنا وتكف عن التدخل في شـؤوننا وتتوقـف عـن دعم عدونا اليهودي واننا نؤكد ان حرب الخليج هي حرب يهودية غربية سادسـة وهـي حـرب صليبية ثامنة وقد نقشنا هذه المعاني في اعماق نفوسنا حتّى لا ننسى المؤامرة الصليبية علـى مـا ضينا وحاضرنا ومستقبلنا بين فكي سايكس بيكو وبوش ميجور ميتران ولن تستطيع أمريكا غـسل عقلونا بوعودها الكاذبة واننا ندعو شعوبنا الإسلامية من المحيط إلى انتفاضة عارمـة فـي وجـه

---

[١٥١] حقائق الصراع الإستراتيجي في الخليج. المرجع السابق نفسه. ص٣٠٨

الأجرام الأمريكي الصليبي الصهيوني وان امتنا لن تقبل ان يتحول العالم إلى قطعان بشرية في الزريبة الأمريكية"[١٥٢]

٣ - خصائص الإعلام الأردني

أ - الوسطية والإعتدال: كما ذكرنا فإن السياسة الأردنية الهاشمية هي سياسة الوسطية والإعتدال والموقف الأردني من أزمة الخليج كان كذلك وحتى عندما كان الأردن حكومة وشعباً ضد التدخل الأجنبي في الأزمة ثم يقف ضد تواجده على ارض الواقع بقواته وأسلحته وجيوشه انما كان يمثل الوسطية والإعتدال. وانعكس كل ذلك على اعلامه الوطني فهو رغم وقوفه ضد التدخل الأجنبي ومن قبل ضد دخول العراق الكويت بالقوة الا انّه لم يتحالف مع الغرب من منطلق المصلحة العليا للعرب التي تدفع باتجاه عدم قطع العلاقات نهائياً مع الدول العربية لأن ذلك يتيح للغرب الإستفراد بها واستغلالها والتحكم بمقدراتها ومقدرات العرب مما يضعف الموقف العربي عامة

ب - قوة المضمون الإعلامي:

بالإضافة إلى سمة الوسطية والإعتدال فإن العيوب ومواطن الضعف التي احكمت سيطرتها على الإعلام العربي بشكل عام استدركها الإعلام الإردني وتجاوز اكثرها فكانت قوة المضامين الإعلامية وتماسكها اضعافاً لعنصر التناقض الذي وقع فيه الإعلام العربي والمتحالف بشكل خاص، ذلك ان قوة المضامين للرسالة الإعلامية يأتي من متانة وقوة الموقف السياسي وكما راينا فقد كان الموقف الرسمي والشعبي المتطابق قوياً وواضحاً وثابتاً طوال الفترة وهو موقف ينطلق من مبدأ الحرص الأكيد على المصلحة العليا للأمة.

ح - العقلانية:

من ناحية أخرى اتسم الإعلام الأردني بالعاطفية المنضبطة وهي ما يمكن التعبير عنها بالعقلانية في ثوبها الوجداني القشيب. وهي لم تُسقط لحظة لغة الحوار الحر وعرض الأخبار وتبادل الأفكار مع مراعاة الموضوعية وتوخي الحقيقة والواقعية مما عمّق المواقف ورسخ المبادئ

د - المصداقية

كان الإعلام الأردني يسعى إلى مراعاة عناصر القوة الإعلامية مثل السرعة والصدق، والشمولية وهي جميعها عوامل ساعدت على بناء المصداقية العالية في الإعلام الأردني بالإضافة إلى عنصر القوة في الأساليب الإعلامية المتبعة والتنويع مما تدارك ضعف وقصور الأدوات والوسائل الإعلامية التي تشكو منها الدول النامية جميعاً وليس الأردن فحسب.

---

[١٥٢] الدستور، عمّان، ١٩٩١/٤/٧.

دروس ونتائج وعبر

إن الدارس والمتتبع لمعركة الإعلام النفسية في حرب الخليج وحملاتها المتلاحقة يمكنه أن يخرج بمجموعه من الدروس المستفادة، والنتائج والعبر التي يمكن عرضها بما يلي: -

١ - لقد أثبتت حرب الخليج أن الإعلام سلاح خطير حوربت وتحارب به اليوم امتنا وهو واحد من أخطر الأسلحة وأشدها فتكاً. فهو غالباً ما يرتدي رداء المنطقية والواقعية ولكنه، يزرع خلاياه السرطانية لاغياً من الذاكرة العربية الكثيرة من المسلمات ومثبطاً الكثير من الإندفاعات.

إن الصهيونية التي تسيطر اليوم على الآلة الإعلامية في عموم أمريكا وفي جزء كبير من أوروبا لم توفر منطقتنا العربية بل ان الهجمة الإعلامية المضادة لم تزل في أوجها في وقت يلعب إعلامنا العربي لعبة الساذج التابع الذي يسوق نفسه تلقائياً نحو الفخ.فالإعلام الوطني في كل دولة يتأثر، ولو بدرجات متفاوتة بتوجيه الإعلام الأجنبي، والحرية التي يتمتع بها الإعلام الوطني ولو بنسب متباينة، ليست في مأمن من التبعية الإعلامية الأجنبية التي تتعرض لها.

الواقع الإعلامي كله اشبه ما يكون ببحيرة ملوثة فإذا كنا عاجزين، ونحن عاجزون بالفعل عن الحياة خارج مياه هذه البحيرة وإذا كنا عاجزين ونحن عاجزون بالفعل عن تنظيف هذه المياه، فإن الأمر الوحيد الذي يتحتم علينا أن نفعله هو تحسين اجهزة تنفسنا وذلك بتطوير المستوى الثقافي العام وتأكيد الوعي الإجتماعي وتنميته[١٥٣]والقيام بكل ما من شأنه أن يساعدنا في المجابهة والتصدي

٢- من هدف أي حملة إعلامية نفسيه هو التأثير على الروح المعنوية وارادة القتال لدى الأمة من خلال قضايا معينة، وما حدث بالحملة الإعلامية في حرب الخليج انما كان يهدف لاقناع العرب باستحالة النهوض والوحدة والتحرر والتضامن وحل مشاكلنا بأنفسنا وباستحالة الإعتماد على الذات لنبقى في حالة التبعية وتبقى إسرائيل كنظام عنصري استيطاني توسعي في قلب العالم العربي

٣ - كما نجحت الحملة في إبقاء الإنسان العربي في حالة الحيرة والبلبلة بسبب من اسلوبها في الكذب والتعتيم والخداع والتضليل

اولاً، وبسبب من اعتماد العرب على الإعلام المعادي الذي يهدف إلى أيقاعهم في الحيرة والبلبلة والإحباط ثانياً، وبسبب تغيب عنصر العقيدة وهو عنصر القوة والمنعه والوعي ومصدر الروح

---

[١٥٣] مجلة الأسبوع العربي، ١٩٩١/١٠/٢٨.

المعنوية وإرادة القتال لدى الأمة والتي يجمعها جامع "الجهاد" وتتمثل فيه. وكان هذا مـن خـلال الحملة الحالية وجملة الحملات السابقة في حربه الإعلامية النفسية الإستراتيجية وغـزوه الثقـافي الشامل.

٤ - كما نجحت الحملة في فضح مدى السيطرة الـصهيونية العالميـة علـى الإدارات الغربيـة وابتزازها ومدى نجاح إعلامها في تأجيج نار الحقد الغربي القديم ضد الأمة العربية والإسـلامية.

٥ - كما نجحت في الكشف عن أن أهداف الأمة بالنسبة لنا كعرب غير واضحة، فقـد أظهـرت الحملة أن الرغب قد نجح في التحالف معا على أهدافه ومصالحه بعيداً عـن بـلاده بينمـا نحـن العرب نجحنا في التخالف على أهدافنا ومصالحنا وعلى أرضنا التي نحن عليها.

٦ - أن الغرب في حملته الإعلامية المركّبة والمربكة قد بلغ الذروة عندما عمد إلـى استـصدار الشرعيات: العربية والإسلامية والدولية، وعندما عمد إلى دعم حملته بـالقوات وبالمـال - مـن دول المنطقة -، وعندما عمد إلى تضليل الجميع عن الأهداف الإستراتيجية المتمثلة بالقيـام بمـا كيفل وقف التردي الإقتصادي لديه بدعم خزينتـه والـتخاص مـن ديونـه والمتمثلـة بـالتحكم بالنفط.[١٥٤] فشل ثورتهم ضد نظام الحكم في بغداد، وفي إطار هذه المـشكلة الإنـسانية! دخلـت وحدات من قوات التحالف إلى الأراضي العراقية لاقامة مخيمات لحماية هؤلاء اللاجئـين وهـي تنوي أن تُعيث الفساد وتقوم بما عجزت الحرب عن انجازه.

٧ - وتأسيساً عليه فإنه لا يمكن أن يبلغ السلاح الإعلامي مثل هذه القوة، دون سند مـن القـدرة على الفعل السياسي والعسكري إذا اقتضى الأمر. وفي كثير من الأحيان لابـد مـن عمـل سياسي أو حتّى حربي لتشغيل سلاح الإعلام على الوجه المفيد، هذا درس جدير بـأن يكـون من الدروس الأولى التي يمكن أن يستخلصها الخبراء العرب من وقائع حرب الخلـيج، منـذ بدايتها حتّى اندلاعها حرباً مجمرة اسـتخدمت فيهـا أحـدث أسـلحة تكنولوجيـا الـصناعة العصرية. والخبراء العرب المعنيون هنا هم طبعاً خبـراءالإعلام والـسياسة. ولا شـك أن تعزيز جهاز الإعلام العربي يقتضي أولاً أن تكون هناك وكالة أنباء صحافية عربيـة قويـة، مستقلة تعتمد على أحدث وسائل الإتـصالات العـصرية بمـا فيهـا أقمـار الإتـصالات

---

[١٥٤] يمتلك الشرق الأوسط ٦٥% من احتياطي النفط العالمي. تملك أمريكا ٣% فقط وهي التي تساوي سكانيا ١: ١٦ من سكان العالم أي حوالي ٦% وتستهلك ٣٥% من طاقة العالم يقول الكاتب حسني عايش في الرأي ١٩٩١/١٢/٩ (وأن عمر أمريكا قصير جداً ولن يطيله سوى تقديم العرب له مادة الحياة - النفط - مجانا فتخفيض سعر البرميل ٥ دولارات يعني توفير ٣٠٠ مليار دولار كما جاء في صحيفة الواشنطن بوست الصادرة في ١٩٩١/١١/٢٤"

الإصطناعية، ومثل هذه الوكالة، ليس من الضروري أن تلغي وكالات الأنباء المحلية، التـي تعبر عادة عن وجه نظر الحكومات العربية المحلية. ويقتضي ثانياً محطـة تلفزيـون عربيـة عالمية (على نسق وكالة "سي.أن.ان. على الأقل) ، قادرة على أن تصل برامجهـا إلـى كـل بيت في العالم. ويقتضي ثالثا محطة إذاعة (راديو) عربية في مثل قوة المحطـة التلفزيونيـة. وهذه جميعاً مشروعات جديرة بالدراسة والبحث ثم التخطيط والتصميم والتنفيذ علـى مـدى مقتضيات المرحلة الجديدة التي تواجهها الدول العربية في ضوء الـدروس المـستفادة مـن حرب الخليج.[155]

٩ - بالإضافة لما ذكر اعلاه من ضرورة وجود وكالة أنباء عربية موحدة وشبكات تلفزيـون عربية عالمية ومحطات اذاعة مماثلة فإنه كما يقترح الباحثون لا بـد مـن وجـود مركـز معلومات ومركز دراسات وأبحاث استراتيجية موحدة قادرة على رفد المراكز الإعلامية بما يساعدها في إيصال أسرع وأشمل وأقدر رسالة إعلامية مقنعة.

١٠_ كما يرى الباحثون ضرورة إعادة النظر في أسلوب توظيف وسائل الإعلام الحديثة فـي إطار مخطط ومدرس. وتوسيع دخول عالم الفضاء لتغطية المنطقة العربية بشبكة إتـصالات مستقلة تربطنا بالعالم الخارجي ويمكن من خلالها التـصدي لمحـاولات الغـزو الفكـري والحضاري وخدمة الأهداف العربية العليا.

١١_ وللتعرف على ما يمكن عمله أيضاً، يمكن طرح ثلاثة محاور

١ - الحرب النفسية المضادة

٢ - استعراض الحرب النفسية في المنظور الإسلامي وأساليب علاجها ومقاومتها

٣ - استعراض ما يمثل استراتيجيات الدولة ومجالات قوتها في مجال إعداد الدولـة والأمـة للحرب.

١ - الحرب النفسية المضادة (مقاومة الحرب النفسية)

أ- إن ما يسهم في نجاح حرب العدو النفسية غياب مخططات عربية شـاملة للمجابهـة علـى النحو المطلوب، فما يمارس يفتقر إلى التناسق والتكامل والشمولية، وما يُمارس من أسـاليب إعلامية تفتقر إلى الشمول من حيث الإفتراض بأن العالم يعرف قضيتنا بخفاياهـا ودقائقهـا وتتميز أيضاً بتبني النظرة العربية إلى اسرائيل التي تتصف اما بالإستهانة وأما بالمبالغة ممـا يضعف الدعاية ويهزها.

---

[155] النقطتان السابعة والثامنة أعلاه عن إفتتاحية مجلة "الدفاع العربي" عدد حزيران ١٩٩١.

ب - المقاومة أو المجابهة العربية المطلوبة يجب أن تعتمد دراسة عميقة لأساليب العدو ووسائله ومنطلقاته وتكامل عمله الإعلامي وتجنيده لقوى الدولة وتسخيرها من إقتصادية وسياسية ونفسية اجتماعية وعسكرية في سبيل تحقيق أهدافه في صراع مع الدول العربية، وكذلك دراسة الأسس التي تعتمدها حربه النفسية ودراسة العدو من حيث التكوين النفسي والخلفية الثقافية والنمط الإنساني وظروفه السياسية والإقتصادية والإجتماعية ورصد سائر السلبيات البيّنة والخفيّة، كل ذلك لوضع تقييم شامل توضع على ضوئه خطة شاملة للمجابهة.

ج - يقتضي التخطيط العملي لمجابهة حرب العدو النفسية اعداد خطة دعائية موحدة ومحكمة يرفدها جيش من الساسة الدعائيين المتخصصين على أرفع المستويات العلمية. وأجهزة إعلامية راسخة قادرة على بناء وتنفيذ الخطة الدعائية استراتيجيا وتعبوياً.

د - على مستوى الدولة منفردة يمكن تشكيل لجنة عليا أو هيئة من القوات المسلحة والإعلام والجهات الأخرى المعنية تكون مهمتها وضع الخطط الإعلامية الدعائية النفسية الشاملة والخطوط الإستراتيجية العامة، وتطوير جهاز كافي للقيام بمهمة التصدي لحرب العدو النفسية ولمباشرة الحرب النفسية ضد العدو وفي كافة المجالات والأصعدة.

هـ - من مهام تلك الهيئة العليا عمل وتخطيط والإشراف على تنفيذ برامج توعية للمواطنين سواء أكان ذلك للمزيد من التلاحم ورص الصفوف ورفع المعنويات أو لفهم ومقاومة دعاية العدو وشائعاته وجملة أساليبه النفسية

٢ - الحرب النفسية وعلاجها في المنظور الإسلامي:

إذا عرفنا ان من أساليب العدو النفسية اشاعة عدم الثقة بالنفس وايقاع المستمعين في التخبط الفكري. وترويج الأكاذيب والإشاعات وغيرها من الأساليب لتمزيق لحمة الشعب وفصل القاعدة عن القيادة على المستويين العسكري والمدني. واثارة النعرات والحزازات واثارة كل ما يؤدي إلى البلبلة والخوف واليأس وكل ما يحطم ارادة القتال والروح المعنوية. إذا عرفنا ذلك فإننا سنجد ان أكثر الأساليب فعالية ورسوخا في مجابهة الحرب النفسية للعدو هو أسلوب التربية التي تعمل على ربط المواطن بالعقيدة لغرس قيم الجهاد والشهادة ويكفي هنا ان نقف على الشواهد من القرآن الكريم على علاج الحرب النفسية في المنظور الإسلامي لنجد ما يلي:

(أ) الإسلام وقوة الايمان والعقيدة،

وما ينتج عنه من شجاعة وتضحية تتجلى في الجهاد والشهادة:

١ - الإسلام وروح الاقدام والشجاعة والترغيب في الجهاد والشهادة قال تعالى: (انفـروا خفافـا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل ا ...) قال تعالى: (إن ا اشـترى مـن المـؤمنيين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل ا فَيقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيـل والقرآن ونم اوفى بعهده من ا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم). وقـال تعالى يصف حال المجاهدين (قل هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين) أي النصر أو الشهادة.

٢ - الإسلام والصبر والثبات. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالـصبر والـصلاة ان ا مع الصابرين). وقال تعالى حاضاً على الثبات (يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فـاثبتوا واذكـروا ا كثيراً لعلكم تفلحون) وقال تعالى: (يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولّـوهم الأدبار) قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا ا لعلكم تفلحون).

٣ - حُسن التوكل على ا . قال تعالى: (وعلى ا فليتوكل المؤمنون.)

(ب) الإسلام والوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه النفسية.

قال تعالى : لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ..) وقال عـز وجل (لقد ابتغوا الفتنة من قبل..)وقال عز من قائل: (وإذ يمكر بـك الـذين كفـروا لُيثبتـوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر ا وا خير الماكرين.)

(ج) الإسلام وكشف محاولات التخذيل وإشاعة اليأس والقنوط

١ - اليأس والقنوط. لا يقنط المؤمن من الحق من رحمة ا ونصره. قال تعالى (ولا تقنطوا مـن رحمة ا .) وقال تعالى: (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) فلا يأس مـع الأيمـان. بينمـا يحاول الأعداء التثبيط فقد سجل عليهم رب العزة قولهم :(واذ يقول المنافقون والذين في قلـوبهم مرض ما وعدنا ا ورسوله الا غروراً واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فـارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريـدون إلا فـرارا) كمـا سجل عليهم مواقفهم.

(فرح المُخَلّفون بمقعدهم خلاف رسول ا وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فـي سـبيل ا وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهم أشد حراً لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيـرا جزاء بما كانوا يكسبون).

٢ - التخذيل. قال عز وجل في اعداء ا : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبـالا. ولأوضـعوا خلالكم يبغونكم الفتنة). وقال عز وجل: (يا ايها الذين آمنوا لا تكونـوا كالـذين كفـروا وقـالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا لجيعل ا ذلـك

حسرة في قلوبهم وا يحيي ويميت وا بما تعملون بصير). ورد ا عز وجل على هـذا بقولـه جل من قائل: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين أن يمسسكم قرح فقـد مـس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس).

٣ - زعزعة الثقة بالنصر. قال تعالى لكبح مثل هذه المحاولات من الأعداء: (ومـا النـصر إلا من عند ا) وقال تعالى: (ولقد صَدَقكم ا وعده إذ تحسّونهم بإذنه) وقال تعـالى: (ان ينـصركم ا فلا غالب لكم)

٤ - محاربة شعور العزة والرفعة قال عز وجل لمجابهة مثل هذا الأمر: (و العـزة ولرسـوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون). وقال تعالى منميا العزة في نفوس المؤمنين: (كنـتم خيـر أمة أخرجت للناس) وعليه فلا مجال مع الأيمان للشعور بالضعة والدونية امام اعداء ا .

(د) الإسلام والقضاء على محاولات التخويف والضغط النفسي

١ - التخويف من قوة الأعداء: قال تعالى (الذين قال لهم النـاس ان النـاس قـد جمعـوا لكـم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا ا ونعم الوكيل) وقال تعالى: (قال الذين يظنون انهم ملاقـوا ا ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن ا وا مع الصابرين) وا عز وجل يزرع في قلـب المؤمن الإيمان بقضاء ا وحمايته فيقول عز من قائل: (ان ا يدافع عن الذين آمنوا) ويُعّـزى المسلمين بقوله (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله).

٢ - الخوف من الوهن والإستسلام. فلا مجال عند المؤمن لمثل هذه المشاعر المحبطة وا عـز وجل القائل: (قل لن يصيبنا الا ما كتب ا لنا هو مولانا وعلى ا فليتوكل المؤمنـون): وشـعار المسلم قول ا تعالى: (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس).

٣ - التخويف من الموت. فلا مجال لدى المؤمن حيث اليقين بقوله تعالى عز وجل: (فـإذا جـاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقوله عز وجل: (وما كان لنفس أن تموت الا بـإذن ا كتاباً مؤجلاً).

٤ - التخويف من الفقر. واين مجال الخوف من الفقر واليقين بقوله تعالى: (ومن يتق ا يجعـل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقوله عز وجل: (وما من دابة الا على ا رزقها).

(هـ) الإسلام وفضح محالاوت التفرقة والإختلاف ومقاومتها وزرع مبدأ الطاعة:

١ - الإسلام والطاعة. قال تعال: (يا ايها الذين آمنـوا أطيعـوا ا ورسـوله ولا تولـوا وأنـتم تسمعون) وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم).

٢ - مقاومة أسباب ودواعي التفرقة. قال تعـالى: (واعتـصموا بحبـل ا   جميعـا ولا تفرقـوا واذكروا ا   عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وقال تعالى: (يـا أيهـا الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين). وقال تعـالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال عز وجل: (وان تنازعتم في شئ فردوه إلى ا   والـى الرسول).

(و) الإسلام ومقاومة الإشاعات والأباطيل وزرع مبدأ الكتمان.

قال تعالى في مقاومة الإشاعات والأباطيل. (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبـأ فتبينـوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). وقال يحض على عدم الثرثرة (والـذين هـم عن اللغو معرضون). وقال يحض على الكتمان (وإذا جاءهم امر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل ا   علـيكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا).

وقال تعالى في مقاومة الأباطيل واتباع الأعداء : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونـوا ا   والرسـول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون).

بالإضافة إلى ما تقدم حول الحرب النفسية وعلاجها في المنظور الإسلامي يمكن التعـرض إلـى حتميات النصر وشروطه مما توفره العقيدة، ومما يُعزز الثقة في النفوس وينمي الروح المعنويـة ويقوي إرادة القتال من خلال غرس قيم الجهاد والشهادة.

الإسلام وحتميات النصر وشروطه.

(أ) الحتميات

١ - نصر ا   لجنوده المؤمنين

حفظه للقرآن وأهله.

- (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ٩/ الحجر.

(كتب ا   لاغلبن أنا ورسلي أن ا   قوي عزيز)٢١/ المجادلة

(إنا لننصُر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا..) ٥١/ غافر

(ولينصرن ا   من ينصره ان ا   لقوي عزيز. الذين ان مكّناهم في الأرض اقاموا الصلاة..) ٤،٤١/الحج

٢ - تدمير المكذبين

المفسدين والمستعلين:

(فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمّرناهم تدميرا) ٣٦/ الفرقان

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسّدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً)

٤/ الإسراء

(.. فإذا جاء وعد الآخرة ليسُؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علـوا تتبيرا) ٧/ الإسراء (وقال موسى ربنا أنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنـا ليضلوا عن سبيلك..)٨٨/ يونس

(ودمرنّا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ١٣٧/ الأعراف

(ب) - الشروط

١ - الإيمان با : تطبيق المنهاج الرباني:

(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر..) ٤١/الحج

(وعد ا الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض..) ٥٥/النور

وهذا يحق:

(أ) سيادة الدين

{ .. وليمكنّن لهم دينُهم الذي ارتضى لهم. } ٥٥/ النور

(ب) سيادة الأمن

(.. وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً..) ٥٥/ النور

(ج) سيادة العبادة الخالصة

(.. يعبدوننن] لا يشركون بي شيئاً..) ٥٥ / النور

٢ - حسن التوكل على ا ، والإستقامة

(وعلى ا فليتوكل المؤمنون) ٥١/ التوبة

(ان الذين قالوا ربنا ا ثم استقاموا فلا خوف عليهم) ٣٠/ فصلت

(وألوّ استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غدقاً) ١٦/ الجن

(٣) الإعداد إلى غاية الإستطاعة من جميع صنوف القوة عامة ومن القوة الحربية علـى وجـه الخصوص:

قوة مادية + معنوية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبـون بـه عـدوّ ا وعدوكم..) ٦٠/ الأنفال. ويدخل ضمنه:

(أ) الإكتفاء ذاتياً في مختلف المجالات الزراعية، الصناعة، التجارة، التعليم، الإعداد الحربي

(ب) التأهيل لمستوى ادارة المجتمع المؤمن من خلال الايمان الحق والتطبيق.

(وعد ا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض..) ٥٥/ النور

(٤) الوحدة

(واعتصموا بحبل ا جميعاً ولا تفرقوا..) ١٠٣/ آل عمران

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ٤٦/ الأنفال

٥ - تحديد الهدف

(أ) تطهير بلاد الإسلام من الكفار

(ب) ارهاب العدو واحباط أطماعه

(ح) نقل رسالة الإسلام وحضارته الخيّرة إلى العالم واخراج الناس من عبادة العباد إلى عبـادة رب العباد ومن جبروت الطغاة إلى عدل الإسلام.

[٣] استخدام كامل قوى الدولة في سياق اعداد الدولة والأمة للحرب.

وبهذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أن عملية اعداد الدولة للحرب يمكن أن تأخذ صورة النمـوذج المثبت في الصفحة السابقة:

وحتى تتكامل الصورة لدينا لا بد من استعراض مجالات القوة المعنوية في الدولة_ فـي سـياق اعدادها للحرب _ مما يمكن ان يستغل إلى أقصى مدى بالإضافة إلى مجـالات القـوة الماديـة الأخرى (٢) في المجال العسكري وفي المجالات الأخرى مما لو استخدمت جميعهـا وبـشكل كامل كانت عندها خير عون وسند للدولة وهذه المجالات المعنوية هي:

مجالات القوة المعنوية:

١ - الإستراتيجية: التخطيط الإستراتيجي لاستخدام كافة مجالات قوة الدولة المادية والمعنوية.

توظيف النشاطات الإستراتيجية المخططة التي تدفع العدو لأرتكاب الأخطاء ممـا ييـسر بلـوغ أهداف الحرب وتحقيق النصر.

الأستراتيجية الوطنية: هي جزء من عمليات صنع القـرار الـسياسي الـذي يـصنع الأهـداف المصممة لحماية وتوزيع المصالح الوطنية.

٢ - العقائدية: حرب عقيدة ضد عقيدة

صراع بين فكر صحيح يقف مع الحقيقة وبين فكر باطل يقف ضد الحقيقة

ما بينه الإيمان من ارادة قتال حديدية وروح معنوية.

عالية ومقاومة ضد أساليب العدو النفسية.

٣ - التنظيمية: استغلال قوى التنظيم في الدولة.

توظيف ما تم تنظيمه (جعله في تنظيمات) من قوى الأمة المتاحة المادية والمعنويـة مـن خـلال تنظيمها (أي ترجمتها عملياً إلى تنظيمات).

٤ - الأستخبارية: حرب المعلومات وجمعها وتقييمها وتحليلها، لتفسير حالة العدو الراهنـة ممـا يساعد صانعي القرار.

حرب العملاء والجواسيس.

٥ - الخداعية: استخدم الذكاء لفحص تطور وإتجاه كامل الموقف لتصيد الفرصة الملائمـة فـي الحرب ولكشف مواطن ضعف العدو.

إخفاء محاولاتنا للتماس مع تفكير الخصم وتضليله حتّى يقترف الأخطاء ويخسر الحرب.

استخدام أساليب التضليل والخداع العسكري.

٦ - النفسية: الأستخدام المخطط المدروس للدعاية والأساليب المصممة للتأثير علـى الإتجاهـات وسلوك المجموعات العدوة والصديقة والمحايدة بهدف فرض ارادتنا عليها

٧ - الجماهيرية: استخدام قوة الجماهير ضد العدو لتقوية الوحدة الدلخلية وأضعاف جبهة العدو.

تعبئة الطاقات واستغلال قوى الجماهير المنظمة وحرمان العدو من استغلال الوهن الجمـاهيري (ضعف التنظيم) واستغلال الدهماء والغوغاء.

الوحدة الوطنية: هي من - مستوى الأنتماء للوطن ورموزه (قوانين، أنظمة، مؤسـسات) ومـدى التماسك والتلاحم بين أبناء الأمة.

الإرادة الوطنية: هي مستوى التحفز الذي يوجد لدى المواطنين باتجاه دعم القـرارات الحكوميـة المتعلقة بسياسة الدفاع الخارجية.

القيادة الوطنية: وتاتي قوتها من مدى الألتفاف حـول القيـادة ووثاقـة الـصلة بـين الأهـداف الأستراتيجية الوطنية مع الإرادة الوطنية.

□ وعليه وانطلاقاً من النتائج والعبر المستخلصة من حرب الخليج الإعلامية، وانطلاقـاً كـذلك من هذه المجالات :_ مجال الحرب النفسية المضادة، ومجال الحـرب النفـسية وعلاجهـا مـن المنظور الإسلامي بما فيه التعرف على حتميات النصر وشروطه فـي الإسـلام، ومـن مجـال استخدام كامل قوى الدولة في سياق اعدادها للحرب بما فيه التعرف على مجالات القوة المعنويـة المختلفة، إنطلاقاً من ذلك كله فقد اتضح لنا واجب الدولة في أن تُحصّن نفـسها بالكامـل ضـد الحرب النفسية والمعارك الإعلامية التي يشنُها العدو عليها بكافة الـسبل والوسـائل. هـذا مـن ناحية، ومن الناحية الأخرى اتضح لنا واجب الدولة كذلك في أن تُعّد نفـسها إلـى أقـصى مـا تستطيع لتقوم هي بدورها بشن معاركها الإعلامية وحروبها النفسية ضد العدو. وهـذا باختـصار هو الدرس الأبسط والأمثل الذي يمكننا استخلاصه من معركة الإعلام في حرب الخليج.